




من روائع المسرح الصينى

# المقهى

تأليف : لاو شـه

ترجمة وتقديم

عبد العزيز حمدى عبد العزيز

مراجعة : تشانغ يوى تشى

周昉

479

المشروع القومى للترجمة

## من روائع المسرح الصينى

# المقهى

تأليف : لاوشه

ترجمة : عبد العزيز حمدى

مراجعة : تشانغ يوى تشى




٢٠٠٢

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد ٤٧٩ :
- من المسرح الصينى ( مسرحية المقهى )
- لاوشه
- عبد العزيز حمدى
- تشانغ يوى تشى
- الطبعة الأولى ٢٠٠٢

ترجمة كاملة لمسرحية

茶 馆

老 舍 著

中国戏剧出版社

一九八七年



شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House. El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 Fax : 7358084 E. Mail : asfour @ onebox. com

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

# مقدمة تاريخية (*)

## التاريخ فى الصين

مسرحية المقهى التى نحن بصددها الآن تعتبر - بكافة المقاييس والمعايير – من المسرحيات التاريخية النادرة التى قلّما تجود بها أقلام الكُتاب المسرحيين على مر العصور، ومؤلفها لاو شه Lao She من أعلام المسرح الصينى المعاصر، ويحتل مكانة بارزة فى عالم المسرح التاريخى فى الصين .

نستشف من قراءة المسرحية أهميتها التاريخية المتميزة التى تكمن فى أنها تسلط الأضواء على الأحداث التاريخية لثلاث حقب تاريخية عمرها يربو على نصف قرن من حياة الشعب الصينى فى العصر الحديث، كما أنها تعكس زوايا الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى سادت عصر المؤلف وجيله ، ولذلك فالتاريخ وموضوعاته بيت القصيد ولب لباب هذه المسرحية. وهذا يقودنا – على نحو من الأنحاء – إلى الحديث عن الأحداث التاريخية التى وقعت خلال نصف قرن من الزمان ابتداء من عام ١٨٩٨ إلى عام ١٩٤٥، وهى – بلا شك – الفترة الزمنية التى تدور فى فلكها أحداث مسرحيتنا .

والحديث عن تاريخ الشعب الصينى وحضارته أمر صعب يحتاج إلى المثابرة والتنقيب والكد الذهنى ؛ فالتاريخ الصينى عريق جداً

(*) الأرقام المذكورة فى هذه المقدمة يرجع إليها فى معجم الأعلام التاريخية.

ومتشعب إلى طرق منحدرة ومسالك وعرة معقدة؛ فالصين عاشت أسلاف الصينيين منذ خمسمائة ألف سنة خلت، وحضارتها من أقدم الحضارات العريقة التى عرفها العالم، ويضم ترابها كنوزاً أثرية وفيرة؛ فتشكل علامة بارزة على حضارتها العريقة. ولا يطاول الصين فى هذا المضمار سوى الحضارة المصرية الفرعونية القديمة ، وأن أقدم إنسان معروف فى بكين صنع الآلات وجد منذ نصف مليون سنة فى العصر البدائى؛ ففى جنوب غربى بكين يقع مسكن (إنسان بكين) الإنسان القرد الذى كان يعيش فيه قبل خمسمائة ألف سنة، ويقع هذا المسكن فى جبل لونغقو بالقرب من منطقة تشوكوديان التى تبعد حوالى خمسين كيلو متراً من بكين .

ولا غرابة – إذن – أن يبدأ كل كتاب أُلف عن الصين بالتاريخ وكل حديث عن الصين يبدأ بالتاريخ... وكل حكاية عن الصين تبدأ بحكايات التاريخ الطويل المتشعب المعقد... فالتاريخ عصب المعرفة والنقطة الأساسية التى ينطلق منها المرء تجاه مجاهل أحوال الصين وحضارتها الشامخة ، ويجد الباحث أو الكاتب عن تاريخ الصين مشقةً وعسراً؛ فهو ملاق كل العجائب والغرائب، والمصاعب والمتاعب فى مسيرة دراسته للتاريخ الصينى وفهمه لعادات الشعب الصينى وتقاليده، ويحتاج إلى فترة طويلة من الحمل والولادة والرضاعة ليتسنى له ارتياد مجاهل تاريخ أعجب شعب فى العالم. وفى هذا الصدد يقول الدكتور إيفار ليسنر(*) : " إن الأمر ليقتضى أكثر من مجرد الخمسين

(*) الدكتور إيفار ليسنر ( الماضى الحى – حضارة تمتد سبعه آلاف سنة ) ترجمة: شاكر إبراهيم سعيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب..

أو الستين أو السبعين عامًا التى يحياها الإنسان على الأرض حتى يتسنى فهم تلك البلاد بسكانها ... وتاريخها الذى يمتد إلى خمس آلاف سنة خلت ".

فى حالة الصين، يواجه المؤرخون الغربيون مشكلة خاصة؛ لأن تاريخ الحضارة الصينية أكثر بامتدادًا وتعقيدًا عن تاريخ أية أمة فى الغرب وأقل تشعبًا، بدرجة ضئيلة، عن تاريخ الحضارة الأوروبية كلها. والسجلات التاريخية الصينية مفصلة وشاملة بقدر هائل، والثقافة التاريخية الصينية متطورة جدًا ومعقدة لعدة قرون. وعلاوة على ذلك؛ فدراسة الصين فى الغرب فى العقود الأخيرة، على الرغم من العمل الريادى المهم للأوروبيين المتخصصين فى الثقافة الصينية، تقدمت بالكاد من خلال ترجمة بعض النصوص التاريخية الكلاسيكية القليلة وموجز تاريخ الأسرات الحاكمة الكبرى وثقافتهم (*) .

إن المجتمع الصينى مجتمع إقطاعى منذ حكم ملوك أسرتى تشو وتشين. وفى عهد تشى هوانجشى (٢٢١ ق.م) أنشىء سور الصين العظيم، وتأسست أول إمبراطورية إقطاعية موحدة فى تاريخ الصين، وتركزت السلطة فى يد حاكم واحد مطلق، واستمر الحكم الإقطاعى فى الصين حوالى ألفى سنة فقامت ثقافة غنية وحضارة عريقة لا تضاهى بثقافة شعب آخر فى العالم، وعاش الصينييون فى عزلة تامة وبمنأى عن الأحداث التى تدور خارج بلادهم، وأحاط الأباطرة الصين بسياجات حديدية فولاذية. وفى ظل الانفصام عن العالم الخارجى وداخل الأسوار الحديدية، سيطرت روح العلم والعقل والفلسفة على الصينيين، وانخرطوا

(*) The Cambridge history of China, Volume 10. general editor's pref-ace, Cambridge University press 1978 .

فى الإبداع الفنى والثقافى، وأنتجوا أخلد الآثار وأرفع الثمار. ولعل السؤال الذي يتبادر إلى الذهن لماذا سيطرت العزلة على حياة الشعب الصينى ردحا طويلاً من الزمن؟ ولا نعرف على وجه الدقة والتحديد ولا تسعفنا ما فى جعبتنا من مراجع تاريخية، الأسباب الكامنة فى ذلك ، ولكن نستطيع أن نقول ربما يرجع ذلك إلى الطبيعة الطابعة للتركيب النفسى والاجتماعى للشعب الصينى، وإن الأباطرة غرسوا فى نفوسهم حب العزلة حتى لا يهتموا بالسلطة السياسية، وشجعوهم على الانهماك فى العلم والفنون والفلسفة وغيرها من الثقافات. ومن جهة أخرى، ربما شعر الصينيون أنهم أكثر تفوقًا وبروزًا فى مجال العلوم والفنون والحضارة، وأن الإنسانية ما عداهم تلج فى وادى الغباوة والظلام .

كان الصينييون يرون أنفسهم أكثر الناس ثقافة وأوفرهم نصيباً من الحضارة، وأن سائر شعوب العالم يعدون من الهمج المتخلفين إذا قرنوا بهم، وكان اتصالهم بالعالم الخارجي محدوداً فيما عدا البلدان المتاخمة الحدود وبعض الثغور الواقعة على المحيط الأعظم، ولما أرسلت الإمبراطورية البريطانية بعض السفراء للتفاوض مع البلاط الصينى الإمبراطورى جرى فى وهم رجال البلاط الصينى أن هؤلاء الوافدين من الغرب جاءوا لدفع الجزية وتقديم فروض الطاعة والولاء للإمبراطور ابن السماء، ولكن الأحداث المتوالية الفاجعة والنكبات المتلاحقة أيقظت الصينيين من الأحلام التى كانوا يغطون فيها (*) .

وهكذا كانت العزلة التى بسطها الأباطرة على الصينيين نعمة فى طى نقمة، ولم يدرك الصينيون نتائجها الوخيمة وآثارها السيئة إلا عندما

(*) على أدهم ( شخصيات تاريخية من سقراط إلى راسبوتين ) دار القدس، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، يوليو ١٩٧٤ ، ص ٢٣٥ .

بدأت الدول الغربية تدق أبواب الصين لتنهب ثرواتها، وتفرض سيطرتها، وتهدم معاقل الإمبراطورية الصينية. وآنذاك ألجمت الدهشة الصينيين، وعرفوا أن التمسك بالثقافة لم يعد يكفي وحده، ولابد من التزود بالحضارة الغربية.

ولقد تبدل الوضع الآن ، إذا لم تعد الصين تجهل ثقافة الغرب أو لا تعيرها اهتماماً، بل أصبح الغرب لا يكاد يعرف شيئًا عن الصين ولا يبذل من الجهد إلا القليل للتعرف عليها، ويدفع الغرب ثمن جهله، وسيستمر فى دفع هذا الثمن (*) .

ولم يكن العالم العربى أكثر معرفة وأوفر علمًا من العالم الغربى فى مجال دراسة الثقافة التاريخية الصينية. على الرغم من أنه كان هناك تبادل تجارى بين العرب والصينيين منذ ألفين وست وسبعين سنة خلت، عن طريق "طريق الحرير" الذى كانت تصدر الصين عن طريقه الحرير الصينى المتمتع بسمعة طيبة وشهرة عالمية و"طريق العطور" الذى كان يبدأ من شبه جزيرة العرب ماراً بخليج عمان وخليج البنغال ومضيق ملقا، ويدخل البحر الجنوبى الصينى، ويصل إلى المدن الساحلية مثل جوانغ تشو وتشوان تشو. وأثناء الفتوحات الإسلامية، اندفعت الموجة الإسلامية شرقًا حتى وصلت إلى تخوم الصين والهند شرقًا، وعبرت حدود فارس لتجتاح أراضى خراسان وما وراء النهر وإقليم السند "باكستان حاليًا" عام ٩٢ هـ، وتدفع جانب منها على مقاطعة سنكيانغ Sinking الصينية ، ومع ذلك ظلت علاقة العالم العربى بالصين قليلة

(*) هـ.ج كريل ( الفكر الصينى من كونفوشيوس إلى ماوتسى تونج ) ترجمة: عبد الحميد سليم، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، ١٩٧١ ، ص٩.

ومحدودة، ومعرفته بها شناحبة وغائمة، ولذا كان ترجمة هذه المسرحية وتقديمها للقارئ العربى أمراً ملحاً يساورني منذ فترة ليست قصيرة .

وليت المقام يتسع للحديث عن التاريخ فى الصين وليته يتراحب للحديث عن منهجه ومعضلاته، ولكن حسبى هنا وحسب القراء أيضاً أن نلمع هذه الإلماعة التاريخية لنصف قرن من التاريخ الصينى الحديث لتمدنا بالمعلومات الضرورية لفهم أحداث المسرحية ووقائعها التاريخية، ولتكتمل *الوحدة العضوية* لمسرحية " *المقهى* " *أمام القارئ العربى* .

ونؤكد – مرة أخرى – أنه لايمكن لهذه المقدمة أن تدعى لنفسها أنها سرد تاريخي كامل لثلاث حقب تاريخية متتالية ومتباينة... فالأمر يحتاج إلى مجلدات ومجلدات، بل إنها مجرد مقتطفات ومقطعات تبرز ملامح الحقب الثلاث، كما أنها تجسد أضواء وظلال وإيجابيات وسلبيات الحياة السياسية والاجتماعية والعسكرية خلال تلك الحقب؛ فالمسرحية جزء من التراث التاريخى والإنسانى الذى يكاد يكون مجهولاً ويجدر الإلمام به، ولذلك كانت هذه المقدمة التاريخية لمسرحيتنا بُدٌّ مما ليس منه بُدٌّ .

## الخلفية التاريخية والسياسية والاجتماعية لمسرحية المقهى

يريد مؤلفنا لاو شه أن يسجل شريحة حية من حياة المجتمع الصينى خلال ما يناهز خمسين عاماً، يمثلها عصره وجيله متخذاً من مقهى الحياة معادلاً موضوعياً. جاءت مسرحية المقهى فى ثلاثة فصول، ويعكس كل فصل من الفصول الثلاثة أحوال وظروف تاريخية مختلفة، ولكى نمسك الخيط من أوله، يجب علينا أن نعود إلى الوراء قليلاً ، ذكرنا

. آنفًا أن الحكم الإقطاعى استمر يسيطر على الصين لمدة ألفى سنة، حكمت الصين خلالها ست وعشرين أسرة ؛ حيث بدأ عصر الاسرات الحاكمة فى الصين عام (٢٢١ ق.م ) بأسرة تشين Qin (٢٢١ ق.م – ٢٠٧ ق.م ) وانتهى بأسرة تشينغ Ching (١٦٤٤ – ١٩١١) التى تنتمى إلى شعب منشوريا المنغولى الذى غزا الصين، وأسس فيها سلالة حاكمة عام ١٦٤٤ حتى هوت تحت أقدام ثورة ١٩١١، ويعرفون بشعب "المانشو".

والذى يهمنا هنا الفترة الأخيرة من حكم أسرة تشينغ، أو بالأحرى عام ١٨٩٨؛ حيث كانت الحركة الإصلاحية البرجوازية – وهى بداية طرف الخيط فى مقدمتنا – تنادى بإسقاط الديكتاتورية والإقطاعية وتطبيق النظم الغربية فى كافة مجالات الحياة فى الصين بعد أن سأم الشعب من الحكم الديكتاتورى المطلق والفساد الإقطاعى المستشرى داخل البلاد، ويتمحور حديثنا – بصفة عامة – فى هذه المقدمة – على ثلاثة محاور رئيسية، يمثل كل محور حقبة تاريخية معينة :

١ – المحور الأول : الحركة الإصلاحية وأسباب فشلها .

(الفصل الأول)

٢ – المحور الثانى : تأسيس الجمهورية وصراع حكام الولايات العسكريين . (الفصل الثانى)

٣ – المحور الثالث : الحروب الصينية – اليابانية .

(الفصل الثالث)

# المحور الأول

## الحركة الإصلاحية وأسباب فشلها

في أواخر الثمانينيات، لاحت في الأفق أولى بوادر الإصلاح السياسي والاقتصادي والثقافي للشعب الصيني، بعد أن بلغت التناقضات أوج ذروتها بين الإقطاعية وجمهرة الشعب الصيني بصفة عامة، وبين الإمبريالية والأمة الصينية بصفة خاصة، وظهرت أول حركة إصلاحية برجوازية في الصين على أسس التطور الأولى للرأسمالية الصينية ؛ فقد عرفت الصين النشأة الأولى للرأسمالية إبان الحرب الصينية اليابانية عام ١٨٩٤- ١٨٩٥، وقد نمت بخطى حثيثة انطلاقًا من قوتين ظهرتا على الساحة الاجتماعية. تتمثل القوة الأولى في طبقة ملاك الأراضي والبيروقراطيين باعتبارها قوة رأسمالية من خلال التطور الذي طرأ على الصناعات المدنية التي كانت تديرها جماعة فرض الحضارة الغربية [1] Westernization Group وفي البداية كانت هذه الصناعات تخضع لرقابة الحكومة ويديرها التجار، ثم انفرد بها التجار وحدهم فيما بعد. أما القوة الثانية فكانت من الصينيين المغتربين فيماوراء البحار Overseas Chinese ، وهم يمثلون أصحاب الصناعات اليدوية أو التجار الصغار والمتوسطين الذين أصبحوا رأسماليين من خلال إدارتهم للمصانع ، ومن ثم بدأت الأفكار الإصلاحية البرجوازية تطفو على السطح واتخذت أشكال عدة منها: تشكيل الجمعيات السرية قوامها القاعدة الشعبية بهدف مقاومة الأسرة الحاكمة تشينغ التي وقعت

معاهدة شيمونوسيكى Shimonoseki فى عام ١٨٩٥ التى تعتبر نكبة كبرى وكارثة عظمى على الأمة الصينية قاطبة ؛ إذ بمقتضاها أصبحت أراضى الصين عرض مباح للدول الاستعمارية : بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وروسيا القيصرية وألمانيا واليابان من أجل التكالب على السلطة والهيمنة والسيطرة على الأراضى الصينية، وشنوا حملة شعواء واسعة النطاق لتطويق الصين من الشمال الشرقى إلى الجنوب الغربى .

وبدأت الصناعة البرجوازية الوطنية فى الصين - لأول مرة - الإنفتاح على الغرب، وتجلى ذلك فى إقامة خمسين مصنعًا ومؤسسة حديثة فى المدن الساحلية بين عامى ١٨٧٠، ١٨٨٩، كما ظهر تيار جديد كان من شأنه تعضيد ومؤازرة الأفكار الإصلاحية، جسده لفيف من المثقفين المنبثقين من أصل إقطاعى، وبدأوا ينضمون إلى الحركة الإصلاحية، وأعلنوا تفنيدهم ودحضهم للتعاليم القديمة البالية، وثورتهم على تعاليم " المدرسة الكونفوشية " [٢] السائدة، واعتبروها المسئولة - فى المقام الأول - عن الأوضاع السياسية المتدهورة، والأحوال الاقتصادية المتهتكة، والمستويات الثقافية المنحطة، كما أدرك هؤلاء المثقفون أن تعاليم كونفوشيوس لا تنسجم مع روح العصر، ولا تواكب التقدم العلمى والحضارى فى الغرب ؛ ولذا اعتبروها - أيضًا - حجر عثرة فى سبيل التقدم والانفتاح على الغرب الذى وجدوا فيه ضالتهم الرشيدة والدواء الناجع لإنقاذ البلاد من وهدة التخلف وتبديد التناقضات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى تصم البلاد قاطبة. ولا ريب فى أن هذا الاتجاه يعتبر - بكافة المقاييس والمعايير - بمثابة القنبلة الزمنية الإصلاحية التى فجرت ينابيع الإصلاح داخل وجدان

الشعب، وأضاءت العقول التى جثم عليها التخلف والتبعية ردحًا طويلاً من الزمن، وأيقظت الأرواح من رقادها.

والمطلع على تاريخ الصين الحديث يعرف أن الصين خاضت فى العصر الحديث عدة حروب ضارية شكلت الملامح السياسية والاقتصادية والاجتماعية لها، ولاسيما إذا كانت الهزيمة من نصيبها؛ فقد خاضت غمار حرب الأفيون مرتين [٣] : الأولى (١٨٤٠ - ١٨٤٢) والثانية (١٨٥٦ - ١٨٦٠ )، والحرب الصينية - الفرنسية (١٨٨٤- ١٨٨٥)، والحرب الصينية - اليابانية (١٨٩٤ - ١٨٩٥ ). ويضع الزعيم الصينى ماوتسى تونج أمام أعيننا تلك الكلمات ليجسد ما آل إليه حال الصين إبان تلك الحروب فيقول : إن النظام الإقطاعى أو النظام شبه الإقطاعى هو الذى يسود دائمًا المجتمع، وهذه هى طبيعة المجتمع الصينى الحاضر، وذلك هو موقف الصين اليوم [*] . إن النظام السياسى لذلك المجتمع نظام استعمارى وشبه استعمارى وشبه إقطاعى، واقتصادياته هى اقتصاديات استعمارية وشبه استعمارية وشبه إقطاعية، وثقافته التى تنعكس عن ذلك النظام السياسى وعن تلك الاقتصاديات، هى ثقافة استعمارية وشبه استعمارية وشبه إقطاعية ، وكان ذلك من جراء أن حكام أسرة تشينغ الإقطاعية كانوا لا يجدون مندوحة فى إبرام المعاهدات المجحفة بالشعب الصينى مع الدول المعتدية ودفع التعويضات والتنازل عن الأراضى في سبيل التشبث بمقاعد الحكم فى البلاد، وهكذا تحمل الشعب الصينى وحده الأعباء المادية الباهظة فى الحرب وغرامات صلح عقب كل استسلام .

(*) المقصود باليوم هو سنة ١٩٤٠ .

وكان لهذا الاتجاه الجديد عظيم الأثر في إحداث الاحتكاك العقلي والمباشر بالمجتمع الرأسمالي الغربي، وبدأت الحركة الإصلاحية تثمر ثمرتها ، وتؤتي أكلها من خلال إرسال الدبلوماسيين والبعثات الدراسية للتعلم من الغرب من جهة، ومن جهة أخرى توفير مصادر المعارف الغربية داخل البلاد، وظهر جليًا في إنشاء مدرسة تون ونقوان، وقسم الترجمة التابع لصنع جيان نان الذي أسسته جماعة فرض الحضارة الغربية، كما قام المبشرون الأجانب في الصين بنشر الكتب والمجلات المصورة بهدف نشر الحضارة المسيحية والدين المسيحي، وتأسست (جمعية الأدب المسيحي) في شنغهاي عام ١٨٨٧ من جانب المبشرين الأمريكان والبريطانيين، وقامت هذه الجمعية بنشر أكثر من مائة كتاب في العلوم الدينية والسياسية والتاريخية والقانونية لخدمة أغراضهم الاستعمارية في البلاد .

وبدأ رواد الحركة الإصلاحية الأوائل يفرضون تأملاتهم وآرائهم بشأن الإصلاح وتقديمها على شكل مقترحات، وكان على رأس هؤلاء يونغ وينغ Yung Wing الذي يعتبر أول من قدم اقتراحًا بشأن الإصلاح إلى مملكة تايبينغ وإلى جماعة فرض الحضارة الغربية في عهد مملكة تشينغ، ثم تبعه رواد آخرون أثروا الحركة الإصلاحية بأفكارهم ومقترحاتهم بشأن الإصلاح، لعل من أبرزهم تشينغ كوان ينغ الذي ألف كتابًا نشر ثلاث مرات خلال الأعوام من عام ١٨٦٢ إلى عام ١٨٩٣ حدد فيه اتجاهات وأفكار الإصلاح البرجوازي في الصين قبيل نشوب الحرب الصينية – اليابانية .

وقصارى القول وعلى الصعيد السياسي، نجد أن المحور الأساسي للحركة الإصلاحية البرجوازية يرتكز على أن صيانة استقلال الصين وسيادتها يكمن في تحقيق الإصلاح السياسي والتعليم من الغرب وتقوية

الصين وتوهم زعماء الإصلاح أن ذلك سيؤدى إلى جلاء الإمبرياليين من الصين، ورأوا أن النظام السياسى الخليط من الملكية والدستورية أفضل النظم وأكثر ملاءمة للبلاد، أما على الصعيد الاقتصادى، فقد طالبوا بإقامة الاستثمارات الحرة وتطوير الرأسمالية والنهوض بالصناعة والتجارة، وكان شعارهم في ذلك هو " شن حرب تجارية " بهدف مناقسة الرأسمالية الأجنبية .

ولكن فيما يبدو أن البذور الأولى للحركة الإصلاحية نمت في جو اجتماعى غير صحى؛ لأن الأفكار والآراء التى نادى بها المصلحون الأوائل كان يكتنفها تحقيق المصلحة الشخصية جرياً وراء النزوات والأهواء الذاتية بهدف تحقيق وضع أفضل لمراكزهم الاجتماعية والسياسية أسوة بالطبقة الحاكمة، وذلك لأنهم كانوا ينتمون إلى الطبقات الدنيا والوسطى من الطبقة الحاكمة، كما أن نظرتهم إلى الإصلاح تثير الدهشة، فقد اقتصرت رؤيتهم، أو تقاصرت عن إدراك ماهية الإصلاح وكيفية تحقيقه لإحداث دوره الفاعل داخل المجتمع، وكانوا يؤمنون بالإصلاح الكمى على حساب الإصلاح الكيفى، ومن ثم كانت محاولاتهم الأولى للإصلاح بمثابة قشرة هشه على السطح، أما بقية الأعمال فكانت الفجوة بينها وبين السطح هائلة. والأدهى من ذلك أن العبارات الرنانة والشعارات الطنانة التى رفعها المصلحون الأوائل لإصلاح الأحوال المتردية فى البلاد تضمنت وسائل تمويه الشعب وخداعه ؛ لأنها ركزت على إصلاح أحوال حكومة تشينغ، كما ضلت أقدامهم الطريق إلى تحقيق الإصلاح السياسى والثقافى للشعب، ولذلك نجد أن المحاولات الأولى للإصلاح لم يكتب لها النجاح ، وماتت بعد ولادتها بقليل أو أجهضت وهى لا تزال فى طور الجنين ؛ لأنها افتقرت – بالدرجة الأولى – إلى التأييد الشعبى ودفء التجاوب من جانب القطاع العريض

من القاعدة الشعبية، ومع ذلك ظلت الأفكار والاتجاهات والآراء التى طرحها المصلحون الأوائل تشكل الإرهاصات الأولية لحركة الإصلاح عام ١٨٩٨ .

ولم يمض وقت طويل فيما بعد، حتى بدأت بعض أفكار الإصلاح تتبلور وتخرج إلى دائرة الضوء، وشهدت الساحة السياسية زعماء حملوا على عاتقهم عبء وتبعة تحقيق الإصلاح السياسى، وتمثل ذلك فى شخصية كانغ يو وى [٤] Kang Yu - wei – أحد تلاميذ المدرسة الكونفوشوسية – بصفته زعيمًا للحركة الإصلاحية عام ١٨٩٨ .

وبدأ كانغ بلورة أفكاره وآرائه حول تكوين خطة تهدف إلى تحقيق الإصلاح السياسى والبحث عن مخرج لانتشال البلاد من مأزقها السياسى فى ظل حكم أسرة تشينغ الإقطاعية، وقد اعتمد كانغ فى ذلك على تعاليم كونفوشيوس النظرية وسلطة الإمبراطور قوانغ تشى [٥] السياسية والتعلم من الدول الرأسمالية الغربية التى كان يعتبرها دولاً تقدمية والصين دولة متخلفة، وذلك ناجم عن القيود الحديدية التى فرضها نظام حكومة تشينغ على الشعب الصينى ، وركز كانغ جهوده على كسب التأييد لأفكاره الإصلاحية من جانب المثقفين والمتعلمين البيروقراطيين. وانكب على تأليف الكتب التى أعطت دفعة قوية للحركة الإصلاحية، وتناول فيها نظريات وآراء كونفوشيوس بالشرح والتحليل : مما أدى إلى حدوث بلبلة فكرية وأيديولوجية داخل الأوساط الإقطاعية وقوضت الأفكار المترسبة داخل الأذهان المتمسكة بالقديم والرافضة لما هو كل جديد؛ ففى عام ١٨٩١ أصدر كانغ كتابًا بعنوان "دراسة للكلاسيكيات المنقحة" [٦] بث الشكوك فى نفوس المثقفين بشأن أن المؤلفات الكلاسيكية القديمة التى كانت تعتبر مقدسة قد أخنى عليها

الدهر ، وأصبحت عقيمة ومزيفة ولا تصلح لروح حركة الإصلاح. وفي الوقت نفسه راح يصبغ أفكاره الإصلاحية بالصبغة الكونفوشوسية ؛ فأصدر في عام ١٨٩٢ كتاباً آخر بعنوان "دراسة حول الإصلاح الكونفوشيوسي" نصب فيه نفسه خليفة لكونفوشيوس الذي اعتبره من كبار الإصلاحيين، ودلل على أن أفكاره حول الإصلاح هي امتداد لأفكار كونفوشيوس نفسه، وهو بذلك يريد أن يشعل الشمعة من طرفيها، فيحاول التوفيق بين متطلبات الحركة الإصلاحية البرجوازية من ناحية، وتعاليم كونفوشيوس من ناحية أخرى .

ثم قدم لنا آراءه في تكوين مجتمع مثالي يسود العالم قاطبة في كتابه (الوفاق العظيم) **Ta Tong Shu** ؛ إذ يرى أن البشر على اختلاف مستوياتهم ودرجاتهم يعانون من الشقاء، ويعيشون في بحر من المرارة، ويجب أن يتحول هذا البحر إلى جنة عن طريق إذابة الفوارق بين الأغنياء والفقراء والملوك والأباطرة وصهرهم جميعاً في بوتقة المحبة، وعقد آماله في تحقيق الوفاق العظيم بين البشر على الطبيعة الإنسانية وانتشار روح الود والإخاء بين البشر، وحذر كانغ من مغبة نتائج الثورة البرجوازية، وأعرب عن قلقه الشديد إزاء الثورة البروليتارية التي بدأت بوادرها تلوح في الأفق حينذاك .

وفي عام ١٨٨٨ قدم كانغ يو وي إلى الإمبراطور أول اقتراح رسمي عبر فيه عن رغبته في الإصلاح البرجوازي، وأكد أن الإصلاحات هي السبيل الوحيد لدرء خطر تسلل الدول المعتدية إلى الأراضي الصينية .

بدأت بريطانيا في ذاك العام تغزو التبت من أراضي الصين، وروسيا القيصرية تسعى سعياً حثيثاً للاستيلاء على مساحات شاسعة من الأراضي الواقعة في شمال غربي الصين، وشمال شرقي الصين،

فضلاً عن أن اليابان بدأت تمارس ضغوطها على الصين، وانتشرت الاضطرابات والقلاقل في كافة الأصقاع الصينية، وأصبح الوضع ينذر بنشوب ثورة جامحة على غرار ثورة تايبينغ [٧].

واعتبر بعض البيروقراطيين المحافظيين أن اقتراح كانغ بمثابة إهانة لهم وللإمبراطور أيضًا ، ورفضوا أن يتقبلوا النصح والإرشاد من إنسان عادى، ورفضوا تقديم الاقتراح إلى الإمبراطور، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل وصموا صاحبه "بالفجور والغرور"، وشطبوا اسمه من قائمة الناجحين بعد أن حصل على المركز الثالث فى الامتحان الذى عقد على مستوى المقاطعة .

ومهما كانت النتائج، فإن الاقتراح قد نقش اسم كانغ فى سجلات الأبدية، ولكن حز ذلك كثيراً فى نفس كانغ ، وعاد إلى مسقط رأسه فى محافظة نانهاى **Nanhai** ليضمد جراحه، إلا أنه رفض أن يمضى بقية عمره ملجم اللسان عاجزاً عن التعبير، وفى عام ١٩٨١ أسس مدرسة خاصة فى تشانغشين لى **Chen Xin - Li** أطلق عليها اسم "أكاديمية وانمو" **Wanmu Academy** ليبث أفكاره الإصلاحية حول التعليم وينشرها، والتف حوله لفيف من الطلاب الذين وجدت المبادئ الإصلاحية مرتعًا خصبًا فى نفوسهم، وكان من أبرزهم ليانغ تشى تشاو [٨] الذى تتلمذ على يد كانغ بالرغم من حصوله على لقب جيو رن [٩] **Ju Ren**، وتجدر الإشارة إلى أن ليانغ كان واسع الاطلاع، نهم المعرفة، واتسعت بؤرة اهتمامه لتشمل الكلاسيكيات المقدسة والفلسفة الميتافيزيقية الكونفوشيوسية [١٠] والتاريخ والعلوم الغربية. وسرعان ما أصبح ليانغ الذراع الأيمن لكانغ، وأنيط اسم كل منهما بالآخر (كانغ - ليانغ) وكأنهما توأمان ولدا داخل دهاليز الحركة الإصلاحية البرجوازية.

وكان عام ١٨٩٥ نقطة تحول بارزة فى تاريخ الحركة الإصلاحية البرجوازية، وشهدت الساحة السياسية تطورات سرعان ما تبلورت وأصبحت إتجاهًا فعليًا نحو الإصلاح السياسى، ويهمنا هنا أن نذكر أن كانغ يو وي قدّم فى ذلك العام أربع مذكرات تتضمن مقترحاته نحو الإصلاح السياسى، وكأنه يعز عليه أن تقبر آماله وآراؤه فى الإصلاح، بينما بلاده تهوى فى مستنقع الفساد السياسى فى ظل حكم أسرة تشينغ الإقطاعية ، واجتاحت المقاطعات فى كافة أنحاء البلاد موجة عارمة من السخط والإستياء ضد حكومة تشينغ بعد إبرام معاهدة شيمونوسيكي التى كانت بمثابة شوكة غرسها الإمبرياليون فى ظهر الصين. وإيمانًا منه بضرورة طرق الحديد وهو ساخن، فقد استغل كانغ هذا الشعور الوطنى الملتهب ، وأبرز للعيان الأفاعيل الشعناء والصورة الشوهاء لتكون شاهداً على الفساد الذى ارتكست فيه حكومة تشينغ. ومن ناحية أخرى، عمل كانغ على كسب التأييد المعنوى والشعبى لتدعيم نشاطاته الإصلاحية من جانب المثقفين البرجوازيين وحاملى لقب جيو رن بعد أن شمروا عن سواعدهم ، وأيدوا استعدادهم للمشاركة فى الإصلاح بصورة لم تعرفها الصين من قبل. وبالفعل وقّع أكثر من ألف ومائتين من حاملى لقب جيو رن على مذكرة كانغ الثانية وسلموها إلى هيئة الرقابة (وهى أعلى هيئة للمراقبة والادعاء العام واستشارة وتقديم المقترحات) فى ٢٢ أبريل من العام نفسه، وذلك فى محاولة مستميتة لإقناع الإمبراطور بعدم التصديق على المعاهدة، ولكن سبق السيف العذل، ودفعت أم الإمبراطور تسى تشى [(١١)] الإمبراطور على توقيع المعاهدة قبل الموعد المقرر حتى تصبح أمراً واقعاً.

ولم تنل مؤامرات المتآمرين من ثبات كانغ يو وى وتمسكه بالنزعة الإصلاحية شيئًا، ولم توهن عزمه أو تفل قواه، وسار كانغ فى الطريق الذى رسمه لنفسه من البداية ؛ ففى ٢٩ مايو عام ١٨٩٥ كتب مذكرته الثالثة إلى الإمبراطور، ركز فيها على الضرورة الملحة لاتخاذ إجراءات إصلاحية عاجلة حتى يحافظ العرش على هيبته ونفوذه فى البلاد، ولاسيما بعد أن تنازلت حكومة تشينغ عن تايوان لليابان، وشعر الإمبراطور أن مطلب كانغ مطلبًا عادلاً ويتسم بالموضوعية، ولذا أمر بتوزيع المذكرة على أم الإمبراطور تسى تشى وأعضاء المجلس الإستشارى، ونواب الإمبراطور والحكام فى البلاد لمناقشتها، كما أصبحت ضمن الوثائق الإمبراطورية المهمة داخل قصر الصفاء السماوى، ودخل قاعة العرش أيضًا .

وفى يونيه من العام نفسه، كتب كانغ مذكرته الرابعة، وركز اهتمامه فيها على خطة للإصلاح السياسى من خلال تأسيس برلمان، وإصدار الصحف لتوفير المناخ المناسب للتعبير عن الآراء السياسية وتبادل المعلومات، كما دعا كانغ إلى أن يضطلع المثقفون الكفاة بإدارة الخدمات داخل الحكومة وتقديم المشورة للإمبراطور ، وهذه الإجراءات لم تكن تستهدف فى الحقيقة إلا خلق الجو اللازم والظروف الملائمة لمساهمة البرجوازية فى السلطة السياسية بشكل مباشر، إلا أن هيئة الرقابة وضعت المتاريس أمام إرسال المذكرة الرابعة، ولم يتسلمها الإمبراطور، ولجأ كانغ إلى استقطاب ونغ تونغ خه [١٢] معلم الإمبراطور والمستشار الكبير الذى أدرك أن حكم أسرة تشينغ على حافة الانهيار بعد هزيمة الصين على أيدى اليابانيين، ولكن لم يستطع أن يفعل شيئًا خوفًا من بطش أم الإمبراطور، وكان تونغ يرغب فى الحقيقة إيجاد قوة تساعد

الإمبراطور وتساعده هو أيضًا. والتقى تونغ بكانغ الذى أبرز حجة الإصلاح ، وقدم مقترحاته الإصلاحية التى تساعد على انتزاع السلطة من يد أم الإمبراطور، وتعهد تونغ أن يقدم مقترحات كانغ إلى الإمبراطور وتوطيد التعاون مع كانغ، ولكن لم تكلل جهودهما بالنجاح، وظلت المذكرة حبيسة الأدراج .

وغاية ما فى الأمر أن مذكرات كانغ تهدف إلى تحرير الصين من براثن الإمبرياليين، ومن ربقة الأجانب الغزاة، عن طريق الإصلاح السياسى والإقتصادى والاجتماعى والثقافى مع الأخذ فى الاعتبار الدور المؤثر والفعال المنوط بالحركة البرجوازية لتحقيق الإصلاح المنشود، وذلك من أجل مجابهة الذين يخشون الإصلاح ويأبون التطير ولا يطمئنون إلى التجديد من جناح أم الإمبراطور .

ولا محيص من أن مذكرات كانغ يو وى آنفة الذكر والمذكرة التى وقّع عليها حاملو لقب جيو رن قد أعطت الضوء الأخضر للحركة الإصلاحية البرجوازية أن تتحول إلى حركة سياسية شقت طريقها داخل البلاد، وتبلورت الحركة السياسية آنذاك فى إصدار الصحف والمجلات وتأسيس الجمعيات الأكاديمية والمدارس، وترجمة الكتب والمؤلفات الغربية، وتوسيع نطاق دائرة الحركة السياسية لتشمل أجزاء كثيرة من البلاد، وتعميق مفاهيم وأفكار الإصلاح داخل نفوس أبناء الشعب الصينى .

مضى كانغ يو وى قُدمًا فى نشاطاته الإصلاحية ونشر أفكاره وآراءه، حتى تمكن من إصدار صحيفة ( الأخبار العالمية والمحلية ) **Zhong Wai Ji Wen** التى تعتبر أول صحيفة يصدرها الإصلاحيون البرجوازيون فى الصين، وتولى تحريرها ليانغ تشى تشاو، وماى مينغ

هوا Mai Meng - Hua ، وقاما بإعادة نشر المذكرات الموجهة إلى الإمبراطور والمقالات المقتبسة من الصحافة الأجنبية، وكانت توزع هذه الصحيفة بالمجان على موظفى الحكومة فى بكين، واعتقد بعض المحافظين المتعنتين أن ( مجلس الوزراء ) يصدر هذه الصحيفة، بينما رأى الآخرون أن أحد البعثات الأجنبية تشرف عليها، ولكن ألجمتهم الدهشة عندما عرفوا أن مسقط رأسها هو مبنى نقابة نانهاى حيث يمكث كانغ يو وى، وارتفع توزيع هذه الصحيفة إلى أكثر من ثلاث آلاف نسخة بعد مرور شهرين من إصدارها. ولئن دل ذلك على شىء فإنما يدل على أن الحركةالسياسية بدأت تبنى لنفسها قاعدة شعبية قوامها المتعلمين البيروقراطيين ومثقفى طبقة ملاك الأراضى، وبعد ذلك لم يدخر كانغ وسعًا فى إقامة الجمعيات الأكاديمية التى كانت على شاكلة التنظيمات التى تمارس داخل أروقتها نشاطات الإصلاح السياسى فى سرية تامة. وفى أغسطس عام ١٨٩٥، وبفضل جهوده، تم تأسيس جمعية ( كيفية بناء المجتمع القوى ) Chiang Xue Hui فى بكين، وكانت الجمعية تهدف إلى البحث عن وسيلة نجاة للأزمة الوطنية، وكانت تضم فى عضويتها خمسين عضواً من الإصلاحيين البرجوازيين، والبيروقراطيين المؤيدين للإمبراطور، وموظفين مرموقين ذات صلة قوية بجماعة فرض الحضارة الغربية، فضلاً عن كبار البيروقراطيين المتعاطفين مع الإصلاح وبعض العناصر الإمبريالية .

وجدير بالملاحظة أن المبشرين الأمريكيين والبريطانيين حاولوا الإفادة من النفوذ المتصاعد للجمعية لمجابهة نفوذ روسيا القيصرية؛ فارتدوا ثياب الإصلاح وتظاهروا بتأييد جهود الجمعية لتحقيق الإصلاح السياسى فى البلاد، بل أبدوا استعدادهم لتقديم العون المادى والمعنوى

الجمعية والانضمام إلى صفوفها، كما ألقوا الخطب الحماسية المؤيدة للإصلاح ، وهرع المبشر البريطاني تيموتي ريشارد Timothy Richard إلى بكين قادمًا من شنغهاي لمقابلة كبار الموظفين في بكين، وقدّم اقتراحًا عرض فيه آراءه حول تحقيق الإصلاح، كما كتب المبشر الأمريكي جلبرت ريد Gilbert Reid مقالاً حثّ فيه حكومة تشينغ أن تعين بعض الأجانب الأكفاء من الدول الغربية في الوظائف المختلفة ..

ولكن سرعان ما هبت العواصف والأنواء على الجمعية، وحيكت حولها المؤامرات، وعزف القراء عن قراءة صحيفة الجمعية، وحثّ بعض الموظفين أم الإمبراطور تسى تشى على إنزال أشد العقاب بكانغ يو وى. وفي ظل تلك الظروف، أجبر كانغ على الفرار من بكين إلى شنغهاى فى نوفمبر عام ١٨٩٥ وهناك بدأ نشاطاته الإصلاحية من جديد، وخاصة بعد أن حصل على موافقة نائب الإمبراطور فى إقليم ليانغ كيانغ Liang Kiang على إقامة فرع لجمعية (كيفية بناء المجتمع القوى) فى شنغهاى، وأعلن كانغ عن ضرورة استنباط الأسباب التى تؤدى إلى تقوية الصين من خلال المقارنة بين الدول القوية والدول الضعيفة، وحدد كانغ أن مهام فرع الجمعية فى شنغهاى تجمع بين ترجمة الكتب ونشرها وإصدار الصحف والمجلات وتأسيس المكتبات وإقامة المتاحف، وأصدر صحيفة يومية تحمل اسم الجمعية، وتوثقت الصلة والتعاون بين مركز الجمعية فى بكين وفرعها فى شنغهاى ، ولكن لم يدم شهر العسل طويلاً بين بكين وشنغهاى ؛ إذ أمر الإمبراطور - بإيعاز من أم الإمبراطور بفض الجمعية وحظر صدور صحيفتها، ووجهت إليها تهمة ترويج العلم الغربى .

وأما هذا الموقف الحرج الذى تعرضت له الجمعية، لم يعد هناك خيار أمام كانغ سوى أن يجمع شتاته ويعود إلى أكاديميته ليواصل فيها محاضراته، كما ارتاد عدة أمكنة متفرقة ليمارس نشاطاته الإصلاحية؛ فذهب إلى هونج كونج [١٣] Hong Kong وماكاو[١٤] Macao ، وأصدر فيها بالتعاون مع الصينيين المغتربين فيما وراء البحار صحيفة (المعرفة الجديدة) Zhi Xin Bao فى فبراير عام ١٨٩٧، وأصبحت هذه الصحيفة أداة لنشر أفكار كانغ الإصلاحية فى الجنوب، وخاصة بعد أن تولى تحريرها أخوه كانغ كوانغ جين Kang Kuang - Jen ، وتلميذه شيوى تشين Hsu Chin وذهب كانغ أيضًا إلى قويلين [١٥] Kweilin لإلقاء المحاضرات ورفع راية الكونفوشيوسية Confucianism باعتبارها دينًا مقدسًا وأسس جمعية ( العقيدة المقدسة ) Sheng Xue Hui .

وامتدت نشاطات الإصلاح من بكين وشنغهاى إلى باقى المقاطعات، وكانت مقاطعة هونان Hunan من أنشط المقاطعات تحمسًا للحركة الإصلاحية البرجوازية، وشهدت هونان إنجازات عظيمة فى مجال تحقيق الإصلاح، وذلك بفضل الجهود المضنية والمتصلة التى بذلها تان سى تونغ[١٦] Tan Si Tong. وقد طرأ تغيير كبير على أفكار تان وآرائه فيما يتعلق بالإصلاح، وتعاون بصورة وثيقة مع أصدقائه لتحقيق الإصلاح فى مسقط رأسه هونان. وفى عام ١٨٩٦ سافر إلى بكين والتقى مع ليانغ تشى تشاو، وأعلن تأييده لأفكار كانغ فى مجال الإصلاحات، وأعرب عن أمله فى فتح فرع جديد لجمعية (كيفية بناء المجتمع القوى) فى هونان. وانكب تان على العلوم الصينية والغربية وتناولها بالشرح والتحليل حتى أصدر كتابه الفلسفى (النزعة إلى عمل الخير) Ren Xue دعا فيه إلى ضرورة تحطيم القيود الإقطاعية كلها،

ودحض الأفكار الخاطئة الداعية إلى الارتكان إلى الماضى التليد والزراية بالحاضر وإنجازاته. واتسع نطاق دائرة إصلاحات تان وأسس ( جمعية الجنوب Nan Xue Hui في يناير عام ١٨٩٨ بمقاطعة هونان، وأصبح لجمعية الجنوب فروع فى كل محافظة، وكان مقرها الرئيسى فى (تشانغ شا) Chang Sha، وكان النشاط الرئيسى للجمعية هو إلقاء المحاضرات فى الموضوعات الأكاديمية كالسياسة والثقافة والتعليم والفلك والجغرافيا وغيرها . وكانت قاعة المحاضرات تكتظ بالمثقفين الحريصين على التخلص من الأيديولوجية الإقطاعية والبحث عن بصيص أمل لإنقاذ البلاد من ربقة حكم الإقطاعيين والإمبرياليين. ومع ذلك، ظلت النزعة الكونفوشيوسية تلح على تان سى تونغ بين حين وآخر، ولم يتخل عن القيود الإقطاعلية بصورة كلية، وقام بعدد من الإصلاحات كانت من شأنها تدعيم سلطة الإمبراطور قوانغ تشى، وهذا دليل دامغ على أن الإصلاحيين البرجوازيين اليساريين أمثال تان سى تونغ مهما كانوا جادين فى دعوتهم إلى الإصلاح، إلا أن أقدامهم ظلت تكبلها القيود الإقطاعية .

ولا يغرب عن بالنا أن نذكر الدور المهم والفعال الذى اضطلعت به جمعية ( حماية البلاد) Bao Kuo Hui التى كانت أهم الجمعيات الأكاديمية غير مدافع. وقد أسس كانغ يو وى هذه الجمعية فى ٢١ أبريل عام ١٨٩٨ ، واعتبرها امتداداً طبيعياً لجمعية ( كيفية بناء المجتمع القوى ) ولخص كانغ فى تصريح الجمعية الأسباب التى أدت إلى هزائم الصين المتكررة منذ حربى الأفيون، وتنبأ بالمصير المشئوم الذى ينتظر الصين فى المستقبل إذا لم تتبنَ إجراءات الإصلاح، كما وضع كانغ دستوراً للجمعية حدد فيه أهدافها الثلاثة وهى، أولاً: حماية استقلال

الصين وسيادتها وحدة أراضيها وحماية " الديانة المقدسة "، وعلى وجه الخصوص " الكونفوشيوسية " التى اتخذها الإصلاحيون رمزاً للروح الوطنية، ثانيًا: البحث عن مخرج لإنقاذ البلاد من العدوان المتكرر واحتلال أراضيها من جانب الدول المُعتدية، ثالثًا: تقصى حقائق سبل الإصلاح السياسى، وأثر ذلك فى تحسين أسلوب إدارة الحكومة، وعقدت الآمال على أن تكون هذه الجمعية نواة لتأسيس حزب برجوازى سياسى، ولكن اقتصر هدفها على حماية البلاد من خلال الإصلاحات السياية والاقتصادية مروراً بحكومة تشينغ الإقطاعية، وظهرت فى بكين عدة جمعيات على غرار جمعية (حماية البلاد) مثل: "جمعية حماية يوننان"، و"جمعية حماية تشجيانغ"، و"جمعية حماية سيتشوان". وهكذا نمت وتطورت الجمعيات الإقليمية، وأصبح لها دور فعال ومؤثر فى نشر موجة حركة الإصلاح وتعميق مفاهيم الإصلاح ومبادئه داخل أذهان المثقفين والبيروقراطيين، وأدى ذلك إلى إثارة حفيظة المتعنتين على جمعية (حماية البلاد)، وانبرى حملة الأقلام المتعنتين، واتهموا كانغ بأنه يحتقر الإمبراطور، ويريد أن يكون " بابا ديمقراطيا "، كما اتهموه أيضاً بسرقة وجهات نظر أجنبية ليعارض بها النظم والقوانين الصينية، كما طالب الآخرون من الإمبراطور أن يحدد إقامته فى مسقط رأسه.

وعلى هذا النحو، لم تنج جمعية (حماية البلاد) من سهام المتعنتين المسمومة الذين راحوا يضيقون الخناق حول الإصلاحيين ومطاردتهم فى كل مكان حلوا به، وخربوا جميع نشاطات الإصلاح عن طريق تحريم التعليم الغربى وإحراق الكتب الجديدة ومصادرة الصحف والمجلات وحل الجمعيات الأكاديمية بدءاً من جمعية (كيفية بناء المجتمع القوى) وجمعية (الجنوب) وجمعية (حماية البلاد)، ويذكر التاريخ الصينى الحديث أن

الخلاف الأيديولوجي بين المؤيدين للإصلاح، والمعارضين له يكاد ينحصر في ثلاث قضايا أساسية هي: أولاً : هل يجب تغيير طريق الأسلاف؟ ثانيًا: هل يمكن التحرر من القوالب الجامدة في الكتابة ويحل محلها التعليم الغربي ؟ ثالثًا : هل تطبق نظرية " حقوق الشعب " ونظام " الملكية الدستورية " ؟ واستمر هذا الخلاف ليشكل مرحلة مهمة في تاريخ الصرع الأيديولوجي بين المؤيدين والمعارضين للحركة الإصلاحية البرجوازية التي أحدثت تصدعًا غائرًا في المفاهيم القديمة القائلة بأن " السماء لا تتغير، وبالتالي لا تتغير الطرق أيضاً ".

كما كانت هناك بعض المحاولات الجادة من جانب بعض الإصلاحيين الخلصاء الذين أصدروا عدداً من الصحف والمجلات كان من أبرزها (مجلة هونان) التي أسسها تان سي تونغ في عام ١٨٩٨، وصحيفة (هونان الجديدة) المؤيدة للإصلاح، كما صدر في تيانجين صحيفة (أخبار الوطن) **Kuo Wen Bao** اليومية في أكتوبر عام ١٨٩٧، ومجلة (حصيلة أخبار الوطن). وعالجت كل هذه الصحف والمجلات قضايا التجديد والإصلاح، وأكدت حتمية سقوط النظام القديم، ونشر الأخبار المحلية والعالمية وترجمة المقالات الأجنبية، مما جعل القراء يفتحون عيونهم على ملامح الحياة الاجتماعية والسياسية في الغرب، ورأوا أن التعلم من السياسة البرجوازية الغربية هو المخرج الوحيد للمأزق الصيني .

ولذا كان من الطبيعي أن تكون الثقافة الغربية هي الشغل الشاغل للمثقفين الصينيين. وفي عام ١٨٩٥ قام يان فو **Yan Fu** بترجمة كتاب ت.هـ هكسلي[١٧] (التطور والأخلاقيات) **T.H.Huxley Evolution and Ethics)** إلى اللغة الصينية، ونشره في عام ١٨٩٨، وأحدثت ترجمة هذا

الكتاب لمؤلف نظرى برجوازى غربى ضجة واسعة النطاق حول المفاهيم والآراء التي تضمنها الكتاب ، وأيقظ الأمة الصينية من سباتها العميق، وأدركت أن الإصلاح ضرورة حتمية تفرضها الظلال السوداء التى تجنح تحتها الأمة الصينية. وعلى الرغم من أن الإصلاحيين البرجوازيين استخدموا نظرية التطور لتحقيق الإصلاح، إلا أن جهودهم ومحاولاتهم ظلت مقصورة النجاح، مهيضة الجناح، ولم يستطيعوا أن يهزموا الحكم الاستبدادى الإقطاعى، وظلت الحركة الإصلاحية هامدة فى مهدها، ولم يشتد عودها لافتقارها إلى تأييد السواد الأعظم من أبناء الشعب الصينى .

ولذا لم يجد كانغ يو وى وأتباعه غضاضة في الالتجاء إلى الإمبراطور باعتباره مرفأ النجاة فى بحر الحركة الإصلاحية المتلاطم، ولاسيما بعد أن فشلوا فى بناء قاعدة شعبية تكون سنداً لهم لتحقيق مآربهم وأفكارهم التى تهدف إلى تقويم المعوج. ويعاود كانغ تقديم المذكرات إلى الإمبراطور ليدفعه إلى تأييد الإصلاح ووضع خططه موضع التنفيذ ؛ ففى ديسمبر عام ١٨٩٧ كتب كانغ مذكرته الخامسة إلى الإمبراطورية بعد أن رأى بعينه أن بلاده أصبحت فريسة سهلة الإصطياد داخل مصيدة الدول الإمبريالية؛ حيث احتلت بريطانيا ويهايوى **Weihai Wei** وكوولون **Kowloon** ، وفرنسا احتلت خليج قوانغتشو **Kwangchow** ، وألمانيا احتلت خليج كياوتشو **Kiaochow**، بينما احتلت روسيا القيصرية لوتشون **Lushun** وداليان**Talien** ، وبذلك أصبحت الصين تواجه خطر التقسيم الحقيقى، وفى الوقت نفسه كانت حكومة تشينغ قد تنازلت عن تايوان إلى اليابان بمقتضى اتفاقية شيمونوسكى ، وجاءت هذه المذكرة فى وضع حرج تتعرض له الصين

وهى تعتبر أخطر وأقوى المذكرات التى كتبها كانغ لدرجة أن البعض اعتبرها ضربًا من ضروب المغامرة بحياة كانغ نفسه؛ فقد اشتملت على عبارات شديدة اللهجة وكلمات التحذير اللاذعة الموجهة إلى حكومة تشينغ التى فقدت مصدقيتها فى البلاد، وأصبحت على شفير الانهيار الحقيقى، وألحّ كانغ فى طلبه بحتمية الإصلاح ، واعتبره الملاذ الأخير للإمبراطور إذا أراد أن يظل فى السلطة .

والأهم من ذلك كله أن المذكرة وضعت أمام الإمبراطور برنامجًا شاملاً للإصلاح الجذرى يبدأ بإصلاح القوانين والنظم، وطالبته أن يحذو حذو الإمبراطور اليابانى ميجى Meiji [١٨] وبطرس روسيا الأكبر، كما جسد كانغ النتائج المثمرة التى أحرزتها حركة الإصلاح فى تلكما الدولتين، وطالب أن يلعب الدور الذى لعبه السياسى اليابانى هيرو بومى آتو[١٩] Hirobumi Ito داخل الإصلاح اليابانى ، مؤكداً أن ما ينفع اليابان ينفع الصين، وخاصة أن الصين تمتلك أراضى شاسعة وعدداً هائلاً من السكان والموارد الاقتصادية التى تكفى لتحقيق الإصلاح. وفى مقدمة كتابه "تحقيق عن إصلاح ميجى فى اليابان" يقول كانغ: " إن أوروبا وأمريكا استغرقت ثلاثمائة سنة لتشكيل نظمها الحكومية، بينما اليابان أسست نفسها على غرار النظام الأوروبى والأمريكى فى خلال ثلاثين عامًا فقط، ومن ثم فالصين المجاورة لليابان – والتى تتمتع بالمساحات الشاسعة والعدد الهائل من السكان – تستطيع أن تحقق البناء الأولى الحديث لها فى ثلاث سنوات، وتخطو نحو الاتجاه السليم فى خلال خمس سنوات ، وتصبح قوة عالمية فى عشر سنوات."وقد استحوذت إنجازات حركة إصلاح ميجى على إعجاب كانغ وأتباعه ؛ لأنها جعلت للبرجوازية كلمة مسموعة داخل السلطة الحاكمة بالرغم

من نظام ملكيتها، كما أنهم أدركوا تماماً أن التعلم من الغرب واليابان هو بمثابة الدواء الناجح لكل أمراض الصين المزمنة، ويؤكد الزعيم الصيني ماوتسي تونج هذا الاتجاه للإصلاحيين البرجوازيين فيقول: (*):

" إن التحديث هو القادر وحده على إنقاذ البلاد ولا يتحقق ذلك إلا من خلال التعلم من الدول الأجنبية، ومن بينها الدول الرأسمالية الغربية التي حققت التقدم وأقامت بنجاح دولاً برجوازية حديثة. ولما أحرز اليابانيون نتائج جيدة بتعلمهم من الغرب، كان الصينيون يتمنون أيضاً أن يتعلموا من اليابانيين ". وهكذا سعى الصينيون إلى التعلم من الدول الأجنبية منذ أربعينيات القرن التاسع عشر حتى مستهل القرن العشرين ".

ولا جرم - إذن - أن تدفع المذكرة الخامسة والسادسة الإمبراطور إلى قبول أفكار الإصلاح بما يتلاءم مع مطالب الإصلاحيين البرجوازيين، وبدأ فعلاً يصدر المراسم التي تتضمن خطط وإجراءات تنفيذ الإصلاح في البلاد، وكان من الطبيعي أن يهلل الإصلاحيون لتلك المراسم التي ترمي إلى إنقاذ الصين من تفتيت أوصالها وتحويلها من شبه مستعمرة وشبه إقطاعية إلى أمة مستقلة .

وأبدى الإمبراطور اهتمامه في إجراء الإصلاح الفعلي داخل البلاد من أجل التخلص من سيطرة جناح أم الإمبراطور تسي تشي المؤيد النظم والقوانين القديمة والداعي إلى التمسك بطريق الأسلاف، وأصدر مرسوماً إمبراطورياً يتضمن خطط الإصلاح في ١١ يونيه عام ١٨٩٨، وبذلك عرفت البلاد الطريق إلى الإصلاح بصورة رسمية لأول مرة، كما

(*) ( مؤلفات ماوتسي تونج المختارة ) مقال حول الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية، دار الشعب للنشر، بكين ١٩٩٦ ، ص ١٣٥٧ - ١٣٧١ ( بالصينية ).

أصدر أمراً بدعوة كانغ يو وى لمقابلته فى ١٦ يونيه، محطمًا بذلك الحواجز التى فرضتها الأسرة الحاكمة من مقابلة صغار الموظفين، وأوضح كانغ - خلال المقابلة - للإمبراطور أن مصير الصين يتأرجح بين البقاء والفناء إبان إعتداء الدول الأجنبية عليها، وأن الإصلاحات الشاملة وحدها هى القادرة على أن تجعل الصين تسترد قوتها، كما بيّن كانغ أن إجراءات الإصلاح فى الأعوام المنصرمة كانت هشة وعقيمة وغير شاملة ولا هادفة ولا يمكن أن تحقق التغير الجذرى، كما حاول أن يقنع الإمبراطور بما ذكره فى كتابه " تحقيق عن إصلاح ميجى فى اليابان "، وفى نهاية المقابلة التى استمرت ساعتين، أكد الإمبراطور أنه لا رجعة عن إحداث التغييرات العميقة والإصلاحات الهادفة، واستمر المرسوم الإمبراطورى سارى المفعول حتى يوم ٢١ سبتمبر من العام نفسه، وهو التاريخ الذى نظّم فيه المتزمتون والمعارضون للإصلاح انقلابهم بزعامة أم الإمبراطور ضد الإمبراطور قوانغ شى، ليوجهوا ضربة قاصمة إلى الإصلاح ومؤيديه، وتعرف تلك الفترة فى تاريخ الصين الحديث " بإصلاح مائة يوم ".

وأصدر الإمبراطور قوانغ شى خلال تلك الفترة ما يقرب من مائة وعشر وثيقة تتضمن الإجراءات الإصلاحية فى كافة المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية، وعقد كانغ وأتباعه آمالهم على الإمبراطور باعتباره صاحب السلطة الفعلية فى البلاد، ولكن لم يكن الأمر هكذا؛ إذ أصبحت قرارات الإمبراطور غير فعالة، ولم تحقق سوى إصلاحات جزئية، ولم تتجسد فى حقائق ملموسة، والأنكى من ذلك أن أم الإمبراطور استطاعت أن تستحوذ على مقاليد الحكم بالرغم من أن الإمبراطور ظل متربعًا على العرش لعدة سنوات. وفى الوقت نفسه،

تراجع نواب الإمبراطور فى المقاطعات عن الإصلاح، وربأوا بأنفسهم عن معترك الإصلاح الشائك وآثروا سياسة الترقب والانتظار، ولم يصمد فى وجه الريح سوى تشن باوتشن Chen Pao Chen حاكم مقاطعة هونان الذى بذل جهداً يحسب له لتنفيذ إجراءات الإصلاح .

وفى الوقت الذى بدأت حركة الإصلاح تأخذ طريقها إلى القمة ، حيكت حولها المؤامرات، ولم يسلم الإمبراطور والمؤيدون للإصلاح من كيد الكائدين ، ولاسيما من جانب جناح أم الإمبراطور تسى تشى، وبلغ الصراع أشده بين المعارضين والمؤيدين، واعتبرت تسى تشى أن إجراءات الإصلاح من جانب الإمبراطور بمثابة تهديد مباشر وتقليص لنفوذها على الساحة السياسية فى البلاد، وأخذت تفكر فى التخطيط للقيام بانقلاب ضد الإمبراطور قوانغ شى من خلال التعاون الوثيق مع المعارضين وعلى رأسهم جونغ لو Jung Lu التى أمرت بنقله إلى تيانجين ليكون نائب الإمبراطور فى مقاطعة خبى، ويتولى قيادة الجيش الشمالى بما فيها قوات المشاه الحديثة التدريب بقيادة يوان شى كاى [٢٠] Yuan Shi Kai ، واتفقت معه أن يصطحبها الإمبراطور إلى تيانجين بهدف استعراض القوات العسكرية، وهناك تقوم القوات العسكرية بإجبار قوانغ تشى على التنازل عن العرش، ثم تنصب هى إمبراطوراً جديداً يدين لها بالولاء، كما ظهر لفيف من المثقفين لم يرق لهم أفكار الإمبراطور الإصلاحية واحتضانه للمصلحين ورواده، ورأوا أن هؤلاء الإصلاحيين ينبغى حربهم واستئصال شأفتهم، لدرجة أن تسنغ ليان وهو أحد حاملى لقب جيو رن من مقاطعة هونان كتب مذكرة إلى الإمبراطور يطالبه فيها بتنفيذ حكم الإعدام فى كانغ يو وى وتلميذه ليانغ تشى تشاو، وبعد أن صدر المرسوم الإمبراطورى فى ١٤ سبتمبر عام

١٨٩٨ بأن يعمل المانشوريون (شعب منشوريا المنغولى الذى غزا الصين وأسس سلالة حاكمة عام ١٦٤٤) للحصول على قوتهم بأنفسهم، اتخذه نبلاء منشوريا ذريعة للهجوم على الإمبراطور وحركة الإصلاح، وتقدموا بالشكوى إلى أم الإمبراطور، واتهموا الإمبراطور بمعاداة المانشوريين، وطلبوا منها أيضاً أن تتسلم مقاليد الحكم .

وهكذا تكاتفت القوى المُعادية التى عملت على اجتثاث جذور الإصلاح مع جناح أم الإمبراطور، وشنت حملة لا هوادة فيها على الإصلاحيين البرجوازيين، واحتدم الصراع بين الطرفين فى أوائل سبتمبر عام ١٨٩٨، وخاصة بعد أن طرد الإمبراطور ستة من كبار الموظفين المعارضين للإصلاح ، وأصبح الباب مفتوحاً على مصراعيه لتدخل الدول الأجنبية، وبالفعل طلب الإمبراطور المساعدة العاجلة من البريطانيين واليابانيين، وساعده فى ذلك كانغ يو وى وقابل السياسى اليابانى هيرو بومى آتو ، وطلب منه أن يتوسط لتخليص الإمبراطور من ضغط تسى تشى، كما بذل كانغ جهوداً مضنية لجذب يوان شى كاى إلى صف الإمبراطور وإجهاض مؤامرة أم الإمبراطور تسى تشى أثناء القيام بالاستعراض العسكرى ومحاصرة القصر الصيفى[٢١] حيث تقيم أم الإمبراطور حتى يمكن إنقاذ الإمبراطور من أنياب تسى تشى .

ولكن وقع كانغ يو وى وأتباعه فى فخاخ يوان شى كاى الماكر الخادع الذى تظاهر بالولاء للإمبراطور، وهرع إلى جونغ لو **Jung Lu** ، وأخبره بتفاصيل مؤامرة الإمبراطور والمؤيدين للإصلاح، ومن ثم غادرت تسى تشى القصر الصيفى فى ٢١ سبتمبر إلى حيث يقيم الإمبراطور فى المدينة المحرمة[٢٢]. ووجهت إليه سيل من خراطيم الشتائم، واتهمته

بالعقوق والعصيان، وأمرت بتحديد إقامته فى جزيرة يتغتاى (Ocean Terrace) فى بحر جونغنان Zhong Nan ، وبذلك استولت أم الإمبراطور على زمام السلطة مرة أخرى فى حكومة تشينغ، وبالتالي ألغت جميع إجراءات الإصلاح، ولم يبق منها سوى أكاديمية العاصمة قائمة وسط أطلال الإصلاح .

وفى أعقاب الانقلاب ، قاد جونغ لو حملة واسعة النطاق لاعتقال الإصلاحيين وأتباع الإمبراطور قوانغ تشى. وفى المسرحية (الفصل الأول) نجد الحوار الآتى :

**وانغ لى فــا** : يا تانغ تيه ذوى، لماذا رجعت هنا مرة أخرى ؟

**تانغ تيه ذوى** : الاضطرابات تجتاح الشوارع، ولا أعرف ماذا حدث !

**بانغ تاى جين** : لامراء أنهم يبحثون عن أتباع تان سى تونغ الهاربين ، أليس كذلك؟

يا تانغ تيه ذوى ، لا تقلق، لن يقبض عليك أحد !

واستطاع كانغ يو وى بشق الأنفس أن يلوذ بالفرار من بكين إلى هونج كونج جريحًا مكلومًا لا يملك سوى أضغاث الأحلام بعد أن ظل ساهرًا على العهد حافظ الإلّ والميثاق. أما تلميذه ليانغ تشى تشاو فقد هرب إلى اليابان بمساعدة اليابانيين أنفسهم، بينما وقع ستة آخرون من زعماء حركة الإصلاح داخل مصيدة الاعتقال وعلى رأسهم تان سى تونغ، ونفذ فيهم جميعًا حكم الإعدام فى ٨٢ سبتمبر عام ١٨٩٨، وأطلق عليهم فى التاريخ " شهداء الإصلاح الستة لعام ١٨٩٨ ".

وفـي المسرحية أو بالأحرى داخل ( المقهى ) ينقسم زبائن المقهى بـين مـؤيـد ومعارض لحركة الإصـلاح، ويظهر ذلك من الحوار الآتى فى ( الفصل الأول ) :

**تشين جـون اى :** يا سـيـد بانـغ ! هل شـعـرت بالراحـة فى الأيام الأخيرة ؟

**بانغ تاى جيـن :** طبعًا، أشعر بالراحة ؟ النظام يسود البلاد: صدر مرسوم إمبراطورى بتنفيذ حكم الإعدام فى تان سى تونغ ! وأقول لك، من تخول له نفسه أن يفكر فى تـغـيـيـر نظم الحكم التى أرسى قـواعـدها أسلافنا سوف تُقطع رأسه !

**تشين جون اى :** أعرف ذلك منذ زمن طويل !

ولا يغفل التاريخ الصينى الحديث أن يذكر دور يوان شى كاى الدنىء والبذىء فى إجهاض الحركة الإصلاحية البرجوازية وإعدام زعمائها بعد أن ارتمى فى أحضان أم الإمبراطور وتردى فى حمأة الخيانة العظمى .

وليس ذلك سوى استعراض ظاهر لأهم أحداث الحركة الإصلاحية البرجوازية عام ١٨٩٨ التى كانت بمثابة بذر البذور التى اجتنى ثمرتها فيما بعد، وإن كانت حركة الإصلاح قد أخفقت من الناحية السياسية، إلا أنها أحرزت نجاحًا – ولو كان ضئيلاً ومحدوداً – من الناحية الأيديولوجية ؛ فمن الناحية الأيديولوجية ، حاولت الحركة أن تضىء ظلمات المجتمع من خلال العلوم الحديثة الغربية وتقويض دعائم الأيديولوجية الإقطاعية فى البلاد، ومن ثم اجتاح البلاد – وإن كان فى

نطاق محدود – رغبة التخلص من القديم والمطالبة بمزيد من الديمقراطية حتى شهدت البلاد فى أواخر القرن التاسع عشر الثورة الديمقراطية البرجوازية بزعامة الدكتور صن يات – صن Sen Yat – Sun ، وبذلك انتشر النفوذ الأيديولوجي للحركة بعد أفول نجمها السياسى ، وتحول المثقفون والمتعلمون من تأييدهم للإصلاح إلى المطالبة بالديمقراطية لتقويض دعائم الحكم الإقطاعى لأسرة تشينغ.

أما من الناحية السياسية، فقد منيت الحركة بالفشل الذريع لعدة أسباب، من أهمها أن الذين اضطلعوا بهذه الحركة كانوا من المثقفين والمتعلمين البيروقراطيين المنبثقين من طبقة ملاك الأراضى، وتحولوا إلى برجوازيين بهدف تحقيق رغبات الطبقة التى ينتمون إليها، كما كان الافتقار إلى قاعدة شعبية حقيقية قادرة على تحطيم القديم وتبنى الجديد من أهم الأسباب التى بكّرت بفشل الحركة وتقويضها فى مهدها ؛ فقد ظل زعماء الإصلاح يخشون الانتقاضات الشعبية والحركات الثورية، واعتبروها نذير شؤم، ومن ثم لم يؤيد الإجراءات الإصلاحية سوى ثلّة من المثقفين والمتعلمين البيروقراطيين من طبقة ملاك الأراضى الموالين للإصلاح، أما جمهرة الشعب الصينى فقد رفضت أن ترضعها لأنها لم تولد من أحشائها، وقد اتسمت الحركة الإصلاحية خلال مراحل تطورها بالرجعية والتبعية ولاسيما بعد أن تشبث الإصلاحيون بالنظام القديم وبسلطة الإمبراطور، ورأوا أن الإصلاح لايتحقق إلا عن طريق مراسم الإمبراطور المشفوعة بأختام الأسرة الحاكمة. والأدهى من ذلك، ففى أواخر القرن التاسع عشر انهار الأساس الذى ارتكزت عليه الحركة الإصلاحية البرجوازية وهو تعاليم كونفوشيوس النظرية وسلطة الإمبراطور السياسية. ومع ذلك ظل كانغ يو وى يمسك بهما واعتبرهما

رامزاً للإصلاح، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل دعا أيضًا إلى التمسك بطريق الأسلاف والدفاع عن النظام الحاكم. ولا غرابة إذن أن يصفه أديب الصين لوشيون [٢٢] بأنه " من دعاة العودة إلى القديم "، وحتى بعد هروبهما، تمسك كانغ يو وى وليانغ تشى تشاو بنزعتهما الإصلاحية البرجوازية، ورفضا الانصياع لنداء الديمقراطيين البرجوازيين، وعارضا الثورة بكل شراسة، وهكذا نرى أن الخطر الذى أطاح بالحركة كان منبعه زعماء الحركة أنفسهم الذين كانوا بمثابة الحارس الأمين اليقظ على ثورتهم، وصدق فيهم المثل العربى "من مأمنه يؤتى الحذر ".

# المحور الثانى

## تأسيس الجمهورية والصراع بين حكام الولايات العسكريين

بعد فشل الحركة الإصلاحية البرجوازية فى عام ١٨٩٨، وبعد أن بدأت ذؤابات الأمل فى النفوس تكاد تذوى وتذبل فى تحقيق إصلاح تقدمى فى البلاد، مالبث أن طرأ على الساحة السياسية ثمة تغييرات أحيت ما كاد يموت داخل النفوس، وتجسد ذلك فى ازدياد حدة التناقضات بين حكومة تشينغ الإقطاعية والجماهير الشعبية الغفيرة من ناحية، ومن ناحية أخرى اتسعت بؤرة الصراع بين الأمة الصينية والدول الإمبريالية. وقد كان ذلك فى أعقاب حرب قوات الدول الثمانى المتحالفة (بريطانيا، الولايات المتحدة، ألمانيا، فرنسا، روسيا، اليابان، إيطاليا، النمسا) لغزو الصين عام ١٩٠٠؛ فقد دفعت تلك الدول قواتها المشتركة فى محاولة لقمع انتفاضة يى خه توان [٢٤] المناهضة للاستعمار، وناضل الشعب الصينى ببسالة ضد هذه القوات، ولكنها استطاعت أن تحتل داقو **Dagu** وتيانجين **Tianjin** وبكين **Peking**، وكشفت هذه الحرب عن الوجه القبيح لأسرة تشينغ من ميولها الآثمة لكسب رضى الإمبريالية وتأييدها على حساب الشعب الصينى، ولاسيما بعد أن أبرمت مع تلك الدول معاهدة عام ١٩٠١ التى وطدت أقدام الإمبريالية فى الصين، وأبرزت للعيان أن حكومة تشينغ أصبحت أداة طيعة فى يد المستعمرين، وفقدت مصدقيها فى البلاد. والأدهى من ذلك أن حكومة تشينغ تعهدت أيضًا أن تحمى وجود تلك الدول من المقاومة

الشعبية ودفع التعويضات المالية لها، واصبحت حكومة تشينغ جاثمة فوق أنفاس الشعب الصينى الكادح جثوم الشياطين والسائرين به إلى الهوة الفاغرة، والصفقة السياسية الخاسرة، ومن ثم إندلعت المقاومة الشعبية ضد حكومة تشينغ ابتداء من عام ١٩٠١ إلى عام ١٩١٠، كما وقعت الانتفاضات المسلحة فى بحر من البشر الهادر، وانتشرت من أقصى البلاد إلى أقصاها. ومما لاشك فيه أن الانتفاضات الشعبية المسلحة وضعت الإرهاصات الثورية الأولى لاندلاع الثورة الديمقراطية البرجوازية فى عام ١٩١١ للإطاحة بالحكم الإقطاعى الملكى الذى وصم الحياة السياسية فى الصين لفترة تزيد على ألفى عام .

بدأت الثورة الديمقراطية البرجوازية الصينية ضد الإمبريالية والإقطاعية على يد الدكتور صن يات - صن ( ١٨٦٦ - ١٩٢٥) الزعيم الثورى الجمهورى والأب الروحى لتأسيس الجمهورية فى الصين، كان والده فلاحًا فقيرًا يعيش فى **Hsiang Shan** بالقرب من ماكاو. تلقى صن تعليمه الأولى فى هونولولو **Honolulu** ، فى المدارس التبشيرية التى أنشأها الإنجليز والأمريكان، تحت رعاية أخيه الأكبر الرأسمالى المغترب هناك. وبعد ذلك، التحق بالمعهد الطبى الأجنبى فى هونج كونج، وهناك توطدت صداقته مع سير جيمس كانتلى **Sir James Cantlie** .

ولا ينبغى أن يغرب عن بالنا أن هناك ثمة عوامل شحذت عزيمة الشاب صن وألهبت قريحته، وجعلته يتخذ الطريق الثورى منارة له لتقويض أساس الحكم الإقطاعى فى البلاد ؛ فقد تلقى تعليمه فى صدر شبابه فى المدارس التبشيرية الأجنبية، ولذا كان تعليمه برجوازيًا غربيًا،

ونال كثيراً من العلوم الطبيعية، وألم ببعض النظريات السياسية الاجتماعية الرأسمالية. وقد ساعد ذلك على بلورة أفكاره الثورية إزاء القيام بثورة ديمقراطية برجوازية فى البلاد، كما عاش صن فترة طويلة فى أوروبا وأمريكا، ومن خلالها اعتقد أن الأنظمة الاجتماعية للدول الرأسمالية لم تكن كاملة أيضاً؛ لأن السلطات السياسية فى أيدى قلة فضلاً عن أن البون الشاسع بين الأغنياء والفقراء قد أدى إلى حدوث الاضطرابات والفوضى الاجتماعية، لذلك طالب بمبدأ " تحقيق المساواة فى ملكية الأرض" ، وطرح الآراء الثورية الإصلاحية لسد الثغرات فى النظام الرأسمالى .

وفى عام ١٨٩٢ تخرج صن فى المعهد الطبى الأجنبى، ومارس مهنة الطب فى ماكاو وقوانغتشو. وفى الوقت نفسه، بدأ يعد العدة لنشاطاته السياسية ضد حكومة تشينغ الرجعية، وقام صن بتحليل وتقصى حقائق الأوضاع السياسية فى الصين، فأدرك أن ضياع سيادة الصين وهزيمتها فى حربها مع فرنسا، بالإضافة إلى الهزيمة المروعة التى مُني بها الجيش الصينى فى معركة آسان فى كوريا خلال الحرب الصينية - اليابانية عام ١٨٩٤ يرجع إلى الجو السياسى المعبأ بفساد حكومة تشينغ الانهزامية. وهاله أن يجد حكومة تشينغ لا تكترث بهذه الهزيمة التى هزت البلاد كلها، وأصبحت حكومة صورية لا ترد ولا تصد، ولا ترن ولا تزن، ولا تنطق ولا تحس، وأن الكرى قد أخذ بمعاقد أجفان حكام البلاد، ولذا كتب مذكرة وأرسلها إلى لى هونغ تشانغ أحد كبار البيروقراطيين فى حكومة تشينغ وقتئذ معبراً فيها عن آرائه السياسية، وحاول أن يجعل موقف الديمقراطية البرجوازية يتسم بالإصلاحات الاجتماعية الصالحة لتطوير الرأسمالية بواسطة

البيروقراطيين الكبار، ولكن كان نصيب المذكرة الإهمال ورفض لى أن يستقبل صن . وهنا أدرك الدكتور صن بنزعته الثورية أن الطريق إلى الإصلاح مسدود تمامًا ولا يمكن الإطاحة بحكم أسرة تشينغ إلا بالعنف، ولذا كرس جهوده على نشر أفكاره الثورية فى الداخل والخارج وجمع الأموال اللازمة وحشد القوى الثورية وتكوين الجمعيات السرية تحت ستار الاشتغال بالأعمال الطبية والزراعية ، وحاول الدكتور صن أن يستغل اندلاع ثورة البوكسرز [٢٥] Boxers فى عام ١٩٠٠ كذريعة لإقامة الحكومة الديمقراطية ووضع نهاية لحكم أسرة تشينغ ، ولكن محاولته أجهضت قبل ولادتها .

وازدات رغبة الدكتور صن فى القيام بالثورة ازدياداً كبيراً ، وقام برحلة عمل فى الجنوب بمدينة ووهان، وتفقد الوضع فى حوض نهر اليانغشى، ثم مر بشنغهاى إلى هونولولو، وفيها أخذ يشرح بنشاط للمغتربين الصينيين فيما وراء البحار الأفكار الثورية ضد حكومة تشينغ، ولاقت أفكاره تأييداً من جانب بعض المغتربين التقدميين. وفى عام ١٨٩٤ أسس الدكتور صن أول جمعية ثورية برجوازية تتألف من المغتربين، أطلق عليها اسم جمعية ( إنهاض الصين). وقد أثار توقيع معاهدة شيمونوسكى واستسلام الصين بموجبها حفيظة صن واستيائه، ورحل من هونولولو إلى هونج كونج حيث أسس أيضًا ( جمعية إنهاض الصين) هناك، وقرر صن انتفاضة مسلحة والاستيلاء على مدينة قوانغتشو لتكون قاعدة ينطلق منها الثوار، وحددت الجمعية منهاج صن الثورى فى المرحلة الابتدائية ، ويتجلى فى ثلاث نقاط: القضاء على سلالة أسرة تشينغ، بعث الصين ، إنشاء حكومة اتحادية ، وإن كانت انتفاضة قوانغتشو بقيادتة قد قمعت فى مهدها، غير أنها كانت بمثابة

نقطة البداية لثورة ١٩١١ ذات مغزى تاريخى معين. وبعد ذلك رحل صن إلى اليابان، وأنشأ فرعًا لجمعية ( إنهاض الصين ) فى مدينة يوكوهاما اليابانية، ثم انتقل إلى هونولولو والولايات المتحدة وبريطانيا ينشر الآراء الثورية بين المغتربين الصينيين، ثم رجع إلى اليابان عام ١٨٩٧ للقيام بالأعمال التحضيرية للثورة الصينية .

لاقت النشاطات الثورية البرجوازية تأييداً من الشعب بمرور الأيام حتى أصبحت تياراً اجتماعيًا بالتدريج، وبعد إنشاء (جمعية إنهاض الصين) ، ظهرت بالتتابع جمعيات ثورية برجوازية مثل ( جمعية بعث الصين) التى أسسها الطلاب الصينيون المبعوثون فى اليابان عام ١٩٠٣، و(جمعية نهضة الصين) وغيرهما من الجمعيات التى امتدت من أقصى البلاد إلى أقصاها، وقد أدت هزيمة الصين فى الحرب اليابانية - الصينية عام ١٨٩٥ إلى إفلاس جماعة فرض الحضارة الغربية. وبعد ذلك، وفى عام ١٨٩٨ فشلت الحركة الإصلاحية البرجوازية التى قادها كانغ يو وى، وليانغ تشى تشاو، وتان تسى تونغ، وكان ذلك بمثابة نبراس الخطر للشباب الصينى أن يبحث عن مخرج لانتشال البلاد من أزمتها السياسية، ووجدوا ضالتهم الرشيدة فى اليابان المجاورة للصين، وتدفقت أعداد هائلة منهم إلى هناك طلبًا للتعلم؛ حيث بدأت اليابان تجنى ثمار تعلمها من الغرب، وكانت رسوم الدراسة قليلة. وهناك تشبع الشباب الصينى التقدمى بالأفكار والثقافة الغربية، وتعاطفوا مع الثورة الديمقراطية، فى الوقت الذى بدأ المد الثورى لها يتغلغل داخل وجدان الشعب .

وتركزت نشاطات تلك الجمعيات الثورية فى مقاطعات قوانغ دونغ وهونان وهوبى والمقاطعات الأخرى عند حوض نهر اليانغتسى الأسفل،

حيث كانت الصناعة والتجارة متطورين نسبيًا، والاتصالات الخارجية كثيرة، وكان الشباب المبعوث إلى الخارج لتلقى التعليم الغربى كثيراً، كما كان الصراع عنيفًا بين الأفكار القديمة والجديدة. ومن ثم أصبحت تلك المناطق بفعل نشاطات الثوريين مراكز للثورة الديمقراطية البرجوازية فى تلك الفترة، وكانت مقاومة حكومة تشينغ والإطاحة بها عن طريق الانتفاضات المسلحة، وتأليف وترجمة الكتب المتعلقة بالثورة البرجوازية فى الدول الغربية لتعريف الأفكار الثورية الديمقراطية البرجوازية هى الهدف المشترك الأعظم بين الجمعيات الثورية المنتشرة فى أنحاء البلاد قاطبة .

وبعد مرور عشر سنوات على إنشاء ( جمعية إنهاض الصين) فى عام ١٨٩٤، طرأت على الساحة السياسية الخارجية والداخلية ثمة تغييرات هائلة؛ فعلى الصعيد الداخلى، أصبحت الإطاحة بحكومة تشينغ صوتًا واحداً معبراً عن الاستياء والنفور من الوضع السياسى الداخلى من جانب مختلف القوميات فى الصين، كما أظهرت تلك التغييرات أن الموقف السياسى أصبح فى حاجة ماسة إلى حزب سياسى ثورى موحد يقود الثورة الديمقراطية البرجوازية إلى الأمام ويرمز إلى بدء مد الثورة الديمقراطية البرجوازية الصينية. وفى يونيه عام ١٩٠٥ عاد الدكتور صن إلى اليابان قادمًا من أوروبا ، واجتمع مع ممثلى ( جمعية نهضة الصين) وتدارس معهم فكرة تأسيس حزب سياسى ثورى استناداً إلى متطلبات الواقع السياسى. وفى ٣٠ يونيه من العام نفسه، عقد أول اجتماع اتحادى بطوكيو حضره أغلب ممثلى الجمعيات الثورية، وقرروا إنشاء ( الحلف الثورى الصينى) على أساس ( جمعية إنهاض الصين)

و( جمعية نهضة الصين) ومتحد مع (جمعية بعث الصين) والجمعيات الثورية الأخرى؛ مما ساعد على دفع الثورة الديمقراطية البرجوازية إلى الأمام، واستبدلت بالجمعيات الثورية الصغيرة المتفرقة الحزب السياسى الثورى الموحد، فقويت وحدة الثوريين وتعززت قواتهم، كما أصبح للقوة الثورية منهاجًا سياسيًا وهيئة تنظيمية كاملة.

وفى ٢٠ أغسطس افتتح اجتماع إنشاء حلف ثورى صينى فى طوكيو، وحضره مئات الأعضاء وأقروا فيه المنهاج العام للحلف، وانتخب الدكتور صن يات - صن رئيسًا للحلف، كما أنشىءت القيادة العامة للحلف فى طوكيو. وفى أكتوبر بدأت ( صحيفة الشعب) The Min Bao النشر ، ناطقة باسم القيادة العامة للحلف الثورى. ونشر الدكتور صن فى عددها الأول مقدمة سلّط فيها الأضواء على البرنامج السياسى والمبادئ الثورية له خلال مرحلة الثورة الديمقراطية البرجوازية عام ١٩١١، ويمكن تلخيص تلك المبادئ فى: فكرة " الوطنية " التى تعنى الإطاحة الكاملة بأسرة تشينغ الحاكمة ووضع حد فاصل بين الثوريين والإصلاحيين وبعث الصين، وفكرة "الديمقراطية التى تتجسد فى تأسيس الجمهورية وإبادة الملكية الإقطاعية، وفكرة " رفاهية الشعب " التى تتجلى فى المساواة فى ملكية الأرض كوسيلة لحل مشكلة الأرض وإعاقة نمو الرأسمالية فى الصين. ولاشك أن فكرة المساواة فى ملكية الأرض قد تمخضت عن تأثر الدكتور صن بثورة التايبينغ عندما كان صبيًا غريرًا. وفى الحقيقة نرى أن برنامج الحلف الثورى الصينى الذى وضعه صن كان بالدرجة الأولى برنامج يهدف إلى تأسيس الجمهورية البرجوازية، وكان هذا البرنامج السياسى بمثابة أمضى الأسلحة فى أيدى الثوريين

البرجوازيين ومكنهم من إحراز النصر تلو الآخر على الإصلاحيين البرجوازيين. ومن ناحية أخرى، يعتبر الحلف الثورى الصينى أول حزب برجوازى سياسى فى الصين تم تنظيمه علي أحسن وجه، وكان ذا مبادئ وأهداف ثورية، ويختلف اختلافًا جوهريًا عن الجمعيات السرية الإقطاعية والفرق الدينية التى تكونت فى الماضى .

وعلى الصعيد الخارجى، لم يتقاعس الدكتور صن عن نشر الأفكار الثورية بين المغتربين الصينيين فيما وراء البحار وجمع الأموال اللازمة لممارسة النشاطات الثورية من خلال المنظمات السرية، حتى إنه اختطف فى عام ١٨٩٦ أثناء تواجده فى لندن ، واعتقل فى دار المفوضية الصينية هناك لعدة أيام، ثم أطلق سراحه بعد مذكرة صديقه . Sir James Cantlie وفى عام ١٩٠٣ وصل الدكتور صن إلى هونولولو مرة أخرى ، وانضم إلى إحدى شعب " العصبة الحمراء" ( جمعية من الجمعيات السرية الشعبية فى فترة حكم أسرة تشينغ ). وفى أوائل عام ١٩٠٤، طاف بأمريكا باعتباره رئيسًا للجمعيات السرية ليشرح الأفكار الثورية بين أبناء وطنه فى المهجر. وفى عام ١٩٠٥، انتقل صن من أمريكا إلى أوروبا حيث أسس منظمات ثورية بين الطلاب الصينيين الموفدين إلى الخارج .

ولا نستطيع ان ندعى أن الحلف الثورى الصينى كان حلفًا قويًا متماسك البنيان استطاع أن يحقق الآمال الثورية المعقودة عليه ؛ فالخلاف فى الآراء السياسية أدى إلى تراخى الحلف وظهور الانشقاق السياسى والأيديولوجى بين صفوف أعضاء الحلف. وعلى الرغم من القبول الظاهرى لمبادئ صن الثورية ، إلا أن أعضاء ( جمعية نهضة الصين ) قد قبلت فكرتى الوطنية والديمقراطية، وفى الوقت نفسه رفضت

فكرة " تحقيق المساواة فى ملكية الأرض" ، ويرجع ذلك إلى أن بعض أعضاء الجمعية من عائلات ملاك الأراضى الكبار، كما انشق عن الحلف ( جمعية التقدم المشترك) التى غيرت مبدأ " تحقيق المساواة فى ملكية الأرض" إلى المبدأ الغامض "تحقيق المساواة فى حقوق الإنسان" ، ناهيك عن التناقض السياسى فى سياسة الحلف، فقد إنحصر هدف الحلف فى الهجوم على أسرة تشينغ دون الإمبريالية، ولم يدرك الثوريون البرجوازيون ماهية الإمبريالية العالمية وكيفية تطبيق الأفكار الوطنية المناوئة للإمبريالية إلى التطبيقات الواقعية، وبذلك قد أغفلوا التناقض الرئيسى فى المجتمع الصينى الحديث المتجسد فى التناقض الحاد بين الأمة الصينية والإمبريالية العالمية، ومن ثم ضعف المحتوى الوطنى لثورة ١٩١١ ، كما تتضمن إعلان السياسة الخارجية للحلف محاباة الإمبريالية ؛ إذ اعترف الثوريون البرجوازيون بامتيازات الإمبريالية فى الصين، أى اعترفوا أن تكون الصين شبه مستعمرة مقابل حياد الإمبريالية ودعمها للثورة ، وقد كشف ذلك عن طبيعة الثوريين البرجوازيين التى تتسم بعدم المثابرة على الثورة فى منهاجهم السياسى منذ الوهلة الأولى .

وبعد فشل الحركة الإصلاحية البرجوازية عام ١٨٩٨، شهدت كتلة الإصلاحيين - بفعل انقلاب أم الإمبراطور تسى تشى- انشقاقًا وإنفصالاً فاشترك بعضهم فى الثورة الديمقراطية ، وانضموا إلى ( جمعية إنهاض الصين)، ولكن زعماء الحركة وعلى رأسهم كانغ يو وى وليانغ تشى تشاو وغيرهما رفضوا الثورة الديمقراطية، وظلوا يصرون على الإصلاحية، وأصبحوا "ملكيين" وأعداء ألداء للثورة وحجر عثرة فى

دفـع الثـورة إلى الأمـام ، وخـاض الثـوريون نضـالاً مـريراً ضـد الإصـلاحـيين ، وكـان الدكـتـور صـن هو علم الديمقـراطيين الثـوريين الصينيين خلال هذا النضال .

وتجدر الإشارة إلى أن الصراع بين " الملكيين" و " الثوريين" كان صـراعًا أيديـولوجيًا فى المقام الأول. كان الدكتور صـن يأمل أن يحقق " الثورة السيـاسـيـة " جنبًا إلى جنب مـع "الثـورة الوطنيـة " فـالإطاحـة بحكومة تشينغ تعتبر ثورة سياسية تهدف إلى إقامـة حكومة دسـتورية ديمقراطية. وفى عـام ١٩٠٤ فى منفاه بالولايات المتحـدة، كتب الدكتور صن مقالاً بعنوان "الحل الحقيقى لمشكلات الصين" ، جاء فيه" ... إن الحكومـة القـديمة يجب أن تحل بحكومـة تقـدمـيـة مـتنورة جـديدة...، إن الجـمـهـورية الصـينيـة يجب أن تحـتل مكان ملكيـة تشـينغ" . أمـا الإصـلاحـيـون بقـيـادة كـانغ يو وى وضـعـوا نصب أعـينهم شـعـار "الديمقراطية" أثناء الحركة الإصلاحية، ولكنهم كانوا فى الواقع يؤيدون حلاً وسطًا بين " الملكية " و " الديمقراطية " ، وهو تقاسم السلطة بين الملكية والشعب، وذلك من منطلق تشدقهم بأن الصينيين ليسـوا أهلا كى يكونوا مواطنين فى جمهورية، وليس لديهم القدرة على ممارسة السياسة الديمقـراطية، كمـا أصروا على أن ممارسـة السـيـاسة الديمقـراطـيـة فى الصين لابد أن تحدث فتنة واضطرابًا فى " مجتمع الطبقات الدنيا " ، وسوف تؤدى إلى خراب المجتمع وتدخل الدول الإمبريالية وإيقاع الصين فى ورطة التقسيم والإبادة .

وبعد عام ١٩٠٥ احتدم النقاش والجدل بين " الملكيين" و "الثوريين"، وتمخض هذا الجدل عن إبراز الخلاف الجوهرى بين الطرفين؛ فقد كان يرغب الملكيون فى إصـلاح حكومـة تشـينغ دون تقـويض أسـاس الدولة،

وكانوا يرون أن اختيار الديمقراطية والملكية مسألة تتعلق بنظام الحكم وشكل الحكومة، واعتقد الإصلاحيون - ولاسيما ليانغ تشى تشاو - أن " الثورة السياسية" سوف تؤدى إلى الملكية الدستورية التى يمكن تحقيقها من خلال تقديم المذكرات إلى الحكومة الحاكمة، وأعلن ليانغ أنه يعارض " الثورة الوطنية" ؛ لأنها لا تتطلب الإطاحة بالملكية، وذلك يجعلها فى المرتبة الثانية. وهكذا نجد أن الإصلاحيين البرجوازيين يعارضون الثورة التى تهدف إلى القضاء على سلالة أسرة تشينغ الحاكمة والنظام الملكى الإقطاعى ، ولا يرون ثمة ضرورة لاندلاع الثورة. وفى الطرف الآخر، نجد الثوريين البرجوازيين يطالبون بقيام ثورة، ويكون هدفها إلغاء النظام الإقطاعى الذى استمر أكثر من ألفى عام وهدم الحكومة الملكية وتحويل طبقة ملاك الأراضى الديكتاتورية إلى جمهورية ديمقراطية برجوازية ، وهذا جعلهم يناصرون الثورة منذ بدايتها الأولى، بل وجعلهم قوة ديناميكية أكثر من قوة تقدمية خلال مراحل الثورة الديمقراطية البرجوازية .

وقد كشف الجدل بين " الملكيين" و " الثوريين" عن طبيعة تذبذب ومساومة الثوريين فيما يتعلق بمقاومة الإمبريالية والإقطاعية ؛ فكانوا يرون أن الإمبريالية لن تقضى على الصين لمحافظتها على توازن القوى فيها، وليس لها مبررات للتدخل فى ثورة الصين، كما ظهر ضعف الثوريين فى معاملة الجماهير وعدم اتخاذهم سياسة تعبئة الجماهير على نطاق واسع، بل كانوا يخافون منها ويحاولون تقييد أيدى الجماهير وأرجلها، وعلاوة على ذلك فإن السلطات القيادية فى بعض الجمعيات السرية كانت فى أيدى طبقة ملاك الأراضى، وما اهتم الثوريون البرجوازيون إلا بالمحافظة على الاتصالات بها، فانفصلوا عن جماهير

العمال والفلاحين انفصالاً بعيداً وهم قوة الثورة الرئيسية، حيث يمثلون ٩٠٪ من مجموع السكان ، وتدل كل هذه الاستنتاجات على أنه ليس هناك فرق جوهرى بين الثوريين والإصلاحيين فى معاملة الجماهير ومعاملة الإمبريالية ، ولئن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن ثورة ١٩١١ الديمقراطية استطاعت الإطاحة بأسرة تشينغ بفضل " الانتفاضات العفوية "و" النضالات الجماهيرية الهائجة" ، وحققت انتصاراً مبتوراً لم يستطع أن يقودهم إلى الأمام ليظفروا بالانتصار الكامل.

يمكننا تأريخ ميلاد الثورة الديمقراطية البرجوازية فى الصين بانتفاضة ووتشانغ Wuchang التى إندلعت فى ١٠ أكتوبر عام ١٩١١، وكانت الانتفاضة نتيجة طبيعية لتطور المد والجزر الثورى فى أنحاء البلاد قاطبة، وكان نشوب الإنتفاضة الشعبية المسلحة فى سيتشوان Sichuan من العوامل الرئيسية التى أدت إلى اندلاع الإنتفاضة فى ووتشانغ، كما كانت ثمرة الجهود المضنية المتواصلة للثوريين فى هونان Hunan وهوبى Hubei ، ونتيجة إيجابية أيضًا للنشاطات الفعالة للثوريين داخل الجيش الجديد المدجج بالأسلحة التى اشتراها الدكتور صن من الدولة الرأسمالية، وكانت كل هذه العوامل كفيلة أن تحقق النجاح لإنتفاضة ووتشانغ. ومنذ بداية الانتفاضة، انفصلت ١٤ مقاطعة من بين ٢٤ مقاطعة عن حكومة تشينغ، كما نشبت الانتفاضات فى المقاطعات التى لم تعلن الاستقلال بقيادة الجيش الجديد من الثوريين، وتطورت بسرعة النضالات المسلحة التى خاضها العمال والفلاحون من تلقاء أنفسهم وامتد المد الثورى فى البلاد كلها حتى وصل إلى مدينة

بكين عاصمة حكومة تشينغ. وتعتبر انتفاضة ووتشانغ تحت قيادة الثوريين وعلى رأسهم الدكتور صن يات - صن المد الثورى الثالث فى تاريخ الصين الحديث عقب ثورة التايبينغ وانتفاضة يي خه توان. ومع هذا المد الثورى الجديد انجرفت سلالة أسرة تشينغ الحاكمة، كما وضعت الثورة الديمقراطية نهاية للملكية الديكتاتورية التى حكمت الصين لأكثر من ألفى عام، وغرست راية الجمهورية الديمقراطية فى الساحة السياسية الصينية لأول مرة .

وبعد انتفاضة وو تشانغ، عدل العديد من الملكيين " فى المقاطعات المختلفة موقفهم إزاء الثورة، وسارعوا بالانضمام إليها من دافع خوفهم من بطش الثورة، وليس تأييداً لها؛ إذ كانت تحركهم الرغبة فى وضع نهاية سريعة للثورة قبل أن تتطور وتصبح انتفاضة هائجة من الجماهير الغفيرة، ولم يدرك الثوريون النوايا السيئة للإصلاحيين، ولذا خسروا موقع القيادة حتى عندما كانت الثورة منتصرة. وفى مجابهة الثورة اضطرت الدول الإمبريالية أن تعترف بزوال نفوذ حكومة تشينغ من البلاد، وقبلت أن تكون الصين جمهورية ديمقراطية على أن تتركز السلطة فى أيدى ممثلين من طبقات ملاك الأراضى الكبار والكومبرادوريين الكبار، ولهذا السبب رفضت الدول الأجنبية الاعتراف بحكومة نانجينغ المؤقتة برئاسة الدكتور صن يات - صن، ولكن عندما تولى يوان شى كاى العرش من حكومة تشينغ، وآلت إليه رئاسة الحكومة المؤقتة، ونصب نفسه رئيساً لجمهورية الصين، اعترفت به الدول الأجنبية، ومدت له يد العون والمساعدة .

وهكذا دارت الأيام دورتها لتعود شخصية يوان شى كاى إلى الظهور مرة أخرى على المسرح السياسى، وكان ذلك بفضل مساعدة

الدول الأجنبية التي قدمت له العون المادى والمعنوى لمطاردة الثوريين؛ فهو الصديق القديم للإميريالية والمعارض لتأسيس الجمهورية فى البلاد. ومن المعروف أن فى عام ١٩١٢ أقسم الدكتور صن يات - صن اليمين الدستورية معلنًا إقامة "جمهورية الصين"، وبدأت حكومة نانجينغ المؤقتة تقيم نظام الجمهورية الديمقراطية البرجوازية، وأصدرت فى فترة وجودها القصيرة بعض السياسات والقوانين المطابقة للمصالح الثورية ؛ لذا كان تأسيسها يوحى فى قلوب جماهير الشعب إعلان الحكم بالقضاء على سلطات أسرة تشينغ الرجعية، وكانت حكومة نانجينغ المؤقتة بمثابة جبهة معارضة ضد يوان شى كاى، وكان الدكتور صن يرغب فى التنازل عن الرئاسة ليوان مقابل موافقته على نظام الجمهورية. وفى الوقت نفسه، شن أتباع يوان شى كاى المناوئين للثورة بدعم الإمبريالية هجومًا مضاداً على الثوريين الديمقراطيين، وأعلنت الإمبريالية أنها لا تعترف بالجمهورية إلا بعد أن يوحد يوان شى كاى الجنوب والشمال، وفرضت ضغوطها العسكرية والاقتصادية على حكومة نانجينغ لإجبار الدكتور صن على التنازل عن الرئاسة .

ويجدر التنبيه على أن يوان شى كاى كان يعتقد أن الإطاحة بالملكية الإقطاعية يعنى انتشار الإضطرابات والزعازع، ولا يحل السلام فى البلاد لعدة عقود متتالية. وهكذا كانت سياسته المعلنة تهدف إلى الحفاظ على الملكية المحدودة فى إطار من الإصلاحات النظامية والعملية والاستمرار فى الحصول على العون المادى والعسكرى من الدول الأجنبية، واستمر يوان فى مطاردة القوة الثورية حتى فبراير عام ١٩١٢ عندما قررت حكومة تشينغ التخلى عن العرش. وفى يوم ١٤ فبراير تنازل الدكتور صن عن الرئاسة. وفى اليوم التالى انتخب مجلس

الشيوخ فى نانجينغ يوان شى كاى رئيساً للجمهورية. ومع ذلك ظل يؤيد المبادئ التى أعلنها جهاراً وينادى بها للحفاظ على التقاليد الكلاسيكية للحكومة والبقاء على النظام الكونفوشيوسى. وفى بعض الأحايين كان يظهر ولاءه الزائف للدساتير فى الجمهورية، ولكن دلت أفعاله على نواياه المشينة والمُعادية للثورة .

وفى صيف عام ١٩١٣، اندلعت الثورة الثانية فى الجنوب بزعامة الدكتور صن وزعماء المجموعات العسكرية لمعاقبة يوان شى كاى، ولكن لم يجد يوان صعوبة فى القضاء على هذه الثورة بفضل المعونة العسكرية التى قدمتها له الدول الأجنبية، واستطاع أن يبقى على عدد كبير من حكم الولايات العسكرية فى المقاطعات الذين يدينون له بالولاء والطاعة، ولكن فيما يبدو لم تتمركز فى يديه مقاليد الحكم كما كان من قبل، وفى خريف ١٩١٥ فشلت محاولات أنصاره فى استعادة السلطة فى البلاد. وفى عام ١٩١٦ فشل يوان أن ينصب نفسه إمبراطوراً على البلاد حتى عاجلته المنية فى ٦ يونيه عام ١٩١٦ ، وفى عام ١٩١٧، أى بعد وفاة يوان شى كاى وفشله فى إعادة الملكية وتنصيب نفسه إمبراطوراً، عاد الدكتور صن ونصب نفسه رئيساً لحركة تأسيس الجمهورية المستقلة فى جنوب الصين، وسرعان ما توطدت علاقاته مع زعماء المجموعات العسكرية، ولاسيما فى كانتون، ولكنه – مع ذلك – استقال من منصبه كرئيس لجمهورية جنوب الصين، وظل الحكم العسكرى على نطاق واسع من جانب قوات كوانغ تسى **Kwang Si** حتى عام ١٩٢١، وفى فبراير عام ١٩٢٣ طالب الدكتور صن بسلامة قواته من معاداة كوانغ تسى ويون نان، واستطاع أن يهزم أحد خصومه الجنرال تشين **Chen** .

وكان على الجمهورية الصينية الفتية أن تواجه صعاباً جسيمة، فلم تكن مهمتها محصورة فى اغتصاب السلطة السياسية من الحكومة الإمبراطورية المتداعية ؛ لأنها لم تكن لها كثير من السلطة لعدم وجود حكومة مركزية بالمعنى الصحيح؛ فلابد إذن من إنشاء هذه الحكومة المركزية؛ فالصين القديمة لم تكن إمبراطورية إلا اسمياً ؛ لأنها بالفعل كانت عدداً من المناطق المستقلة التى تربطها أواصر واهية ؛ فقد كانت المقاطعات شبه مستقلة، وكذلك المدن والقرى. ومع أن سلطة الحكومة المركزية أو سلطة الإمبراطور كانت معترفاً بها، إلا أنها لم تكن تتدخل فى الشىءون الداخلية ؛ فلم يكن هنالك حكومة " موحدة " ذات سلطة وحكومة مركزية فى العاصمة ونظام موحد فى الحكومات المحلية المختلفة، وكانت هذه الإمبراطورية المرقعة التى إنهارت بفعل الضغط الصناعى الغربى والطمع الاستعمارى، ولذا فقد تبين أن الصين لن تكتب لها الحياة إلا إذا قامت فيها حكومة مركزية ذات حكومة موحدة، وكان هذا همّ الجمهورية الجديدة، وهى فكرة جديدة خلقت للجمهورية صعوبة جسيمة ، يزيدها صعوبة قلة وسائل المواصلات الجيدة كالطرق والسكك الحديدية التى كانت عقبة فى سبيل الوحدة السياسية .

وقد قامت المحاولات لاستعادة الإمبراطورية، ولكنها فشلت. وبالرغم من ذلك فإن الجمهورية لم تنجح فى بسط سلطتها على جميع أطراف الصين، أو بالأحرى لم تقم حكومة واحدة قادرة على ذلك، ومنذ ذلك الحين لم تظهر حكومة تدعى حكم الصين بأسرها دون منازع، وبقيت البلاد مدة من الزمن تحت حكومتين أساسيتين واحدة فى الشمال وأخرى فى الجنوب، وكانت السيادة فى الجنوب للدكتور صن  يات صن

زعيم الحزب الوطني المعروف بالكومينتانغ، وكانت السيادة في الشمال في يد يوان شي كاي، وجاء بعده عدد من الجنرالات والعسكريين الذين عرفوا باسم " توشون"، وكانوا لعنة على الصين في السنوات الأخيرة .

وكانت الصين في حالة لا تحسد عليها من فوضى مستمرة وحروب أهلية متكررة بين الشمال والجنوب أو بين العسكريين أنفسهم، وكان هذا مجالاً خصيبًا للدول الاستعمارية لبث الدسائس والكسب من وراء هذا الخلاف الداخلي بمعاضدة أحد العسكريين ثم معاضدة شخص آخر، وهي نفس الوسيلة التي استخدمها الإنجليز لتثبيت أقدامهم في الهند .

وكانت تدور في ذلك الحين حرب أهلية صغيرة بين الشمال والجنوب وبين العسكريين المختلفين في الشمال ، وكان هؤلاء العسكريون " العظماء " - كما كانوا يسمون أنفسهم - لا يحاربون من أجل مبدأ أو برنامج معين بل لكسب السلطة الفردية. وكانوا يتحدون مع بعضهم يومًا ويعودون فيتحالفون مع آخرين في الطرف المعاكس وهكذا، وجعل ذلك الشعب يعيش في دوامة من الحروب والاضطرابات. وقد ألّف هؤلاء العسكريون جيوشًا خاصة، وفرضوا ضرائب خاصة، وشنوا حروبهم الخاصة. وكان العبء هذا بكامله يقع على كاهل الشعب، ويقال إن معظم هؤلاء العسكريين كانوا ألعوبة في يد الدول الأجنبية وخصوصًا اليابان ، كما كانت تصلهم المساعدات والأموال من البيوت المالية الكبيرة الأجنبية في شنغهاي .

ولم يكن في الصين آنذاك جهات يرجى لها الخير سوى الجنوب الواقع تحت سيطرة الدكتور صن يات صن الذي كان له مبدأ وسياسة

مرسومين، ولم يكن مجرد محارب يقصد الأسلاب كما كانت الحكومات العسكرية فى الشمال. وفى عام ١٩٢٤ عقد المؤتمر الأول لحزب الكومينتانغ، وقدم إليه الدكتور صن برنامجه الذى ضمنه المبادئ التى يجب أن يسير عليها الشعب الصينى .

وقد توفى الدكتور صن فى عام ١٩٢٥ بعد أن قضى حياة كلها نضال فى خدمة الصين؛ مما جعله معبوداً للشعب الصينى .

وغنى عن البيان أن تحول " صن يات صن " الذى كان فى الأصل نصيراً للطابع الغربى، والذى هو ثمرة تربية مدرسة المبشرين، من مذهب التحرر إلى المساندة الصريحة لمذهب لينين يحتوى فى حد ذاته على تاريخ صحوة الصين الجديدة وفشل نهضتها التحررية .

ونستشف من قراءة المسرحية الأحداث التاريخية إبان وفاة يوان شى كاى ؛ حيث قسمت البلاد إلى دويلات ومقاطعات صغيرة متفرقة وضعيفة ، وانتشرت الاضطرابات والفوضى العارمة فى كافة أنحاء البلاد، ونشب صراع مرير أشبه ما يكون بصراع الديناصورات بين المجموعات المسلحة المدعومة من قبل كبار الملكيين وزعماء المجموعات العسكرية، وأذكى الاستعمار النار المشتعلة بين الزعماء العسكريين، وحرضهم على إقامة حكم منفصل قوامه القوة العسكرية وإشعال نيران الحرب الأهلية فى الداخل بلا انقطاع . وقد استنزف هذا الصراع موارد الصين ودفع زعماء المجموعات العسكرية الأموال الطائلة لشراء الأسلحة والبنادق والمدافع من الأجانب الغزاة. وتجسد المسرحية هذه الأحداث المتلاحقة سريعة الإيقاع التى يلهث وراءها القارئ بعقله وذهنه وقلبه، وكأنه يسير على جمر ملتهب، ويستنطق المؤلف شخصياته فى

أكثر من موقف (فى الفصل الثانى) معبراً عن ملامح تلك الفترة التاريخية كالآتى :

**لى سـان** : آه ! أترين أن تقولى إن عدم وجود الإمبراطور يعتبر دائماً إصلاحاً كبيراً ؟ لقد قاموا بإصلاح هذا، وإصلاح ذاك، ولكن مازال يوان شى كاى مُصراً على أن ينصب نفسه إمبراطوراً، وبعد وفاة يوان شى كاى، ساد الاضطراب أنحاء البلاد، اليوم تندلع معارك المدفعية، وتغلق المدينة أبوابها فى اليوم التالى ، إصلاح ؟ آه !

**وانغ لى فـا** : ......... يا ابن الزنا ! الحرب، الحرب ! اليوم حرب، وغداً حرب، الحرب دائماً، الحرب من أجل ماذا ؟

**تسوى جيو فينغ** : لا أعرف ! لا أعرف إطلاقاً ! أنظر، اليوم المارشال وانغ يهاجم المارشال لى، وغداً المارشال جو يهاجم المارشال وانغ. من الذى حرضهم على القتال؟

**وانغ لى فـا** : من ؟ من ذلك السفاح ؟

**تسوى جيو فينغ** : الأجانب !

نخرج من هذا كله أن الثورة الديمقراطية البرجوازية فى الصين قد نجحت فى طرد الإمبراطور وإنهاء النظام الإمبراطورى فى البلاد، ويعتبر ذلك نجاحاً عظيماً حققه الثوريون البرجوازيون بزعامة الدكتور

صوت يات صن، وقد اتصف بمغزى تاريخى عظيم. بيد أن المسائل لا تتقرر بمظهرها، بل بجواهرها؛ فقد كان تحول الصين من " الملكية " إلى "الديمقراطية " مجرد تغيير ظاهرى لشل الحكومة دون تغيير صيغة وأسلوب الحكم. ولم يتول الثوريون ولا الإصلاحيون السلطة السياسية فى البلاد، كما لم تغير " الجمهورية " التى أعلنها الثوريون البرجوازيون فى عام ١٩١١ شيئًا من طابع مجتمع الصين شبه الإقطاعى وشبه المستعمر، ولم يطرأ أى تغير على أحوال الشعب الصينى بعد ثورة ١٩١١ عما كان عليه فى أواخر عهد أسرة تشينغ، ونجد هذا المعنى واضحًا على لسان شخصيات المسرحية :

**تسوى جيو فينغ :** أشعر بالخجل من نفسى ! كنت عضواً سابقًا فى البرلمان، هذا فى الحقيقة ارتكاب للذنوب ! ماذا حققت الثورة. نضلل أنفسنا ونضلل الآخرين أيضًا ! آه! كل ما أستطيع أن أفعله الآن أصلح ذاتى معنويًا وأكفر عن ذنوبى !

**السيد سونغ أر :** طبعًا، لا يريد أحد أن يموت جوعًا دون أن يفعل شيئًا ! ولكن من يريدنا نحن الذين ننتمى إلى قومية مان ! عندما أفكر فى ذلك أجد أن السبب ربما يكمن فى أن إمبراطورية تشينغ الكبرى سيئة، ولكن الجوع ينهشنى منذ أن تأسست جمهورية الصين !

ونختتم حديثنا عن ثورة ١٩١١ بأنه من الخطل الإدعاء أنها غيرت الخريطة السياسية والاجتماعية للصين، وكما رأينا آنفًا – أنها لم تغير

مراكز طبقات المجتمع المختلفة فى الدولة، وظلت الصين ترزح تحت نير الإمبريالية والإقطاعية، ومن ثم لم يتحول طابع المجتمع، ولم تتبدل محتويات الديكتاتورية المُعادية للثورة، ولذا كان الإخفاق والفشل الذريع من نصيب الثورة التى قادها الثوريون البرجوازيون، لافتقارهم إلى القدرة والوسيلة إلى قيادة الثورة الديمقراطية ضد الإمبريالية والإقطاعية حتى تنجز مهمتها الثورية. ومع ذلك فقد علّمت ثورة ١٩١١ الشعب الصينى أن الصين إذا أرادت الاستقلال والتحرر، فلابد من طرد الغزاة الإمبرياليين وإزالة النفوذ الإقطاعى الكومبرادورى أساس حكم الإمبريالية فى الصين.

**تأسيس حزب الكومينتانغ ( KUT ) :** بعد إعلان قيام الجمهورية فى الصين، أدرك الدكتور صن يات صن قائد الثورة الديمقراطية البرجوازية أن الأحزاب السياسية فى الجمهورية المؤسسة حديثًا تعانى من الضعف والهزال، وغير قادرة أن تضطلع بالمهام الثورية فى بداية تأسيس الجمهورية. ومن ثم قاده هذا الشعور والإحباط من الأحزاب السياسية إلى تأسيس حزب ثورى سياسى برجوازى كمجموعة سرية تتألف من القادة العسكريين بهدف إنقاذ الصين من اضطرابات زعماء المجموعات العسكرية والاستعمار الأجنبى .

وفى أغسطس عام ١٩١٢ عندما اندلعت الثورة الثانية لمعاقبة يوان شى كاى، قام يوان بتفتيت أوصال الحزب ، ومن ثم قام الدكتور صن باستدعاء بعض أعضاء الحزب إلى اليابان لتأسيس الحزب الثورى الصينى، وفى أكتوبر تغير اسمه، وأصبح حزب الكومينتانغ ( الحزب الوطنى الصينى ) برئاسة صن يات - صن، وكان حزب الكومينتانغ يضم بين صفوفه القوى الأربع: العمال، والبرجوازية، والفلاحون،

والفقراء من سكان المدن، وكانت أيديولوجية الحزب لاتختلف عن الآراء والأفكار الثورية التى أعلنها الدكتور صن خلال الثورة الديمقراطية البرجوازية وهى " الوطنية والديمقراطية والازدهار الاقتصادى " ، وكان يرى صن أن الثورة يمكن أن تتحقق على ثلاث مراحل: المرحلة الأولى: أن يسيطر الحزب على القوات العسكرية التى تغزو السلطة فى الصين، وفيها يكون الحزب ديكتاتوريًا. المرحلة الثانية: يبدأ الحزب فيها الاهتمام بتوفير الديمقراطية للشعب. المرحلة الثالثة: يعلن فيها الديمقراطية الدستورية. أما تحقيق الرفاهية للشعب فيكون من خلال الإصلاح الزراعى والاقتصاد المختلط الذى يحول دون سيطرة الرأسمالية على الاقتصاد الصينى .

وفى عام ١٩١٢ أرغم الدكتور صن على التنازل عن رئاسة الجمهورية لقائد الجيش يوان شى كاى، وبعدها تناحرت الأحزاب السياسية الصينية فيما بينها، وازداد الوضع سوءًا فى البلاد، وأصبحت الصين تحت رحمة العسكريين المتنابذين. وفى عام ١٩١٧ أقام صن يات – صن فى كانتون **Canton** ، معقل الدعاية الثورية، حكومة وطنية برئاسة الجنرال والسياسى الصينى تشانغ كاى شيك ( ١٨٨٧– ١٩٧٥) **Chiang Kai - SheK** ، وكان هدفه توحيد الصين وتوحيد الأحزاب. وفى عام ١٩١٩ استقلت حكومة تشانغ عن حكومة بكين، وقد سعى الدكتور صن أن يحصل بانتظام على المساعدة الأجنبية لتدعيم الثورة، واستطاع أن يحصل على مساعدة الاتحاد السوفيتى التى تتمثل فى الأموال والأسلحة والاستعانة بالمستشارين السوفييت وتمركزهم فى كانتون قلعة الثورة، كما ساعد السوفيت الدكتور صن على تأسيس **Whampoa Military Academy** برئاسة تشانغ كاى – شيك لتدريب

القوات العسكرية الحديثة لتكون النواة الأولى العسكرية للحزب، وجذبت الأكاديمية العسكرية العديد من الجنرالات الذين انضموا إلى الحزب .

وبعد ذلك، أسس الدكتور صن الحزب الشيوعى الصينى فى عام ١٩٢١ ، وفى عام ١٩٢٤ قدّم دستورًا جديدًا للحزب على غرار نموذج الحزب الشيوعى السوفيتى، ونص الدستور أن يكون صن زعيمًا دائمًا للحزب، وكانت أوامره مُطاعة من جانب كل الأعضاء، وبدأ عمال الحزب تنظيم فرق شيوعية سرية فى شمالى شنسن Shen Sin ، وتعاونوا مع الكومينتانغ وساعدوه فى تنظيم اتحادات الفلاحين والعمال، وأعلنت الدول العظمى فى مؤتمر عقدته بواشنطن (١٩٢١- ١٩٢٢) سياسة الباب المفتوح، وحماية الأراضى الصينية من أى اعتداء يقع عليها ، ولكن بريطانيا نجحت فى ضم تشانغ كاى – شيك إلى جانبها ، وهكذا انحرف تشانغ عن الخط الشيوعى السوفيتى دون أن يعلن ذلك جهارًا .

وبعد وفاة الدكتور صن فى عام ١٩٢٥ ، تنازع العسكريون للسيطرة على الحزب، ولكن استطاع الجنرال تشانغ كاى – شيك أن يتولى زمام الحكم بزعامة الحزب بوصفه القائد الأعلى. وفى عام ١٩٢٦ بدأ جيش الحزب والجنرالات الموالون حملتهم على الشمال، وتمكنوا من السيطرة على حوض نهر اليانغتسى Yangtze ، وفى أوائل عام ١٩٢٧ انتشرت الفوضى فى البلاد، وسادت الحرب الأهلية بين حكام الولايات العسكريين، واستمرت أربع سنوات. وفى أبريل من العام نفسه، فصم حزب الكومينتانغ برئاسة تشانغ كاى – شيك عرى التحالف مع الحزب الشيوعى، وبدأت قوات الكومينتانغ تصفى الشيوعيين فى مختلف أنحاء البلاد، وسرعان ما اندلعت الحرب بين الشيوعيين والكومينتانغيين، وبدأت

ثورة الفلاحين فى جميع أنحاء الصين، وعمد تشانغ كاى - شيك إلى تصفية الحزب الشيوعى بكل قوة، ولكن الشيوعيين بزعامة ماوتسى تونج استطاعوا الهرب إلى الجبال ومعهم القوات الموالية لهم من الفلاحين وعمال المناجم. وانضمت إلى ماو قوات كبيرة من الفلاحين الذين هربوا من المذابح التى كان يقوم بها رجال تشانغ كاى - شيك، وبهذه القوات أصبح ماو بعد سنوات أكبر قوة عرفت فى التاريخ .

وخاض ماو وقواته معارك ضارية ضد قوات تشانغ كاى - شيك خلال عام ١٩٢٨ إلا أن الجوع والبرد وقلة الأسلحة أدت إلى هزيمة ماو، فسيطر تشانغ على شمالى الصين، وأصبح قائداً عاماً للجيوش الصينية، واحتل بكين، وأسس حكومة جديدة في نانكين Nanken، وباشر بوضع مخطط للمشاريع الإصلاحية، لكنها بقيت حبراً على ورق نتيجة الإنحطاط المتفشى فى صفوف الحكومة وعدم تكيف نفسه مع الأوضاع المختلفة. وفضلاً عن المتناقضات التى كون نفسه منها، فهو عسكرى وسياسى، ثائر ورجعى، مسيحى ومتبع تقاليد كونفوشيوس ضد الشيوعية ومؤمن بتعاليم لينين وماركس .

واستطاع تشانغ كاى - شيك أن يحقق انتصارات متلاحقة ضد قوات ماو حتى عام ١٩٢٩؛ مما اضطر ماو إلى الانسحاب من جبال شينغ كانفشان Ching Kangshan إلى منطقة كيانغسى Kiangsi فى الجنوب الشرقى للصين، واعتصم فيها سبع سنوات مع قواته، وبدأت قوى الغرب تساند تشانغ كاى - شيك وتدعمه ؛ ففى الفترة ١٩٣٠-١٩٣٤، جرد الجنرال تشانغ خمس حملات عسكرية ضد الشيوعيين فى بلاده بإشراف عدد من الضباط الغربيين، كما هاجمت قواته قرية شوشان Show Shan مسقط رأس ماوتسى تونج، وأعدمت

زوجته الأولي يانغ كاى هوى Yang Kai Hui ، ولكن قوات ماو انتقمت من القوات المُهاجمة وأبادتها .

وفى عام ١٩٣٦ قام المارشال شانغ هسوى ليانغ Chang Hsoeh Liang بخطف تشانغ كاى - شيك، ودعا الشيوعيين إلى تأليف جبهة متحدة ضد اليابانيين، وأخذ ماوتسى تونج ينادى باتحاد الصين ضد الغزو اليابانى، فلاقى نداؤه هذا عطف الكومينتانغ بعد أن أفرج ماو عن تشانغ بتدخل من ستالين وعقد هدنة بين الطرفين، واتحدت قوات الكومينتانغ بقيادة تشانغ مع قوات جيش التحرير الشعبى بقيادة ماو أثناء الحرب الصينية - اليابانية فى عام ١٩٣٧ .

ولكن سرعان ما ظهر التناقض بين الشيوعيين والكومينتانغيين فى عام ١٩٤٦، وعادت الحرب الأهلية بين ماوتسى تونج وتشانغ كاى - شيك، واستمرت حتى أول أكتوبر عام ١٩٤٩، حيث دخل ماو بكين منتصراً رغم تفوق خصمه من الناحية العسكرية، وأعلن تأسيس جمهورية الصين الشعبية واختير رئيساً لها . وهكذا تحررت الصين من ربقة حكم الكومينتانغ بعد أن سيطر عليها من عام ١٩٢٨ إلى عام ١٩٤٩ . وبذلك يتضح للقارئ العربى أن " جمهورية الصين" التى أعلن تأسيسها الدكتور صن قد استمرت من عام ١٩١١ إلى عام ١٩٤٩، وأن " جمهورية الصين الشعبية " تطلق على صين ما بعد ثورة أكتوبر عام ١٩٤٩ وتأسيس الدولة الاشتراكية بزعامة الرئيس ماوتسى تونج .

وبعد هزيمته خسر تشانغ البر الصينى بأكمله، ونقل حكومته (الصين الوطنية) إلى جزيرة فورموزا ( تايوان)، وانتقل معه مليون من أنصاره، على أمل أن يعود إلى محاربة الشيوعيين واسترداد البر الصينى، وتلقى تشانغ أول ضربة قاصمة من حلفائه الأمريكيين عندما

وافقوا فى ٢٦ يناير عام ١٩٧١ على انضمام الصين إلى الأمم المتحدة وطرد الصين الوطنية ( تايوان) من مجلس الأمن، ثم كانت الضربة الثانية عندما زار الرئيس ريتشارد نيكسون بكين فى فبراير عام ١٩٧٢، وتوقفت على أثرها المساعدات الأمريكية الضخمة التى كانت تصل إلى الصين الوطنية. وفى مايو عام ١٩٧٢ سلم تشانغ كاى - شيك السلطة إلى ابنه الجنرال تشنغ تشين كو، بعد أن ظل يدعى حقه الشرعى فى السلطة فى الصين الشعبية ومناوئًا لها حتى وفاته فى ٥ أبريل عام ١٩٧٥ .

# المحور الثالث

# الحروب الصينية - اليابانية

الحروب التى قصمت ظهر الصين دون أن تقتلها، والتى غيرت مجرى التاريخ فى الشرق الأقصى الحافل بالأحداث والملىء بالتعرجات والتقلبات، حتى اعتبرها المؤرخون من المنعطفات التاريخية المهمة التى تحتل مكانة فريدة بين الحروب التى اندلعت فى العصر الحديث .

وبادئ ذى بدء، أبادر فأعلن هنا أن اليابان ولدت من أحشاء الحضارة الصينية، فهى ابنة الحضارة الصينية العملاقة التى يرجع تاريخها إلى خمس آلاف سنة. ومع ذلك، فهناك ثمة أسباب حالت دون أن تحذو الصين حذو اليابان فى مجال التقدم العلمى والتكنولوجى. والدارسون للحضارة الصينية يعرفون أن الصينيين فى الماضى لم يكن يهتمون كثيراً بالسلطة السياسية ؛ إذ كانت حضارتهم العظيمة ترتكز كلياً على الثقافة، وكانت تلك الحضارة تعلم الناس فن الحياة بطريقة لم تعهد عند أى شعب آخر فى العالم، وكان الصينيون متشبعين بهذه الثقافة لدرجة أنهم بقوا متمسكين بثقافتهم القديمة عندما انهار كيانهم السياسى والاقتصادى . ومع أن اليابان اقتبست الصناعة الغربية والطرق الغربية قالبًا، إلا أنها ظلت إقطاعية قلبًا. أما الصين فلم تكن إقطاعية بل كان يسودها أسلوب العقل وروح العلم، وكانت ترقب بحماس تطور العلوم والصناعة، ولكنها لم تندفع إلى ما ندفعت إليه اليابان،

وكانت تقوم في وجهها عقبات لم تقم في وجه اليابان، وكانت تتردد في الإقدام على أية خطوة قد تؤدى لفصم صلتها بالثقافة القديمة ، وكما رأينا في الصفحات السابقة مصير الحركة البرجوازية الإصلاحية التي نادت بتطبيق الأساليب والطرق الغربية في المجالات السياسية والصناعية والاجتماعية والثقافية ؛ فالصين لها طبيعة الفيلسوف والفلاسفة بطبعهم لا يندفعون، وكان يشغل ذهنها اضطراب كبير؛ لأن مشاكلها لم تكن سياسية فحسب، بل كانت اقتصادية واجتماعية وثقافية وتربوية أيضاً .

ويُضاف إلى كل تلك المشاكل كبر حجم الصين التي تشبه القارة، وتقدم القارة وتطورها لايحدثان بسرعة، وهي في حجمها كالفيل إذا سقط على الأرض احتاج إلى فترة طويلة من الزمن ليتمكن من الوقوف ثانية على قدميه بعكس القط أو الكلب .

وكانت سياسة اليابان تجاه الصين تتسم بالثبات واليقظة لاقتناص أية فرصة رغيدة للسيطرة على الصين ، وما كادت اليابان تبني جيشاً عصرياً وتتقدم صناعياً حتى قررت السيطرة على الصين . لقد أرادت مجالاً تتوسع فيه وتقوى صناعتها فوجدت أن كوريا والصين قريبتان وضعيفتان ، وكأنهما تدعوانها للسيطرة عليهما واستغلالهما . ومن ثم لم تنظر اليابان بعين الرضى إلى قيام الجمهورية الصينية ؛ لأنها تكره كل ما يؤدي إلى تقوية الصين ، وكانت سياستها ترمي – قبل كل شيء – إلى منع توحيد الصين في حكومة واحدة قوية، ولذا فإنها باشرت في مساعدة أحد العسكريين على الآخر بقصد إبقاء حالة الفوضى في البلاد .

## الحرب الصينية - اليابانية الأولى ( ١٨٩٤ - ١٨٩٥)

هى سلسلة من الاشتباكات المسلحة بين الصين واليابان ؛ حيث كانت تتركز خلافاتهما بصورة رئيسية حول السيطرة على شمال شرق آسيا، وكان ذلك حلمًا ورديًا يداعب الإمبراطورية اليابانية، ولذا رأت اليابان أن كوريا هى البوابة الرئيسية لتحقيق مطامع وأحلام إمبراطوريتها فى الشرق الأقصى، وزادت رغبة اليابان التقليدية فى احتواء كوريا قد نجم عن التقدم طرأ على اليابان في أواخر القرن التاسع عشر، وقامت بغزو شبه جزيرة كوريا مرتين على الأقل، وكانت المرة الأخيرة فى العقد الأخير من القرن السادس عشر، وكانت كوريا تحت السيادة الصينية لعدة قرون، ولم تقنن العلاقة بينهما بإبرام معاهدة أو ما شاكل ذلك، وظلت تكتنفها الغموض والالتباس. بالإضافة إلى أن الصين كانت تسيطر على الشىءون الخارجية فى كوريا، وهذا ما نظرت إليه اليابان بعين الاعتبار، وفرضت على كوريا توقيع معاهدة استقلالها فى عام ١٨٧٦، وهكذا حاولت اليابان تقليص نفوذ الصينيين فى كوريا، ورفضت الاعتراف بسيطرة الصين على الشىءون الخارجية فى كوريا. وقد هددت ثورة جمعية كوريا السرية فى عام ١٨٩٤ الحكومة الكورية، واضطر الملك الموالى للصينيين أن يستدعى القوات الصينية، وأرسل اليابانيون أيضًا قواتهم، ونشبت معركة طاحنة بينهما فى أوائل أغسطس عام ١٨٩٤ .

وتمكنت القوات اليابانية من دحر القوات الصينية، ومُنيت الصين بهزيمة موجعة هزت أرجاء البلاد كلها، وأنهت معاهدة

شيمونوسكى ( ١٧ أبريل ١٨٩٥) النفوذ الصينى فى كوريا، وهكذا نجحت اليابان فى محاولتها الأولى لشن حرب على الصين، غير أن اليابان لم تحصل على بغيتها كاملة بسبب تدخل ومعارضة بعض الدول الأوروبية ؛ فقد أزعج انتصار اليابان السريع بعض الدول الغربية، وأجبر التحالف الثلاثى ( فرنسا ، ألمانيا ، روسيا) اليابان على العودة إلى شبه جزيرة لياو تونغ .Liaotung .

وقد كشفت تلك الحرب عن ضعف وهشاشة النظام الصينى ، ووجهت أنظار الدول الاستعمارية للسيطرة عليه وتفتيت أوصاله، وكانت صدمة الهزيمة سببًا فى الحركة الإصلاحية (١٨٩٨) ، والثورة الديمقراطية البرجوازية ( ١٩١١)، ثم اشتبكت اليابان فى الحرب الطاحنة مع روسيا عام ١٩٠٤ - ١٩٠٥ فانتصرت عليها وثبتت أقدامها فى كوريا ومنشوريا، وضمت كوريا إلى الإمبراطورية اليابانية فى عام ١٩١٠ .

أما منشوريا فقد ظلت جزءاً من الصين، ويشار اليها " بمقاطعات الصين الشرقية الثلاث "، ولكن اليابانيين انتزعوا الامتيازات الروسية الموجودة فيها بما فى ذلك امتياز سكة الحديد، والتى كان اسمها حتى ذلك الحين خط حديد الصين الشرقية، وأخذت اليابان تحكم قبضتها على منشوريا. وقد اجتذبت السكة الحديدية المهاجرين من أجزاء الصين المكتظة بالسكان ولاسيما الفلاحين الذى تدفقوا على منشوريا. وهكذا بينما كان اليابانيون يحاولون السيطرة على جهاز منشوريا الصناعى من الشمال كان الصينيون يتدفقون من الجنوب ويملأون أراضى البلاد، وهكذا غرق شعب " المانشو " فى خضم النازحين من الفلاحين الصينيين وغيرهم، فأصبحوا صينيين ثقافة وشعوراً.

ولما قامت الحرب العالمية الأولى بادرت اليابان إلى الانضمام إلى الحلفاء وإعلان الحرب على ألمانيا ؛ فاحتلت كياوشو، وراحت تمتد فى الداخل إلى مقاطعة شاندونغ Shandong التى تقع فيها كياوشو، وهذا معناه غزو اليابان للصين، وليس قيامها بعمليات حربية ضد ألمانيا ؛ لأن الأخيرة لم يكن لها أية علاقة بهذه المنطقة من الصين، ولما طلبت الصين من اليابان - بكل وداعة - أن تخرج من هذه المنطقة اعتبرت اليابان ذلك وقاحة من الصين، وقدمت لها - خطيًا- واحدًا وعشرين مطلبًا.

وأصبح " الواحد والعشرون " مطلبًا أمرًا مشهورًا. إنها مطالب ترمى إلى منح اليابان جميع أنواع الإمتيازات والحقوق، وخصوصًا فى منشوريا ومنغوليا ومقاطعة شاندونغ. ولو قبلت هذه المطالب لأصبحت الصين مجرد مستعمرة يابانية، وقد عارضت حكومة الصين الشمالية الضعيفة هذه المطالب، ولكن قوتها كانت لا تقاس بالنسبة للجيش اليابانى، ولم تكن هذه الحكومة الشمالية نفسها تتمتع بتأييد شعبى، وبالرغم من ذلك فإنها قامت بعمل قيم إذ نشرت هذه المطالب اليابانية؛ مما أثار ضجة كبيرة فى الصين، ولفت أنظار الدول الكبرى، مع أنها كانت منشغلة جدًا بالحرب، وكان أشد المعارضين للمطالب أمريكا، مما اضطر اليابان إلى أن تتخلى عن بعضها، وأن تعدل بعضها الآخر. أما بقية المطالب فقد نجحت فى فرضها على الصين فى عام ١٩١٥، وقد أثار هذا العمل بُغض الصينيين لليابان .

وبعد مرور ثلاثة أعوام على الحرب، أى فى عام ١٩١٧، انضمت الصين للحلفاء وأعلنت الحرب على ألمانيا، وكان هذا أمرًا سخيفًا لأن الصين لا تملك القوة التى تهدد بها ألمانيا. غير أن هدف الصين الوحيد من ذلك كان وضع نفسها فى مصاف الحلفاء ودرء التوغل اليابانى .

وفـى مـؤتمر الصلح الذى تلا الحرب العالمية، أرادت الدول العظمى ( فرنسا - بريطانيا العظمى - الولايات المتحدة الأمريكية) أن تعطى مقاطعة شاندونغ الصينية لليابان، وهكذا يكافئون الصين حليفتهم زمن الحرب بانتزاع جزء من أراضيها. والسبب فى ذلك يرجع إلى معاهدة سرية تمت خلال الحرب بين بريطانيا وفرنسا واليابان. ومهما تكن الدواعى إلى ذلك العمل، فإن الشعب الصينى امتعض لهذه الخديعة الرخيصة، وهدد حكومة بكين بالثورة إذا أذعنت للأمر، وأعلنت المقاطعة الشديدة للبضائع اليابانية ، وقامت مظاهرات ضد اليابانيين، ورفضت الحكومة الصينية ( أى حكومة الصين الشمالية الموجودة فى بكين، وهى الحكومة الأساسية) التوقيع على معاهدة الصلح .

وعقد بعد عامين من ذلك مؤتمر فى واشنطن بأمريكا كان من بين الأوامر التى عرضت عليه قضية شاندونغ، وكانت دول المؤتمر تشمل جميع الدول التى لها مصالح فى الشرق الأقصى، والتى قدمت لدراسة مدى قوة أساطيلها البحرية. وقد نجم عن هذا المؤتمر المعقود فى واشنطن عام ١٩٢٢ عدة نتائج مهمة بالنسبة للصين واليابان؛ فقد وافقت اليابان على التخلى عن شاندونغ مما أزاح جزءاً كبيراً من مخاوف الصينيين، وقد توصلت الدول أيضاً إلى عقد اتفاقيتين أثنتين :

أولهما عرفت " معاهدة الدول الأربع" وهى بريطانيا وأمريكا واليابان وفرنسا، تعهدت كل منها أن تحترم الواحدة ممتلكات الدول الأخرى فى المحيط الهادى ؛ أى ألا تعتدى إحداهما على أملاك الأخرى والمعاهدة الثانية " معاهدة الدول التسع " المشتركة فى المؤتمر وهى

الولايات المتحدة وبلجيكا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا واليابان وهولندا والبرتغال والصين. وقد نصت المادة الأولى من المعاهدة على احترام سيادة الصين واستقلالها ونشاطها الإدارى والإقليمى .

وكان هدف المعاهدتين - كما هو ظاهر - حماية الصين من الاعتداء عليها ووضع حد لأطماع الدول القديمة فى الحصول على الامتيازات وانتزاع أجزاء من البلاد؛ فقد كان للدول الكبرى بعد الحرب من المشاكل ما يشغلها عن الصين مما جعلها تلتزم بهذا التعهد تجاه الصين، ومن هذه الدول اليابان، بالرغم من أن ذلك يتعارض مع سياستها التقليدية التى سارت عليها عدة سنوات، ولكن مرور سنوات قليلة كشف عن حقيقة نوايا اليابان وكيف أنها لم تتبدل؛ إذ ضربت بالاتفاقيات والالتزامات عرض الحائط، وقامت بغزو الصين، فقدمت بذلك للعالم مثلاً فى الخداع والنفاق الدولى .

وفى الفترة من عام ١٩٣٢ - ١٩٣٧ اعتادت اليابان الاعتداء على السيادة الصينية فى شمالى البلاد من خلال سلسلة من المناوشات العسكرية ، وكان ذلك بهدف حماية وتوسيع موقعها فى شمال الصين وإقامة محمية **Protectorate** داخل الصين من خلال الواحد والعشرين مطلبًا ، ولكنها فشلت. وكان فشل الحكومة الصينية فى درء تلك الاعتداءات اليابانية سببًا فى إثارة هجوم الثوريين والشيوعيين عليها، وأصبح نفوذهما يهدد مصالح اليابان فى الصين .

## الحرب الصينية - اليابانية الثانية ( ١٩٣٧ - ١٩٤٥ )

ظلت هذه الحرب غير معلنة بين الطرفين حتى ديسمبر عام ١٩٤١ لأسباب تتعلق بموضوعات القانون الدولى، وأصبح الصراع الطويل المرير وشيك الحدوث، وكانت هناك دلائل تنذر بالتشاؤم من حدوث حرب طويلة الأمد بين الصين واليابان - ولاسيما بعد أن قررت اليابان أن تغزو الصين قبل أن تمضى نهضتها قدماً إلى الأمام .

وكانت حادثة لوقوتشياو **Lukouchiao** فى ٧ يوليه عام ١٩٣٧ التى تقع على بعد أكثر من عشرة كيلومترات جنوب غربى مدينة بكين ( أعاد الثوريون تسميتها بيبينغ **Peiping** هى بداية الهجوم الواسع الذى تشنه اليابان على أراضى الصين الواقعة جنوب السور العظيم **Great Wall** ، كما أن المقاومة التى خاضها الجيش الصينى فى لوقوتشياو هى بداية حرب مقاومة تشنها الأمة الصينية بأسرها ضد اليابان .

وما حدث فى لوقوتشياو يتلخص فى أن القوات اليابانية شنت هجوماً شاملاً على القوات الصينية عند جسر ماركوبولو **Marcopolo** قرب بكين، فى محاولة لابتلاع الصين بقوة السلاح. وحاولت اليابان - لعدة أسابيع - تسوية الحادث على المستوى الإقليمى، ولكن هبت القوات الصينية بتأثير موجة الغضب الشعبى العارم بمقاومة اليابان. وهكذا كانت بداية حرب المقاومة التى خاضها الشعب الصينى، والتى استمرت ثمانى سنوات. وما لبث أن انتشر القتال بسرعة، واستطاعت القوات اليابانية احتلال بكين ( ٢٨ يوليه)، وبدأت حملة واسعة النطاق فى شمالى الصين ، وبدون مقاومة شديدة استولى اليابانيون على كالجان **Kalgen** ( ٣سبتمبر) وباوتينغ **Paoting** ( ٢٤ سبتمبر )، وشيتشا

تشـونغ Shihchiachuang ( ١٠ أكـتوبر)، وكـويصـويى Kweisui( ١٤ أكتوبر) ، وتاى – يوآن – Tai Yuan ( ٩ نوفمبر). وبذلك احتلت القوات اليابانية معظم المدن الرئيسية ، واحكمت قبضتها على الصين بحراً، وأجبرت الحكومة الصينية على التقهقر إلى تشونغ كينغ Chungking فى غربى الصين .

ويمكن تقـسـيم مـراحل تطور هـذه الحـرب طويلة الأمـد إلى ثلاث مراحل على النحو الآتى :

**١- مرحلة التقدم اليابانى السريع حتى نهاية عام ١٩٣٨**

لم يحدث من قبل فى العصر الحديث أن وحد الصينيون صفوفهم ضد العدو الأجنبى كما حدث أثناء المقاومة الصينية للعدوان اليابانى، ولذا كان قوام الجيش الدائم يناهز مليونى جندى، والاحتياطى خمسمائة ألف، وصمم الشعب الصينى أن يقاوم اليابان بكل بسالة وفدائية، ولاسيما المجموعات العسكرية والسياسية التى هرعت لتأييد الحكومة الصينية فى قرارها لمقاومة الغزو اليابانى بكافة الطرق والوسائل الممكنة، كما أن الشيوعيين آثروا تكوين جبهة ممتدة ضد اليابان منذ عام ١٩٣٥، وتعهدوا بوضع قواتهم تحت أمر قيادة الحكومة الصينية. ومن خلال منظور عسكرى بحت –على أية حال– نجد أن اليابان لم تكن فى وضع أكثر استعداداً من الصين لخوض غمار المعركة، ولكنها استطاعت أن تحرز انتصارات حاسمة وساحقة على القوات الصينية، ويرجع ذلك إلى تقدم أسلحة الجيش اليابانى بالنسبة للجيش الصينى الذى يفتقر إلى المعدات الحربية والتجهيزات العسكرية الحديثة ؛ فقد كانت اليابان تملك قوة بحرية وجوية هائلة ومتفوقة على الخصم الصينى،

ولكن لا تستطيع أن تدفع قواتها كلها في حملات موجهة إلى الصين ؛ إذ كان الاتحاد السوفيتي مصدر خوف وقلق لليابانيين .

وأثناء العام الأول من الحرب غير المعلنة، حققت اليابان الانتصار تلو الآخر بالرغم من المقاومة الشرسة للصينيين، وأدى مصرع اثنين من البحارة اليابانيين في مطار حربي صيني إلى هجوم القوات البحرية اليابانية على مدينة شنغهاي Shanghai، واستطاعت المدينة الصمود في وجه الهجوم الياباني، مما اضطر اليابان إلى إرسال جيش قوي استطاع أن يسقط شنغهاي في أيدي اليابانيين ( أغسطس ١٩٣٧) والسيطرة على صوتشو Suchow ( ٢٠ نوفمبر) واستولوا على حوض نهر اليانغتسي. وقد أثار قصف اليابانيين بالقنابل للمدن الصينية والشعب الصيني الرأي العام العالمي ضد اليابان، وامتد الحصار البحري الياباني لجنوب الصين حتى نهب الساحل الجنوبي كليًا، باستثناء هونج كونج وماكاو .

وكان سقوط شنغهاي بمثابة ناقوس الخطر لتشانغ كاي – شيك الذي كان يعارض التعبئة العامة للشعب لخوض حرب شعبية شاملة، ولم يضطر إلى مباشرة المقاومة المسلحة إلا بعد سقوط شنغهاي مما أعجزه أن يحافظ على حكمه في جنوب شرقي الصين .

وفي أغسطس عام ١٩٣٧ وقّع الاتحاد السوفيتي والصين معاهدة عدم اعتداء، وقام الأول بإرسال الذخيرة والمعدات الحربية والمستشارين العسكريين ومئات الطائرات مدعمة بالطيارين السوفييت إلى الصين لوقف زحف القوات اليابانية. وشجبت عصبة الأمم والولايات المتحدة الأمريكية التدخل الياباني في الصين، وفشل مؤتمر الدول الذي عقد

( ١٥ نوفمبر) فى بروكسل التوصل إلى تسوية بشأن الموقف المتدهور فى الصين .

وبحلول منتصف عام ١٩٣٨ سيطرت القوات اليابانية على خطوط السكك الحديدية والمدن الكبرى فى شمال الصين، كما استولت على كانتون Canton بعد حادثة بوناى Punay ، وعطلت خط سكة حديد ووهان Wuhan( العاصمة الصينية المؤقتة) لنقل الإمدادات والمؤن، واحتلت هانيانغ Hanyang، و ووتشانغ Wuchang كما بذلت اليابان جهوداً مضنية فى الخفاء للإطاحة بالجنرال تشانغ كاى – شيك وحكم الثوريين، وتحول الصين إلى مستعمرة يابانية حتى تكون جزءاً من مشروع " النظام الجديد " فى الشرق الأقصى. وفى ١٢ أكتوبر عام ١٩٣٨ قامت اليابان بإنزال قواتها فى خليج باى Bias Bay بالقرب من هونج كونج، وهذا دليل ظاهر من جانب اليابان على عزمها إطفاء أزمة تشيكوسلوفاكيا المتفجرة بالبنزين، وواصلت تقدمها براً حتى استولت على كانتون Canton بعد أن قصفتها بالقنابل لعدة أشهر متتالية، وبهذا قطعت خط سكة حديد كانتون – هانكو الذى يعتبر أهم خط لنقل الإمدادات من الخارج إلى القوات الصينية فى الداخل، وقدمت الدول الغربية الاحتجاجات ضد اليابان، وقام وزير خارجية أمريكا كورديل هيل Cordell Hull يطالب الالتزام ببنود "معاهدة الدول التسع "، وأيدته بريطانيا العظمى، ولكن كانت احتجاجات عقيمة وسقيمة وبدون جدوى .

وفى غضون عامين استطاعت اليابان أن تحتل معظم المدن الكبرى فى الغرب، وتسيطر على الموانئ المهمة، وتحقق السيادة الكاملة على البحر، كما استطاعت السيطرة على الجزء الأعظم من خطوط السكك الحديدية، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل كانت الغلبة والتفوق من

نصيب اليابانيين فى الجو، ودمروا القوات الجوية الصينية، وقصفوا المدن والأحياء الصينية بالقنابل كما يشاعون. وتكبد الجيش والشعب الصينى خسائر فادحة وجسيمة، ومع ذلك لم يستسلم الصينيون، وطال أمد الحرب أكثر مما توقع اليابانيون أنفسهم ؛ فاليابان دولة إمبريالية قوية والصين بلد ضعيف شبه مستعمر وشبه إقطاعى ؛ فمسألة القوة والضعف بين الطرفين المتحاربين لم تكن حالة مطلقة. بالإضافة إلى مثابرة الصين على الحرب والتمسك بجبهة ممتدة فى سياق الحرب قد أدى إلى التبديلات فيما كان عليه الجانبان من القوة والضعف والمركز المتفوق عليه ، ومن ثم لم يستطع أى طرف أن يحقق نصر ساحق على الآخر خلال مرحلة معينة، وكان ذلك من أسباب إطالة أمد الحرب بين الطرفين .

وتنقسم الصين أثناء مقاومتها للغزو اليابانى إلى ثلاث مناطق: المناطق المحررة تحت سيطرة الحكومة الثورية ويطلق عليها الصين الحرة **Free China** ، والمناطق الواقعة تحت سيطرة الشيوعيين، ويطلق عليها الصين الشيوعية **Communist China**، والمناطق التى تحتلها اليابان وتسمى الصين المحتلة **Occupied China** . وكانت أنظمة الحكم فى تلك المناطق يُعادى كل منها الآخر، وعانت الصين الحرة أثناء الحرب من مشاكل اقتصادية واجتماعية رهيبة، وكانت المقاطعات الغربية تفتقر إلى الصناعات الحديثة وغير قادرة على مساندة وتدعيم القوات الضخمة، كما كانت الصين الحرة تغص باللاجئين، وبعض مدنها خربتها الحرب بصورة وحشية، وانتشر فيها الفساد والتضخم من جراء نقص السلع الصناعية ونفقات الحرب الباهظة والإفلاس المالى للحكومة، ومزق توتر

الحرب الجبهة المتحدة ، ووهنت عزيمة المجندين الإلزاميين ورغبتهم فى القتال، وأصبح الجيش الصينى عاجزاً أن يشن هجوماً ضد القوات اليابانية المتفوقة .

وفى نهاية تقييمنا للمرحلة الأولى من الحرب، يتضح لنا أن الحكومة الصينية فقدت أفضل قواتها والقوات الجوية والترسانات الحربية ومعظم خطوط السكك الحديدية ، وكل الموانئ التى كانت تستورد الصين عن طريقها المعدات الحربية والإمدادات المدنية. وعلى الرغم من تلك الصعوبات الجمة، إلا أن الصين الحرة عدت العدة لمقاومة طويلة الأمد، وفى الصين المحتلة فشلت اليابان فى استمالة الصينيين لأن يتولوا مناصب فى الحكومة التى أنشأتها. وفى الصين الشيوعية كانت القوة الكامنة التى قادت الصين إلى الانتصار الساحق على اليابان، وتجسدت فى فرق العصابات والميليشيات التى كانت تعمل خلف خطوط اليابانيين فى الداخل، وكان الحزب الشيوعى ناجحًا بصفة خاصة فى استخدام حرب العصابات لمقاومة اليابان، وتحركت قواته إلى المناطق الريفية النائية، وقام بتنظيم وحدات دفاع - ذاتى للقرى وإنشاء الحكومات المحلية وتوسيع دائرة نطاق نفوذهم، ومارس الجيش الثامن عملياته الحربية فى الجبال والسهول شمالى الصين، والجيش الرابع الجديد فى أسفل حوض نهر اليانغتسى. ناهيك عن رحابة الأراضى التى تملكها الصين وطاقتها البشرية بلا حدود جعلت سيطرة اليابان على الجزء الشرقى الذى غزته أمراً صعب المنال، وهذا ما نوضحه فى الصفحات القادمة .

## ٢- مرحلة المأزق والجمود ( ١٩٣٩ - ١٩٤٣ )

أصعب المراحل، وهى مرحلة انتقالية فى الحرب كلها، وبالتالى فهى أصعب المرحل. تشهد المرحلة الثانية عمليات عسكرية واسعة النطاق، حرب العصابات هى الشكل الرئيسى للقتال بالإضافة إلى المقاومة الشعبية والحرب المتحركة، وحاولت اليابان - أثناء هذه المرحلة - أن تستنزف قوة الصين وقهر المقاومة الشعبية من خلال الخنق البطئ لحركات التحرر الوطنية وفرض الحصار على قواعد المقاومة الشعبية، واستمر احتلال اليابان للموانئ المهمة الممتدة من الجنوب إلى الشمال باستثناء ميناء فوتشو Foochow . وتبدلت خطوط القتال والمعارك بين الطرفين، بالرغم من الاشتباكات المسلحة العديدة التى وقعت فى نطاق محدود، كما قامت اليابان بقصف الصين الحرة بالقنابل حتى تخضع لها وتقع تحت سيطرتها، وعانت تشونغ كينغ التى انتقلت إليها الحكومة الصينية والقيادة العسكرية من الغارات الجوية المتكررة ، وراح ضحيتها الألوف من المدنيين. وفى المناطق المحتلة حاولت اليابان أن تفوز بالتأييد الشعبى، وتقلل من الإنفاق العسكرى عن طريق إقامة حكم صورى فى نانكين ( ١٩٤٠) تحت قيادة وانغ تشينغ - وى Wang Ching-Wei الرفيق السابق التقليدى للدكتور صون يان - صن المصمم على مواصلة مسيرة صن ، ولكن فشلت اليابان فى إغراء الصينيين، ونزح مئات الألوف منهم إلى الغرب لمواصلة القتال ضد العدو اليابانى، وقام طلاب الكليات فى الغرب بالهجرة الجماعية إلى الأحياء فى المدن الداخلية وإعادة توطين أنفسهم، وأنشأت الحكومة المصانع، وشيدت الملاجئ، وجهزت جيوش المقاومة، وحاولت شراء المعدات العسكرية من الخارج .

وخلال الفترة من عام ١٩٣٨ إلى عام ١٩٤٠ زاد الاتحاد السوفيتي قروضه العسكرية للصين، ووصلت إلى ٢٥٠ مليون دور أمريكي، بينما قدمت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى وفرنسا أكثر من ٢٦٣ مليون دولار كمنحة لا ترد لشراء الاحتياجات المدنية، وكانت خطوط الإمداد فى الصين طويلة وشاقة ومحفوفة بالمخاطر، وبعد الغزو الألماني لفرنسا فى ربيع عام ١٩٤٠، استجابت بريطانيا لمطالب اليابان وأغلقت خطوط الإمداد العسكرى للصين ( يوليه - سبتمبر) عن طريق رانجون Rangonوبورما Burma ، وفي سبتمبر أحكمت اليابان قبضتها على الهند الصينية Indochina ، وراحت تفرض سيطرتها على الصين الحرة، وأغلقت خط السكة الحديد الذى يمتد من الساحل حتى كونمينغ Kun-ming، بالإضافة إلى الطرق الرئيسية الكبرى الممتدة من ساحل الهند الصينية إلى الداخل، وحاول اليابانيون الإفادة من حسن الإستعداد للحرب فى البحر والبر والجو ومواقعهم الاستراتيجية الفريدة، وسيطروا على سواحل شرق آسيا ، وكان احتلالهم لهونج كونج وبورما فى عام ١٩٤٢ بمثابة ضربة قاصمة للصين؛ إذ أصبحت الصين محاصرة تمامًا ، والطرق كلها أغلقت فى وجه المحاربين الصينيين، ولم يستطيعوا الاتصال بأصدقائهم فى الخارج إلا من خلال طرق وعرة عبر سينكيانغ Sinkiang والطريق الجوى من آسام Assam فى الهند إلى الصين الحرة .

وإزاء هذا الموقف الحرج للمقاومة الصينية قام الإتحاد السوفيتي بتزويد الصين بمعظم احتياجاتها من المساعدات العسكرية، ولكن عندما هاجمت ألمانيا روسيا فى يونيه عام ١٩٤٠ توقفت هذه المساعدات، ولكن اشترت الصين مائة طائرة مقاتلة من الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت هذه البداية لتوفير الحماية الجوية للصين من جانب أمريكا.

وتركت الحرب آثارها السيئة على الحزب الشيوعى الصينى، وتحمل القادة الشيوعيون وطأة عشر سنوات من الحرب الأهلية وتكوين جبهة متحدة مع الكومينتانغيين، وقد تعلم الشيوعيون كيفية تعبئة الريفيين وشن حرب العصابات. وفى عام ١٩٣٧ أصبح الحزب الشيوعى يضم بين صفوفه حوالى أربعين ألف عضو، وبلغ قوام الجيش الثامن المزود بأسلحة غير متقدمة حوالى مائة ألف جندى، واستطاعت قاعدة الشيوعيين فى الشمال الغربى أن تسيطر على المقاطعات الثلاث، وبذلك تشكلت جبهة موحدة ضد اليابان. وانتهج قادة الجيش الثامن [٢٦] استراتيجية حرب العصابات، وأرسلوا أفواجًا من البشر إلى داخل المناطق الواقعة فى شمالى الصين والقابعة تحت سيطرة الاحتلال اليابانى. وهناك تعاونوا مع فلول القوات المنهزمة ، وقام سكان هذه المقاطعات بتقديم المواد الغذائية والمجندين وتوفير الحماية لوحدات العصابات المسلحة لمهاجمة المواقع اليابانية .

وفى أوائل فترة المقاومة المشتركة بين الشيوعيين والكومينتانغيين، وافقت حكومة الكومينتانغ على تكوين الجيش الرابع الجديد [٢٧] من فلول القوات الشيوعية المتخلفة أثناء المسيرة الكبرى [٢٨]. وقد نجحت قوة هذا الجيش وقوامها ١٢ ألف جندى وضابط فى ممارسة العمليات القتالية خلف خطوط اليابانيين بالقرب من شنغهاى وحققت نتائج باهرة فى هذا المضمار، وشملت استراتيجية الجيش الرابع الجديد تكتيكات حرب العصابات والميليشيات وتنظيم جيوب المقاومة وتجنيد الشباب، مما ساعد على تنمية قوته إلى أكثر من مائة ألف جندى فى عام ١٩٤٠، ولذا استطاع أيضًا أن يضطلع بالعمليات العسكرية على نطاق واسع على جانبى نهر اليانغتسى. وهكذا عادت الحيوية والنشاط إلى الحزب

الشيوعى مرة أخرى، وعمل على تعبئة القرويين فى الأرياف، وجذب الشباب الوطنى من المدن، وتقوية صفوفه عن طريق غرس مبادئ الحزب فى نفوس الشعب ومطاردة المنشقين من أعضائه .

وأثناء هذه المرحلة، نشبت أيضًا صراعات مريرة ومناوشات عسكرية بين الشيوعيين والكومينتانغيين من جراء أن قواتهما العسكرية تتنافس على السيطرة على الأراضى التى تحتلها اليابان، ولأن الشيوعيين حاولوا أن يوسعوا نطاق نفوذهم السياسى فى أراضى الكومينتانغيين من خلال الدعاية والتنظيمات السرية، ولذلك استمر الطرفان فى نضالهما ضد اليابان، وكل طرف يسعى لتحقيق أهدافه ومآربه الخاصة. وتسبب خطر إندلاع حرب أهلية جديدة - آنذاك - أن تعالت صرخات الإحتجاج من جانب القادة المدنيين الصينيين، وتشكل المجلس السياسى الشعبى الذى كان عبارة عن هيئة استشارية للأحزاب المتعددة فى عام ١٩٣٨ كرمز للمقاومة المشتركة، وناقش الخلافات الجوهرية بين الأحزاب وتدخل لإصلاح ذات البين. وفى الحقيقة كان الحزب الشيوعى وحزب الكومينتانغ لا يرغبان فى أن يخوضا حربًا أهلية مفتوحة عام ١٩٤١، ومع ذلك نشرت حكومة الكومينتانغ قواتها فى المواقع الاستراتيجية لمنع القوات الشيوعية من التغلغل فى أراضيها.

وعلى الصعيد العالمى حدثت ثمة تطورات كانت لها آثارها الإيجابية على الصين، وآثارها السلبية على اليابان؛ فقد استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية أن تفك رموز شفرة الدبلوماسية اليابانية، وبحلول يوليو عام ١٩٤١ أدركت أمريكا أن اليابان تأمل فى أن تنتهى الحرب غير المعلنة فى الصين وتستعد للزحف نحو الجنوب للسيطرة على جنوب الهند الصينية وتايلاند **Thailand** حتى إذا ترتب على ذلك مخاطرة

الدخول في حرب مع بريطانيا العظمى والولايات المتحدة الأمريكية . ومن هنا كانت البداية الأولى لتكوين حلف دولى ضد اليابان زعزع موقفها في الصين .

وكان من الطبيعى أن تتحمس الولايات المتحدة الأمريكية لمساعدة الصين عسكريًا، وبالفعل أرسلت إليها كميات هائلة من الأسلحة والذخيرة والمعدات، بالإضافة إلي الخبراء العسكريين لتدريب القوات الصينية على استخدام الأسلحة الحديثة، وكانت الاستراتيجية الأمريكية تستهدف إعادة الحيوية والنشاط للقوات الصينية التي خربتها الحرب باعتبارها رادعًا قويًا للعمليات العسكرية والحربية التى تقوم بها اليابان في الجنوب. ولاشك في أن وجود الملايين من القوات المسلحة الصينية غير المدربة والمفتقرة إلى الأسلحة الحديثة يمثل استنزافًا للاقتصاد الصينى، ولم يعد هناك خيار أمام أمريكا سوى تسليح هذه الأعداد الهائلة من مخزون الأسلحة لديها وتبنى قواتها وتساعد الأمم الأخرى .

وفى ديسمبر عام ١٩٤١ أرسلت الولايات المتحدة بعثة عسكرية إلى الصين، ووافقت ضمنيًا على تسليح ثلاثين فرقة عسكرية، وتشكيل قوات جوية حديثة لتحافظ على الاتصال داخل الصين. وأدى هجوم اليابان على ميناء بيرل هاربر **Pearl Harbor** أن انضمت الولايات المتحدة الأمريكية في حلف مع الصين، ودخلت بريطانيا حرب الباسفيك **Pacific War**؛ لأن مستعمراتها تعرضت للهجوم، وكان ذلك إنذارًا بتوسيع نطاق الصراع الصينى - اليابانى ورفع معنويات الصينيين، ولكن نتائجه الأولى كانت في غير صالح الصين؛ إذ قام اليابانيون بغزو هونج كونج في ٢٥ ديسمبر، وبذلك فقدت الصين الاتصال الجوى مع العالم الخارجي، وواحدة من أهم الطرق الرئيسية لتهريب الإمدادات والمعدات

إلى داخل الأراضي الصينية. وفى نهاية عام ١٩٤٢ سيطرت اليابان على معظم أراضى بورما بعد هزيمة المدافعين البريطانيين والصينين والهنود، وبذلك أصبحت الصين محاصرة مرة أخرى، وقامت الولايات المتحدة بمضاعفة المساعدات العسكرية والمالية، وقدمت منحة قدرها خمسمائة مليون دولار للصين، كما أعلنت بريطانيا عن رغبتها فى تقديم قرض مقداره خمسين مليون دولار، ولكن كان لابد من وجود خط اتصال وطريق فعال وقوى لتوصيل المساعدات والأسلحة إلى داخل الصين .

وكان الحل فى الطريق الجوى من أسام فى الهند إلى كونمينغ فى جنوب غربى الصين الذى يعتبر أخطر طريق عبر سلسلة جبال الهملايا. وفى مارس عام ١٩٤٢ بدأت شركة الملاحة الجوية الوطنية الصينية خدمتها عبر الطريق الوعر لنقل الأسلحة والمعدات العسكرية، ولكن كان ذلك أقل بكثير من احتياجات الصين من الأسلحة والذخيرة والبنزين وغيرها من المعدات العسكرية .

وكان تحالف الصين مع الولايات المتحدة وبريطانيا بداية أخرى للصرا ع المرير الدائر فى الصين، وكانت بريطانيا تعطى أهمية قصوى وأفضلية كبرى لهزيمة عدوها الرئيسى ألمانيا، وأصبح الأسطول الأمريكى فى حالة يرثى لها من جراء الهجوم اليابانى على ميناء بيرل، وأثناء شتاء ١٩٤٠ - ١٩٤٢ طالبت الأمم المتحدة وبريطانيا بهزيمة ألمانيا أولاً، ثم شن هجوم شامل عبرالمحيط الهادى على الإمبراطورية اليابانية، وأصبحت الصين تحتل مكانة ضئيلة فى خطة أمريكا الاستراتيجية، وكانت أمريكا تهدف فى المقام الأول إلى أن تجعل الصين فى حالة حرب مستمرة تمكنها من أن تؤدى دوراً إيجابيًا فى إحراز الهزيمة النهائية على اليابان فى القارة الآسيوية. ومن جهة أخرى،

تصور تشانغ كاى - شيك استراتيجية مشتركة بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا للسيطرة على منطقة الباسفيك، وفيها تلعب الصين دوراً رئيسياً، ولكن كانت هناك وجهات نظر متباينة بين الرئيس تشانغ ورئيس وزراء بريطانيا ونستون تشرشل **Winston Churchill** والرئيس الأمريكى فرانكلين روزفلت **Franklin Roosevelt** أدت إلى زيادة المضاعفات فى الصين وإثارة الشكوك والريبة بين الشركاء فى الحرب .

وبعد سقوط بورما تطور الخلاف حول إذا كانت الجهود الصينية - الأمريكية ضد اليابان تكرس لبناء القوة الجوية الأمريكية فى الصين أو لإصلاح الجيش الصينى وتدريبه وتزويده بالمعدات اللازمة لخوض غمار حرب المقاومة، وأعلن تشانغ عن الاعتماد الرئيسى على القوة الجوية الأمريكية، بينما أكد كبار العسكريين الأمريكيين على ضرورة إنشاء قوة برية صينية حديثة وقادرة على حماية المطارات فى الصين وتسهيل وصول الإمدادات عبر شمالى بورما، وقامت الولايات المتحدة بتدريب فرقتين عسكريتين صينيتين فى الهند، بالإضافة إلى فرق المدفعية والمهندسين، وعرفت هذه القوة باسم **X – Force** ، وحقق تطوير القوات الجوية وتحديث الجيش قفزات عالية فى أوائل عام ١٩٤٣، وأقيم مركز تدريب بالقرب من كونمينغ من أجل إعادة تنظيم وتحديث الفرق العسكرية المختارة. كما تم تشييد شبكة من المطارات فى جنوبى الصين. وبحلول نهاية عام ١٩٤٣ ، أحرزت القوات الجوية الأمريكية والصينية تكافؤاً تكتيكياً مع القوات اليابانية فى وسط الصين، وبدأت تقصف السفن اليابانية فى نهر اليانغتسى وشن غارات ناجحة على المطارات اليابانية فى تايوان، ولم تعد اليابان قادرة على قصف المدن

الصينية كما تشاء، كما تأسس مركز تدريب آخر فى قويلين Kweilin لتطوير وتحديث ثلاثين فرقة عسكرية صينية أطلق عليها Z-Force .

وفى مؤتمر القاهرة المنعقد فى نوفمبر عام ١٩٤٣، تقابل تشانغ وتشرشل وروزفلت لأول مرة، وقرر إعلان القاهرة عن عودة مانشوريا وتايوان إلى الصين وتحرير كوريا، وتعهد الحلفاء الثلاثة الاستمرار فى العمليات طويلة الأمد للضغط على اليابان للاستسلام دون قيد أو شرط، وأدرك الأمريكيون أن روسيا ستدخل الحرب ضد اليابان بعد هزيمة ألمانيا، وأن اليابان ستقترب بنجاح من جنوب ووسط المحيط الهادى، ولذا تتضاءلت أهمية الصين فى خطة الأمريكان. وقصارى القول، بعد مؤتمر القاهرة ، اتفق تشرشل وروزفلت أن يبقيا بعيداً عن الغزو البحرى لبورما وعندما علم تشانغ بذلك طالب بكميات أكبر من الأموال والإمدادات والحماية الجوية مؤكداً ضرورة ذلك ، وإلا اليابان سوف تبيد الصين فى الحرب، ولكن لم توافق أمريكا، ودخلت العلاقات الصينية - الأمريكية مرحلة الجمود.

**٣ - مرحلة الاقتراب من الأزمة ( ١٩٤٤- ١٩٤٥)**

كانت الصين فى أزمة عام ١٩٤٤، وتعرضت اليابان لضغوط متزايدة فى منطقة الباسفيك ولتهديدات بتدمير قواعد الإمداد وخطوط الاتصال الخاصة بها فى الصين، وكان رد فعلها إزاء تلك الضغوط والتهديدات مضاعفاً، أولاً، بدأت بالهجوم من بورما فى اتجاه آسام لتقطع خطوط الإمداد، وتحتل المطارات الواقعة فى الحافة الغربية لجبال الهملايا. أما ثانياً، فقد احتلت شبكة خطوط السكك الحديدية فى الصين الممتدة من الشمال إلى الجنوب، وحاصرت المطارات فى شرق الصين التى تستخدمها الولايات المتحدة الأمريكية. واستطاع الجيش الهندى

والبريطاني سحق هجمات اليابانيين على آسام ( مارس - يوليه ١٩٤٤)، ولكن أظهرت الحملة اليابانية في الصين المعروفة باسم Ichigo ضعفًا وعدم فاعلية قيادة قوات تشانغ بعد مرور سبع سنوات من التضخم والحروب، ودمرت اليابان خط سكة حديد بكين - هانكو الذي يربط بين هوانغ هو Huangho واليانغتسي، ولم تستطع القوات الصينية أن تخوض غمار مقاومة فعالة ضد اليابانيين وقام الفلاحون في هونان Honan بمهاجمة القوات الصينية المنهارة.

أما المرحلة الثانية من الحملة اليابانية Ichigo تجسدت في الحملة الجنوبية بدءًا من هانكو، والحملة الشمالية الغربية بدءًا من كانتون والسيطرة على قويلين، وليوتشو Liuchow، وناننينغ Nanning، وأصبح اليابانيون على مقربة من كوييانغ Kweiyang، وشقوا طرقيهم إلى تشونغ كينغ وكونمينغ، وكان ذلك دليلاً قاطعًا على التفوق العسكرى الساحق لليابان أثناء حربها في الصين. وعندما سحبت اليابان بعض فرقها العسكرية للاشتراك في القتال الدائر في جزر الباسفيك لحماية الإمبراطورية اليابانية، بدأت الصين تلتقط أنفاسها والإفادة من X-Force المدربة، وتسللت فرقتان عسكريتان من بورما في ديسمبر للدفاع عن كونمينغ. وفي الوقت نفسه، تورطت حكومة الكومينتانغ في أزمة علاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية التي أكدت أن الجيش الصيني يجب إصلاحه، وخاصة تغيير قيادته، وأن المساعدات المالية يجب أن تستخدم بصورة فعالة.

وكان الضعف العسكرى في عام ١٩٤٤ رمزًا للتدهور التدريجى الذي ساد معظم جوانب الحياة العامة لحكومة الكومينتانغ، وبدأ

التضخم يستشرى بصورة مزعجة لأن الحكومة دفعت فى الأسواق كميات هائلة من الأوراق المالية فى محاولة لسد العجز فى الميزانية. وزادت الفجوة بين مرتبات موظفى الحكومة والضباط والمدرسين من جهة، وارتفاع الأسعار المستمر من جهة أخرى، وأدى الفقر المدقع المسيطر على حياة الشعب إلى نمو السخط والسأم والضجر من سياسة الحكومة، وانتقل هذا الشعور البغيض إلى طبقة المثقفين. وأعطى التضخم فرصة لبعض المجموعات أن تحقق الربح السريع من خلال إخفاء البضائع وتهريب السلع وممارسة عمليات السوق السوداء. ومن ثم انتشر الفساد والبلطجة بين صفوف الموظفين والضباط، ولأن الحرب طال أمدها، فإن القمع الحكومى للمنشقين أصبح أكثر وحشية وشراسة، وكانت جهود ونشاطات البوليس السرى موجهة ضد الشيوعيين والكومينتانغيين معًا.

وفى ظل هذه الظروف المتردية والأحوال المتهرئة نمت قوة الشيوعيين بسرعة خلال الفترة من عام ١٩٤٣ - ١٩٤٤، وطبقًا لما ذكره الصحفيون الأمريكيون الذين زاروا منطقة يأنان Yenan فى مايو عام ١٩٤٤، ومجموعة المراقبين الأمريكيين الذين زاروا تلك المنطقة فى يوليو، فإن الشيوعيين قبلوا الولاء الديمقراطية والتعاون المستمر مع حكومة الكومينتانغ فى جهود الحرب ضد اليابان، وكانت هناك دلائل قاطعة تشير إلى اتساع المناطق الواقعة تحت سيطرة الشيوعيين امتدت مئات الأميال خلف خطوط اليابانيين فى وسط وشمال الصين.

وهناك عدة عوامل تكمن وراء نمو وزيادة نفوذ الشيوعيين فى البلاد. لعل من أهمها أن القوات الشيوعية فى المناطق الواقعة تحت سيطرة

اليابانيين قامت بتعبئة جميع السكان ضد اليابان، وقاد أعضاء الحزب المجتمعات الريفية للمشاركة بصورة أكبر فى الحكومات المحلية، وسيطروا على جمعيات الفلاحين ونقابات العمال ومنظمات الشباب وجمعيات المرأة، وعملوا على إدماج الكثير من الحكومات المحلية والمنظمات الشعبية، وبسبب الحاجة الملحة لتحقيق الوحدة ضد اليابان، كان المنظمون الشيوعيون يميلون إلى اتباع سياسة الإصلاح الاقتصادى، وقام الحزب بتجربة أشكال مختلفة من التعاون الاقتصادى لزيادة الإنتاج، وكان من بينها فرق المساعدة المتبادلة **Mutual-aid teams** وفيها يسهم الفلاحون بآلاتهم الخاصة وزراعة الأرض بصورة جماعية، وكان هذا هو الأساس الذى قامت عليه الكميونات الشعبية **The People's Commune** بعد نجاح الثورة الاشتراكية فى أكتوبر ١٩٤٩ . وانقسمت فرق المساعدة المتبادلة – خلف خطوط اليابانيين – إلى فرق عمل ومعارك تتألف من شباب الفلاحين الذين عندما دهمهم خطر الحرب هبوا للحرب كعصابات تحت قيادة الجيش الأحمر المحلى. وعندما انتهت الحرب عادوا إلى مزارعهم، كما قام الحزب بتجنيد القادة الشبان داخل صفوفه الذين برزوا أثناء النشاطات الثورية الشعبية، وبذلك تغلغل نفوذ الحزب ومبادئه داخل وجدان الشعب، وعمل القادة الشيوعيون على نشر نظام حكوماتهم فى نطاق أوسع مستغلين الضعف العسكرى الذى طرأ على اليابانيين، وفى المؤتمر السابع للحزب الشيوعى الصينى ( أبريل - مايو ١٩٤٥) المنعقد فى يآنان، ادعى الحزب أنه يملك جيش قوامه أكثر من تسعمائة ألف جندى، وميليشيات أكثر من مليونين، كما ادعى أيضاً السيطرة على مناطق عدد سكانها تسعين مليون نسمة. ولاشك أن هذه الادعاءات كانت موضع نقاش وجدل، ولكن القوة العظيمة والانتشار الجغرافى الواسع للتنظيم الشيوعى كان حقيقة ماثلة أمام العيان .

ولـم يـرق لحزب الكومينتانـغ أن يرى النفوذ الشيوعي المستشرى فى البلاد، وسرعان ما نشبت الخلافات بينهما، وتركزت بصورة رئيسية حول موقع وحـجم القوات الشيوعية والعلاقة بين الحكومات الإقليمية الشيوعية وحكومة الكومينتانغ، ومشكلات الحقوق المدنية وتشريع الحزب الشيوعي. وانجرفت الحكومة الأمريكية فى الأزمة الداخلية فى الصين منذ أن مـدت حكومـة الكومـينتـانغ بالمسـاعـدات الماليـة والعـسكرية والدبلومـاسية. وحـاول ممثلو الولايات المتحدة الأمريكيـة الوصـول إلى تسـوية للخلافـات المتفـجرة بين الحـزبين، وقـام نائب الرئيس الأمـريكى هنرى والاس Henry Wallace بزيارة تشانغ كينغ، وأجرى مباحثات مع الرئيس تشانغ كاى - شيك الذى طلب مساعدة أمريكية لتسوية مشكلة الشيـوعيين. ومن ناحيـة أخرى، اجتمع باتريك هارلى Patrick J.Hurly المبـعوث الشخـصى للرئيس الأمـريكى روزفلت مـع مـاوتسى تونج فى ٧ نوفمبر ١٩٤٤ .

ولم تتوج الجهود الأمريكية بالنجاح فى التوفيق بين الآراء المختلفة وتكوين حكومـة ائتلافيـة فى الصين، وكانت العقبة الرئيسية - بالإضافة إلى فـقد الثـقة بين الشـيوعـيين والكومـينتـانغيين - تكمن فى مـحـاولة الولايات المتحدة الأمريكيـة التوسط بين الحزبين، بينما تساند حزب ضد الآخر، وهو حزب الكومينتانغ، باعتباره ممثل الحكومة فى الصين .

وفى ٨ أغسطس عام ١٩٤٥ أعلن الاتحـاد السوفـيتى الحـرب على اليـابان ، وفى ١٠ أغسطس أعلنتهـا الحكومـة المنغولية بدورها، ودخل الجيش الأحمر السوفيتى من البر والبحر شمال شرقى الصين وكوريا، وهزم جيش قواندونغ الذى يضم نخبة القوات البرية الرئيسية اليابانية. وعـبر الجيش السـوفيـتى والمنغـولى صـحـراء منغـوليا الداخلية، ودخـلا

مقاطعتى رهخة وتشاهار. وتحالف الشيوعيون مع الكومينتانغيين من جديد لمقاومة العدو الخارجى ، واستمرت قوات الكومينتانغ بقيادة تشانغ كاى - شيك، وقوات جيش التحرير الشعبى بقيادة ماو تتعقب الجنود اليابانيين منزلة بهم أفدح الخسائر؛ مما اضطر الحكومة اليابانية إلى إرسال مذكرة تطلب فيها الاستسلام دون قيد أو شرط. وفى ١٤ أغسطس أعلنت اليابان استسلامها دون قيد أو شرط، واستعادت الصين جميع الأراضى التى كان اليابانيون قد استولوا عليها ماعدا هونج كونج وماكاو، وبذلك يسدل الستار على الفصل الأخير من مأساة الحروب الصينية - اليابانية .

وبعد استسلام اليابان وهزيمتها، ابتهجت الصين، وارتفعت مكانة الرئيس تشانغ كاى - شيك، ولكن مازالت هناك مشاكل عويصة تواجهها الصين تتمثل فى إعادة وحدة البلاد وبنائها والقضاء على نفوذ قوات الكومينتانغ التى تؤازرها القوات الأمريكية والمنتشرة فى المدن الصينية، وخاصة فى مدينة بكين العاصمة، تعث الفساد والخراب، وترتكب الجرائم البشعة ضد الشعب الصينى المسحوق. وفى عهد حكومة الكومينتانغ ساءت الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للشعب الصينى بصورة مخزية (*) ، وعاش الشعب تحت مظلة الاضطهاد والاستغلال والقمع، بعد أن مزقته الحروب المتكررة والمستمرة، وفتتت أوصاله الدول الأجنبية بصورة لم نعرفها عند شعب آخر فى العالم ، وأصبح الوضع فى البلاد تظلله سحابة سوداء معتمة

(*) انظر مقدمة مسرحية ( شروق الشمس ) ترجمة : عبد العزيز حمدى ، العدد ١٩٨٨/٢٢٤ - سلسلة من المسرح العالمى ، دولة الكويت..

تنذر بنشوب الحرب الأهلية الثالثة ( ١٩٤٥ - ١٩٤٩) ، وخلالها استطاع الحزب الشيوعى بقيادة ماوتسى تونج من دحر قوات الكومينتانغ ودخول مدينة بكين ، وتأسيس الصين الشعبية فى أكتوبر ١٩٤٩ على نحو ما ذكرناه في الصفحات السابقة .

# معجم الأعلام التاريخية

(توخينا الدقة والتركيز – بقدر الإمكان – فى تقديمنا لبعض الأعلام والأماكن التاريخية التى وردت فى النص الأصلى للمسرحية، أو التي فرضها السياق التاريخى للمسرحية. واستخدمنا الحروف اللاتينية واللغة الإنجليزية فى كتابة الأسماء تسهيلاً للقراء الذين لا يعرفون اللغة الصينية، وللاستعاضة بهما عن الرموز الصينية حتى نسهل عملية الطباعة).

**١– جماعة فرض الحضارة الغربية Westernization Group :**

ظهرت هذه الجماعة فى أواخر عهد أسرة تشينغ، كعصبة إقطاعية بيروقراطية حاكمة تتكون من الكومبرادوريين **Compradors** وهم عبارة عن وكلاء أو مستشارين وطنيين تستخدمهم مؤسسة أجنبية ( كقنصلية أو بيت مالى ) فى الصين للإشراف على شىءون مستخدميها الصينيين. فى عام ١٨٦٠ ( بعد مرور عشر سنوات من حكم الإمبراطور شيان فينغ ) اختارت حكومة تشينغ لى هونغ جينغ أبرز زعماء هذه الجماعة لتمثيلها، وأيدت اقتراح الاعتماد على المساعدات الأجنبية لإقامة الصناعة العسكرية الحديثة وقهر المقاومة الشعبية وحماية الحكم الإقطاعى، ثم أطلق عليها فيما بعد جماعة فرض الحضارة الغربية. وفى عام ١٨٦٥ قام أحد زعماء الجماعة بتشييد مصنع جيان نان للصناعة العسكرية الحديثة. تواطأ لى هونغ جينغ مع إنجلترا وأمريكا وألمانيا وروسيا، وازداد نفوذه، وتضخمت سلطاته، وتولى منصب وزير

المقاطعات الساحلية ( لياوننغ، هيبى، شاندونغ) أثناء حكم أسرة تشينغ لفترة طويلة، كما سيطر على الشىءون العسكرية والدبلوماسية والمالية داخل حكومة تشينغ، وبعد الحرب الصينية اليابانية (١٨٩٤- ١٨٩٥) تضاءل نفوذه، وإنكمشت قوته، وبدأت جماعة فرض الحضارة الغربية فى الاندثار والاضمحلال من جراء إفلاسها السياسى والعسكرى، وظهور رواد تطوير الطبقة البرجوازية.

٢- المدرسة الكونفوشيوسية **The Confucian School** :

أسسها كونفوشيوس **Confucius** أشهر فيلسوف حكيم فى تاريخ الصين. ولد كونفوشيوس سنة ٥٥١ ق.م فى مدينة تشو فو بولاية لو **Lu** وكان موقعها موقع محافظة شانتونغ **Shantong** الحالية. تيتم فى باكورة حياته، وكان الابن الثانى فى أسرته. كان والده حاكماً لإحدى المدن ومديراً لإحدى المقاطعات فى ولاية لو، ومما يقال إنه كان من بين أجداده أريستوقراطيون، أما هو فكان فى صدر شبابه لا مكانة له وفى ظروف متواضعة. أسس كونفوشيوس وأتباعه - وعلى رأسهم منشيوس **Mencius**- أول مدرسة خاصة فى تاريخ الصين كرست اهتمامها للدراسات العليا، وكان تلاميذ مدرسته من مختلف الأعمار والأوضاع الاجتماعية والمواهب والمشارب. واهتم كونفوشيوس بتربية رعيل من الرواد الذين حملوا لواء الكونفوشيوسية، انطلاقاً من مفهوم التربية عنده: إنها تعنى التطور والتثقيف عقلياً وأخلاقياً لتوسيع المدارك وتقويتها وتنظيمها، كما كان يرى فى تلاميذه القدرة الديناميكية فى إحداث ثورة فى أية حكومة قد يشتركون فيها ويخضعون لخدمة أهداف الشعب. وتقوم فلسفة كونفوشيوس الأخلاقية على فضيلتين أساسيتين هما: آداب اللياقة، وتشمل: آداب المجتمع، وآداب البلاط، والطقوس

الدينية، والمبادئ الأخلاقية. والفضيلة الثانية هي العطف الإنساني، ويؤكد كونفوشيوس فضيلة الحب، ويعتبرها أسمى درجات الفضائل، ويصر على ضرورة سيادة القيم الإنسانية، ومن أقواله المأثورة: إن الحكمة هي معرفة الناس، والفضيلة هي حب الناس . أما فلسفته السياسية تقوم على أساس أن الحكومة يجب أن يكون هدفها رفاهية الشعب وتحقيق سيادته، ولايمكن أن يتحقق ذلك إلا إذا تولى مقاليد الحكم رجال عظام كفاة يتمتعون بالخلق والمعرفة. وفي الصين أثرت تعاليم كونفوشيوس النظرية على الأجيال إثر أجيال، واعتنق أفكاره بعض الصينيين، واعتبروا تفكيره هو تقليدهم الثوري. وبلغ شدة إعجاب الشعب الصيني بآراء كونفوشيوس إلى درجة التمجيد والتبجيل، ونقشوا تعاليمه على الحجارة، وشادوا له الهياكل والمعابد، واعتبروا رسالته من رسالات السماء، وهو من الأنبياء، ولم يكن كونفوشيوس سوى فيلسوف منحته الطبيعة بعض الحكمة. ويرى البعض أن كونفوشيوس هو الصين وأن الصين قد صاغت نفسها في قوالب كونفوشيوس وبعد وفاته في سنة ٤٧٩ ق.م عن عمر يناهز اثنين وثمانين عاماً، وصفه منشيوس ( ٣٧٢ ق.م – ٢٨٩ ق.م) الفيلسوف الكونفوشيوسي العظيم في القرن الرابع ق.م أنه " أعظم الحكماء قاطبة " ، كما امتد تأثير كونفوشيوس إلى اليابانيين، ويرددون أيضاً أن الياباني كونفوشيوسي أيضاً سواء كان شنتوياً أو بوذياً ؛ لأنه ليس هناك تعارض بين الشنتوية والبوذية من جهة، وبين الكونفوشيوسية من جهة أخرى. وفي الغرب قال عنه **Reichwein** رايشفاين في كتابه (الصين وأوروبا): لقد صار كونفوشيوس القديس الحالي لحركة التثقيف في القرن الثامن عشر، وأدرك الشعب الصيني – في نهاية المطاف – أن أيديولوجية كونفوشيوس تهدف إلى خدمة النظام الرجعي الإقطاعي في الصين شبه

الإقطاعية وشبه المستعمرة، بعد أن ظلت مسيطرة على العقول الصينية لمدة تزيد على ألفى عام منذ عهد مملكة هان (٢٠٦ ق.م – ٢٢٠ م)، ولذا تردد الهجوم على كونفوشيوس خلال الثورات الشعبية وفى فترات الصراع بين اليابان والصين، وبلغ الهجوم ذروته ضد كونفوشيوس أثناء الصراع بين الشعب والأباطرة من عام ١٨٩٠ حتى اندلاع ثورة ١٩١١ . ومن الغريب أن غزاة الصين اعتنقوا الكونفوشيوسية بصورة تفوق اعتناق الصينيين لها؛ لأنها كانت تدعم سلطتهم فى البلاد، وقد كان كونفوشيوس مثل نظيره فيلسوف أثينا العظيم سقراط Sokrates لم يترك كتبًا أو مؤلفات، وإنما ترك أقوالاً وتعاليم جمعها تلاميذه بعد وفاته.

### ٣ – حرب الأفيون The Opium War :

استخدم الأفيون فى الصين فى الأغراض الطبية منذ عهد أسرة تانغ Tang( ٦١٨ – ٩٠٧) الحاكمة. وفى عام ١٧٢٩ فرضت حكومة تشينغ Qing حظراً على استيراد الأفيون بعد أن قامت بعض الجماعات بخلطه بالطباق واستخدامه كمخدر مسبب للإدمان، وانتشرت هذه العادة حتى امتدت إلى الساحل الجنوبى، ولكن استمر البرتغاليون The Portuguese فى جلب كميات صغيرة منه من الموانئ الهندية مثل Damao و Goa وتهريبه إلى داخل الصين. وفى عام ١٨٢٥ حدثت فى بريطانيا أول أزمة من أزمات فرط الإنتاج، وكانت بريطانيا حينئذ أول دولة رأسمالية قوية فى العالم، وبدأت تبحث عن أسواق جديدة وكبيرة لتصريف وترويج البضائع الإنجليزية. ووجهت بريطانيا أنظارها إلى الصين حيث المساحات الشاسعة والأعداد الهائلة من السكان، وخاصة بعد أن فرضت سيطرتها على الهند فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر. وبالفعل بدأت بريطانيا تطوق الصين، وتفرض عليها البضائع

الإنجليزية، ولكن كان ميزان المدفوعات بين البلدين يميل لصالح الصين دائمًا، ولذلك سعت بريطانيا سعيًا حثيثًا لاستيراد الفضة التى كانت قاعدة التبادل التجارى فى ذلك الوقت التى دفعوها للصين والصينيين. وتمثل ذلك الحل فى إرسال شحنات هائلة من الأفيون إلى الصين لتخدير الشعب الصينى وابتزاز أمواله، وقامت شركة الهند البريطانية بإرسال أول شحنة كبيرة من الأفيون إلى الصين عام ١٧٨٠، واحتلت تجارة الأفيون المقام الأول فى المواد المصدرة للصين؛ ثم تدخل الأمريكيون فى نقل الأفيون التركى بسفنهم من ميناء سامرا إلى الهند؛ حيث كان التجار الإنجليز يقومون بتهريبه إلى الصين. وسرعان ما انتشرت عادة تدخين الأفيون بين أفراد الشعب الصينى على نطاق واسع، واضطرت الصين إلى دفع ثمن الأفيون بالفضة، ونجح الإنجليز فى استرداد الفضة التى سبق ودفعوها طوال عشرات السنين المنصرمة، وتدهورت حالة البلاد الاقتصادية، ولذا صدر مرسوم إمبراطورى بتحريم تجارة الأفيون، وقام لين تسيى هسو بتنفيذ المرسوم الإمبراطورى وإقامة التحصينات لمنع تهريب الأفيون إلى الصين من خلال شواطئ كانتون، واستشاط التجار الإنجليز غضبًا من جراء ذلك المرسوم الإمبراطورى الذى حرمهم من الأرباح الطائلة، وقام أحدهم بقتل أحد الصينيين فى كانتون، وتدهور الموقف بين الصين وبريطانيا، وخاصة بعد أن رفض المشرف البريطانى فى كانتون تسليم الجناة وتقديمهم للمحاكمة، وقامت الصين بمحاصرة السفن الإنجليزية الراسية فى ميناء كانتون، وأسرعت إنجلترا بإرسال سفينتين حربيتين إلى ميناء كانتون، وأطلقتا النيران على السفن الصينية. وهكذا اندلعت الشرارة الأولى لحرب الأفيون الأولى ( ١٨٤٠ - ١٨٤٢)، وزعمت إنجلترا أن سبب الحرب من جراء المعاملة السيئة للتجار الإنجليز، وأن الصين تضع العراقيل فى وجه

التجارة الحرة، وأخفت أن السبب الحقيقى للحرب هو تحريم تجارة الأفيون فى الصين، واضطرت الصين إلى الاستسلام وتوقع اتفاقية نانجينغ مع بريطانيا، التى كان من أهم شروطها أن تدفع الصين ٢١ مليون دولار تعويضاً للإنجليز عن الأفيون الذى صادره لين تسى هسو، وأن تتنازل الصين عن ميناء هونج كونج ليصبح مستعمرة بريطانية وغيرها من الشروط التعسفية. وعادت تجارة الأفيون تكتسح أرجاء الصين مرة أخرى. أما حرب الأفيون الثانية ( ١٨٥٧ - ١٨٦٠) نجمت عن أن الدول الاستعمارية حاولت الإفادة من ثورة التاتيبينغ المعارضة لحكومة تشينغ، واقترحت على الصين تعديل اتفاقية حرب الأفيون الأولى بما يتفق مع مصالحها ومآربها الاستعمارية، وخاصة فيما يتعلق ببند منح أقصى درجات الحرية للأجانب الدبلوماسيين والتجار الأجانب، فى مقابل تقوية سلطة حكومة تشينغ لمجابهة ثورة تايبينغ، وتذرعت بريطانيا باحتجاز حكومة تشينغ لسفينة قرصنة صينية تحمل العلم البريطانى، ورفضت الامتثال لأوامر المندوب البريطانى بالإفراج عنها. وعلى الفور قام الأسطول البريطانى بقصف كانتون بالقنابل، وفى الوقت نفسه، تذرعت فرنسا بمقتل أحد مبعوثيها فى كوانغسى فى ديسمبر عام ١٨٥٧، واشتركت مع بريطانيا فى حربها ضد الصين. ويؤرخ المؤرخون الصينيون بداية تاريخ الصين الحديث وبدء الثورة الديمقراطية البرجوازية بحرب الأفيون التى تعتبر الحلقة الأولى فى سلسلة الحروب العدوانية التى شنتها القوى الرأسمالية لتحويل الصين إلى شبه مستعمرة ومستعمرة لها. وأخيراً تجدر الإشارة إلى أن تجارة الأفيون لم تحرم فعلاً إلا فى عام ١٩١٧، وطبق القانون الصينى على الأجانب حقاً بعد انتصار الثورة الاشتراكية وتأسيس جمهورية الصين الشعبية فى عام ١٩٤٩ .

٤ – كانغ يو وى : Kang Yu - Wei ( ١٨٥٨ – ١٩٢٧ ) زعيم الحركة الإصلاحية البرجوازية فى الصين فى العصر الحديث، ينحدر من أسرة إقطاعية بيروقراطية في إقليم نانهاى بمقاطعة قوانغ دونغ تشبع بالأفكار الغربية والعلوم الحديثة الغربية وهو فى شرخ الشباب؛ حيث ذهب إلى هونج كونج وشنغهاى. لم يدخر وسعًا فى أن يرفع راية الإصلاح السياسى والتعلم من الغرب، كان يحدوه الأمل أن يبنى الصين على غرار الدول الرأسمالية التقدمية. قدّم إلى الإمبراطور قوانغ تشى من عام ١٨٨٨ إلى عام ١٨٩٨ سبع مذكرات يطالبه فيها بالإصلاح السياسى للبلاد وتحطيم الأسوار الفولازية التى فرضتها حكومة تشينغ على الصين، ولكن بعد فشل الحركة الإصلاحية وهروبه إلى هونج كونج، طرأ تغيير كبير على أفكاره وآرائه الإصلاحية، وشكل جمعية ( حماية الإمبراطور ) ليعارض الثورة الديمقراطية عام ١٩١١ . يعتبر كتابه ( الوفاق العظيم) من أشهر مؤلفاته، ويقدم فيه نظريته وآراءه المثالية لإحداث التغيير فى العالم بأسره

٥ – قوانغ تشي Guang Hsu : قامت تسى تشى بتنصيبه على العرش إمبراطوراً بعد وفاة أخوه الإمبراطور تونغ تشى فى عام ١٨٧٥، وكان عمره آنذاك أربع سنوات، وأسبغت عليه لقب قوانغ تشى. ونظراً لصغر سن الإمبراطور، قامت تسى تشى بتصريف شىءون البلاط من وراء الحجاب طبقًا لقوانين الأسرة الإقطاعية. وعندما بلغ قوانغ تشى السادسة عشرة من عمره بدأ يدير أمور البلاد من خلال أوامر تسى تشى المسيطرة على مقاليد الحكم. وفى عام ١٨٨٩ بلغ قوانغ تشى سن الرشد وانفرد بالسلطة. وفى تلك الأثناء بلغت تسى تشى الخامسة والخمسين وارتكنت إلى الراحة فى القصر الصيفى، ولكنها ظلت متعلقة

بالسلطة. وسرعان ما احتدم الصراع بينهما وبلغ ذروته أثناء الحركة الإصلاحية، وأصبح هناك فريقان بيروقراطيان يتصارعان داخل الأسرة الحاكمة، أحدهما يدين بالولاء إلى الإمبراطور قوانغ تشي، والآخر إلى أم الإمبراطور تسى تشى .

٦ - **الكلاسيكيات الكونفوشيوسية (The Confucian Classice ) :**
أو الكلاسيكيات الخمس، وهى تشمل: كتاب الوثائق التاريخية، وكتاب الطقوس، وكتاب الأغانى، وكتاب تقويم الربيع، والخريف. وكلها تحتوى على تعاليم ومبادئ النظرية الكونفوشيوسية، وقد شجع الأمراء الإقطاعيون على تداولها ونشرها .

٧ - **ثورة تايبنغ ( Taiping Revolution )** تحمل الشعب الصينى العبء الأكبر من الأعباء الاقتصادية الضخمة التى فرضتها الدول الاستعمارية ( بريطانيا - فرنسا - الولايات المتحدة) عليه بعد هزيمة حكومة تشينغ فى حرب الأفيون الأولى. وكان من الطبيعى أن يعلن الشعب سخطه واستيائه للاتفاقيات المجحفة التى وقعتها حكومة تشينغ مع تلك الدول، وخاض معها معارك ضارية. وفى الوقت نفسه راحت حكومة تشينغ تبحث لها عن مكان بين الطرفين، وخشيت من ازدياد النفوذ الثورى، ووقفت مع الاستعمار ضد الشعب الصينى تشبثًا بالسلطة، وتشكلت المنظمات السرية لمقاومة السلطة الإقطاعية كان من أبرزها منظمة ( جمعية عباد الله) Bai Sheng Di Hui التى استطاعت تحت قيادة مؤسسها ( هوانغ شيو تشوان) أن توحد أغلب المنظمات السرية الأخرى، وتكون جيشًا قويًا، واتخذت من إقليم كوانغسى مركزًا لنشاطها. وعندما انتشرت المجاعة فى ذلك الإقليم عام ١٨٤٩، اجتمع أعضاء المنظمة، وقرروا إعلان الثورة رسميًا فى الحادى عشر من يناير

عام ١٨٥١ التى عرفت بثورة التايبنغ ( ١٨٥١ - ١٨٦٤)، واستطاع جيشها أن يهزم قوات حكومة تشينغ ورفع راية شعار " الأرض لزارعيها ". واتسمت الثورة منذ بدايتها الأولى بالطابع الديمقراطى التقدمى المُعادى للإقطاعية، وازداد التفاف الشعب حولها، وسيطرت على سبعة عشر إقليمًا من أقاليم الصين الواحدة والعشرين، لدرجة أن الصين انقسمت آنذاك إلى دولتين: الأولى فى الشمال ( دولة تشينغ) الممثلة لطبقة الإقطاعيين، والثانية فى الجنوب ( دولة التايبنغ) الممثلة لطبقة الفلاحين والحرفيين، ولكن استطاعت حكومة تشينغ بمساعدة القوات الاستعمارية أن تسحق الثورة فى عام ١٨٦٤ .

**٨ - ليانغ تشى تشاو Liang Chi - Chao :** ( ١٨٧٣- ١٩٢٩) مصلح رأسمالى صينى فى العصر الحديث ومُعلم أيضًا ، من مواليد مقاطعة قوانغ دونغ، يعتبر من أبرز طلاب أكاديمية وانمو، حمل لواء الإصلاح مع أستاذه كانغ يو وى. كان له تأثيره العظيم فى نفوس المثقفين بعد أن نقل إليهم علوم الغرب فى النواحى السياسية والاقتصادية والثقافية. عارض الثورة الديمقراطية شأنه شأن أستاذه بعد فشل الحركة الإصلاحية. بعد ثورة ١٩١١، أسس حزب تقدمى لحماية جيش البلاد ضد يوان شى كاى، وأثناء حركة مايو ١٩١٩ عارض مهاجمة تعاليم كونفوشيوس، عمل مدرسًا فى مدرسة تشين هوا بعد أن بلغ من العمر أرذله .

**٩- كانت الامتحانات لاختيار الموظفين فى الصين الإقطاعية تعقد على ثلاثة مستويات :** مستوى المحافظة، ومستوى المقاطعة، ومستوى الدولة. وكانت تمنح الألقاب ذات الدرجات المختلفة على رجال العلم ممن

أحرزوا النجاح خلال مستويات الامتحانات الثلاثة؛ فلقب (Xiucai شيو تساي أطلق على الناجحين في امتحان المحافظة، ولقب (Juren جيو رن على الناجحين في امتحان المقاطعة، ولقب (Jingshi جين شي على الناجحين في امتحان الدولة. وكان الإمبراطور يمنح دائمًا وظيفة رسمية لمن يفوز بلقب جين شي .

**١٠ - الفلسفة الميتافيزيقية الكونفوشيوسية** : كانت الفلسفة المثالية التي أرسى قواعدها الأخوين شينغ هاو Cheng Hao ( ١٠٣٢ - ١٠٨٥)، وشينغ يي Cheng Yi ( ١٠٣٣ - ١١٠٧ ) ثم تطورت على يد تشو شي Chu Shi (١١٣٠ - ١٢٠٠)، وكانت هذه الفلسفة هي الفلسفة الرسمية التي تعكس مصالح الطبقة الإقطاعية الحاكمة في الفترة الأخيرة للمجتمع الإقطاعي . وقد وصفت هذ الفلسفة أن الـ Li أو السبب ، بأنه الدستور الأزلي للكون وأصل كل الأشياء في العالم ، وكانت الـ Li أساس نظرية ( أمر السماء) ، وقد كانت الكونفوشيوسية نزعة عقلية بحتة، وفصلت الأخلاقيات عن كافة الميتافيزيقيات ( ما وراء الطبيعة).

**١١- تسي تشي Tzu Hsi** : بدأت حياتها حظية للإمبراطور شيان فنغ الذي أنجبت منه الإمبراطور تونغ تشي، ولذا يطلق عليها زوجة الإمبراطور أو أم الإمبراطور Empress Dowager (١٨٣٥ - ١٩٠٨) قررت أن يتولى عرش البلاد قوانغ تشي بعد وفاة أخيه الإمبراطور تونغ تشي في عام ١٨٧٥ . كانت المفكر السياسي الحقيقي أثناء حكم الإمبراطور قوانغ تشي ( ١٨٧٥ - ١٩٠٨). تنتمي إلى قومية مان. انتهجت سياسة تقوية الذات والبحث عن الثراء، واعتمدت على القوى الإقطاعية والبيروقراطية في إدارة شئون البلاد، وأدخلت الصناعات

الحربية وتدريب القوات الجوية والبرية داخل البلاد. أما فى الخارج فقد انتهجت سياسة الاستسلام وتوقيع المعاهدات التعسفية بحقوق الشعب الصينى، ورفضت تطبيق إجراءات الإصلاح عام ١٨٩٨، وقتلت تان سى تونغ أحد زعماء الحركة الإصلاحية. وفى عام ١٩٠٠ حاولت الإفادة من انتفاضة يى خه توان فى تقوية عرش الإمبراطورية، ولكن عندما احتلت جيوش الدول الثمانية مدينة بكين، فرت إلى شيآن ، وأصدرت أوامرها بقهر الانتفاضة وتوقيع معاهدة ( تشين تشاو). وفى العام التالى، انتهجت سياسة جديدة، وأعلنت الدستور، وهاجمت الرأسماليين من جهة، ومن جهة أخرى عملت على بناء جيش قوى لقمع الشعور الوطنى والقوى الشعبية للانفراد بالسلطة .

١٢ – ونغ تونغ خه Weng Tong - He : ( ١٨٣٠ – ١٩٠٤) من رواد الحركة الإصلاحية فى أواخر عهد أسرة تشينغ. مُعلم الإمبراطور قوانغ تشى. أحد الباحثين البارزين فى عهد الإمبراطور شيان فينغ. فى عام ١٨٧٩ كان وزيراً لوزارة العمال فى الصين الإقطاعية، وفى عام ١٨٨٢ كان وزيراً للشىءون العسكرية فى الملكية الصينية، وفى أوائل عام ١٨٨٦ كان وزيراً لوزارة الدخل الحكومى من الضرائب. كان على رأس المؤيدين لأفكار كانغ يو وى لتحقيق الإصلاح، ومن المؤيدين لجناح الإمبراطور قوانغ شى، ولم يدخر وسعًا من أجل تنفيذ سياسة الإمبراطور الهادفة إلى الإصلاح، بعد فشل الحركة الإصلاحية أقالته أم الإمبراطور تسى تشى وجردته من مناصبه .

١٣– هونج كونج Hong Kong : تتكون من جزيرة هونج كونج وشبه جزيرة جيو لونغ، كانت تابعة لمحافظة شينآن التى يطلق عليها اليوم مدينة شين جين . احتلت بريطانيا جزيرة هونج كونج بعد حرب

الأفـيون عـام ١٨٤٢، وحولتـهـا إلى مـسـتـعـمـرة بريطانيـة. وفى عـام ١٨٦٠ احتلت أيضًا شبه جزيرة جيولونغ والمناطق المجاورة لها، وبذلك بسطت نفوذها على هونج كونج قاطبة، وتدفق الإنجليـز وبضـائعـهم إلى ميناء هـونج كونج. عادت هونج كونج إلى السيادة الصينية فى أول يوليو عام ١٩٩٧ .

١٤ – **ماكاو Macao** : تقع فى مقاطعة قوانغ دونغ، تابعة لمحافظة شيان شان. حدث أول اتصال لأوروبا بالصين فى أوائل القرن السادس عشر حين قدم السفير البرتغالى توماس بيريز إلى بكين عارضًا على إمبراطورها كانـغ تى من أسرة مينغ إقامة علاقات تجارية بين البرتغال والصين، إلا أن الإمبراطور أوجس خيفة من هذا العرض فرفضه. وفى عام ١٥٥٣ قام البرتغاليون بفرض البضـائع البرتغالية على الصين بعد حرب الأفيون، حتى سمحت السلطات الصينية بتأجير جزيرة ماكاو الصينية للبرتغال عام ١٥٥٧ ، واتخذتـها قاعدة بحرية لسفنها، وظلت البرتغال تدفع إيجار تلك القاعدة بانتظام حتى عام ١٨٤٩ . وفى عام ١٨٨٧ قـامت بالسيطرة على الجـزيرة قـاطبـة. وأخـيرًا وقـعت الصين والبرتغال فى ١٣ إبريل عام ١٩٨٧ على البيان المشترك الذى ينص على عودة مكاو إلى السيادة الصينية فى ٢٠ ديسمبر ١٩٩٩ .

١٥ – **قـويلين ( Kuilin )** : تقع فى شمـال شـرق منطقـة قـوانغ شى جوانغ ذات الحكم الذاتى . ترجـع أهميتها التاريخية لكونها كانت مـركزًا سـياسـيًا وثقـافـيًا ومـوقـعـها الاسـتـراتيـجى العسكرى. تنفـرد قـويلين بمناظرها الطبيعية الخلابة التى لا تضاهى، ولها شهرتها العالمية فى أن الجبال ومياه الأنهار فى قويلين لا يوجد مثيلهما فى العالم .

١٦ - تــان ســى تــونــغ Tan Ssu - Tung : ( ١٨٦٥ ·· ١٨٩٨ )
مصلح سياسى صينى ومفكر فى العصر الحديث، من مواطنى محافظة ليو يانغ Liuyang بمقاطعة هونان ، اشتغل بالقضاء فى مطلع حياته ، قام بجولات عديدة فى الشرق والغرب والجنوب، وسافر إلى بكين فى عام ١٨٩٦، وهناك تعرف على ليانغ تشى تشاو، وأبدى إعجابه الشديد بأفكار كانغ يو وى. كرس حياته للاطلاع على العلوم الصينية والغربية، ونشر آراءه ومؤلفاته التى تحث على الإصلاح، وبذل جهوداً مضنية لتحقيق الإصلاح فى مسقط رأسه هونان. بعد فشل الحركة الإصلاحية نفذ فيه حكم الإعدام بأمر من أم الإمبراطور تسى تشى ليلقى حتفه وهو فى عنفوان الشباب .

١٧ - تومــاس هنرى هكسلى T.H.Huxley : ( ١٨٢٥ ·· ١٨٩٥ )
بيولوجى إنجليزى. كان من أشد المتحمسين لنظرية داروين، ودعا إلى التمسك بها فى كتابه ( التطور والأخلاقيات) الذى عالج فيه الجانب المادى متمثلاً فى الظواهر الطبيعية، والجانب المثالى متمثلاً فى الظواهر الاجتماعية ( الأخلاقيات). ويرى هكسلى أن العالم الحر يتطور من خلال الصراع من أجل البقاء وفقًا لقانون الانتقاء الطبيعى، وأن جميع الكائنات الحية تحافظ على بقائها من خلال التنافس المتبادل فيما بينها، والتى تتلاءم أكثر من غيرها يمكنها البقاء، أما التى لا تستطيع التلاؤم فيكون الفناء من نصيبها ، ويطبق المؤلف هذه النظرية فى المجتمع البشرى ، ويقرر أن الصراع بين البشر من أجل البقاء تكون الغلبة فيه للأقوى الواثق فى مقدرته لسحق الأضعف . وهكذا يكون قانون " الانتقاء الطبيعى " مستقلاً عن إرادة البشر، وقد كان تقديم هذه النظرية إلى الصين فى الظروف التى كانت تواجه فيها خطر التقسيم

والهيمنة من قبل الدول الرأسمالية القوية قد ساعد على إيقاظ الشعب الصيني وتنويره بحتمية النضال حتى لا تسود شريعة الغاب التي انتهجتها الدول الرأسمالية داخل المجتمع الصيني.

**١٨ – ميجي Meiji** : ( ؟ – ١٠٠٩) حكم اليابان من عام ١٨٦٨ إلى عام ١٩١٢ .

**١٩ – هيروبومي أتو Horobumi Ito** : (١٨٤١ – ١٩٠٩) اشترك في صدر شبابه في الحركة الإصلاحية التي قادها الإمبراطور الياباني ميجي . منذ عام ١٨٨٥ تولى رئاسة الوزارة اليابانية أربع مرات ( ١٨٨٥ – ١٨٨٨ ، ١٨٩٢ – ١٨٩٦ ، ١٨٩٨ – ١٩٠٠ ، ١٩٠١ – ١٩٠٩). تولى العديد من المناصب السياسية والخارجية والعسكرية أثناء حكم الإمبراطور ميجي. مارس ضغوطًا إرهابية على حكومة تشينغ للتنازل عن تايوان إلى اليابان بمقتضى اتفاقية شيمونوسكي. عين حاكمًا على كوريا بعد أن فرضت اليابان سيطرتها عليها. في عام ١٩٠٩ قام أحد مواطني كوريا الخلصاء باغتياله أثناء تواجده في الصين .

**٢٠ – يوان شي كاي Yuan Shi Kai** : ( ١٨٥٩ – ١٩١٦ ) قائد الجنرالات في المقاطعات الشمالية في عهد أسرة تشينغ الإقطاعية. من مواليد خنان، في عام ١٨٩٥ عهد إليه تدريب قوات المشاه الحديثة في تيانجين، في عام ١٨٩٨ لعب الدور الرئيسي في إخفاق الحركة الإصلاحية، وفي عام ١٨٩٩ تآمر وتواطأ مع الغزاة الألمان لدحر حركة يي خه توان. وفي عام ١٩٠٠ عندما احتلت القوات الثمانية المعادية لبكين ، اشترك في الحملة الاستعمارية الهادفة إلى تطويق الشمال والجنوب، كما عارض الثورة الديمقراطية عام ١٩١١، وأثناء العدوان

الياباني على الصين ، تسلل إلى داخل الوزارة وتولى منصبًا بمساعدة المستعمرين ، وعمل على تصفية الحزب الثورى ومعارضته، وهكذا لا نعرف عنه سوى أنه كان خائنًا لوطنه ولشعبه خلال مراحل تطور الثورة الصينية فى العصر الحديث .

٢١ – **القصر الصيفى** **The Summer Palce** : يقع فى ضاحية بكين الغربية، ومن أشهر حدائقها التى تجسد فن بناء الحدائق التقليدى فى الصين. كان عبارة عن حديقة إمبراطورية مساحتها ٢٩٠ هكتاراً، تحتل البحيرات ثلاثة أرباع منها. فى القرن الثانى عشر الميلادى ، كان الأباطرة من أسرة جين الحاكمة أول من أقام هناك قصراً منتزهًا، ثم قام الإمبراطور تشيان لونغ فى أسرة تشينغ بتطويره وتوسيع بنائه، قامت القوات الأنجلو – فرنسية بحرقه، ونهبت كل ما فيه عام ١٨٦٠، وفى عام ١٨٨٨ استغلت الإمبراطورة الأرملة تسى شى الاعتمادات العسكرية فى إعادة بناء هذه الحديقة الإمبراطورية، وأطلقت عليها ( القصر الصيفى). يتكون القصر الصيفى من جبل وانشو الذى يتناثر حوله القصور والقاعات والأبراج والمقاصير، ومن بحيرة كونمينغ الذى يمتد على شاطئها ممر طوله ٧٢٨ متراً، وتتزين سقوفه برسوم جميلة تصف قصصاً تاريخية متنوعة وأساطير مختلفة ومناظر طبيعية، وقد اشتهر القصر الصيفى بمياه بحيرته الهادئة وخضرة جبله الزمردية وممراته الملتوية المزينة بالرسوم الفنية التى جعلته بحق تحفة نادرة فى تاريخ بناء الحدائق فى العالم .

٢٢ – **القصر الإمبراطورى** **The Emperial Palace** : يقع فى قلب مدينة بكين، أطلق عليه فى عهد أسرتى مينغ وتشينغ الحاكمتين المدينة

المحرمة The Forbidden City ، وكان المركز الرئيسى السياسى فى الصين أثناء حكم تلك الأسرتين. بُنى فى الفترة من عام ١٤٠٦ إلى عام ١٤٢٠ أثناء حكم يونغ لى Yong Le الإمبراطور الثالث فى أسرة مينغ الحاكمة. يحتوى القصر الإمبراطورى فى داخله على تسع آلاف حجرة تقريبًا معظمها تعكس التصميم الهندسى وفن البناء التقليدى فى الصين، وتبلغ مساحتها ٧٢ هكتاراً، ويحاط بأسوار عالية ارتفاعها أكثر من عشرة أمتار وبخندق مائى عرضه اثنين وخمسين متراً، ويتألف القصر الإمبراطورى من القصر الخارجي وفيه عرش الإمبراطور، وتُقام فيه الاحتفالات الرسمية الإمبراطورية، والقصر الداخلى وفيه تقطن الأسرة الإمبراطورية الحاكمة. عاش هناك أربعة وعشرون إمبراطوراً على مدى ٤٩١ سنة (١٤٢٠ - ١٩١١). بعد قيام ثورة ١٩١١، وتنازل الإمبراطور بويى Puyi عن العرش، أعلن تأسيس متحف القصر بصورة رسمية. وبعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٤٩، ضمته الثورة إلى أحضانها، ورصدت له الأموال لترميمه وتطويره، وأصبح من أهم المتاحف الأثرية فى العالم .

٢٣ - لوشيون Lu Shun : (١٨٨١ - ١٩٣٦ ) قائد الثورة الثقافية الصينية الحديثة، وعملاق ومؤسس الأدب الصينى الحديث، كما كان مفكرًا عظيمًا ومعلقًا سياسيًا وثوريًا تقدميًا . انحدر لوشيون من أسرة إقطاعية منحلة. وفى مرحلة الشباب طرأ تغيير جذرى على أفكاره وأصبحت تقدمية . كانت كتاباته بمثابة معاول هدم فى جدران المجتمع الإقطاعى البائد، كما وجهت ضربات قواصم إلى الاستعمار وأعوانه فى الصين. يحلو لكثير من الأدباء والباحثين الصينيين أن

يطلقوا عليه لقب ( عميد الأدب الصينى ) تشبهًا بالدكتور طه حسين عميد الأدب العربى .

٢٤ - **يى خه توان Yi He Tuan** : كانت جمعية سرية تكونت فى شمال الصين، وكان أعضاؤها من الفلاحين والمهنيين، وقد قامت على أكتاف الفرق الدينية التى كانت تؤمن بالخرافات والخزعبلات. وفى عام ١٩٠٠ شنت نضالاً مسلحًا ضد الاستعمار، سرعان ما أصبح انتفاضة شعبية عارمة، ويعرف ذلك بحركة يى خه توان .

٢٥ - **ثورة البوكسرز** ( ١٨٩٨ - ١٩٠١) : " البوكسرز " اسم يطلق على أعضاء جماعات صينية، وهم فى الأصل أعضاء فى حركة مُعادية للأجانب إندلعت بعد هزيمة الصين أمام اليابانيين فى عام ١٨٩٥ وانضمت لتلك الجماعات العصابات المدربة من المشاغبين والجماعات السرية والميليشيا فى القرى الثورية، وكانوا يطالبون بطرد الأجانب من الصين، وذلك عندما قامت حكومة تشينغ بمحاولة تهدف إلى الاضطلاع بالدفاع الوطنى ضد العدوان الأجنبى. ورفع البوكسرز شعار ( احموا الوطن ودمروا الأجنبى)، وقد عرفوا للأجانب باسم " البوكسرز" وهى ترجمة غير دقيقة للتسمية الصينية " أى هو توان " أو "أى هو شون" ؛ أى " عصابات العدالة المتآلفة " أو " قبضات العدالة المتآلفة ".

٢٦ - **الجيش الثامن The Eighth Route Army** : كان فى الأصل الجيش الأحمر الصينى . وفى أغسطس عام ١٩٣٧، وبعد الاتفاق مع حكومة الكومينتانغ، أطلق عليه الجيش الثامن الثورى الوطنى، وفيما بعد أطلق عليه جيش المجموعة الثامنة عشرة. وأثناء الحرب الأهلية ( ١٩٤٥ - ١٩٤٩) أطلق عليه جيش التحرير الشعبى الصينى .

٢٧ – الجيش الرابع الجديد The Fourth New Army : في أوائل مرحلة المقاومة المشتركة من جانب الشيوعيين وحكومة الكومينتانغ، وافقت الأخيرة على تكوين جيش من فلول القوات الشيوعية المتخلفة أثناء المسيرة الكبرى في كيانغ تسي Kiang Si وفوكين Fukien تحت قيادة جين Gen أطلق عليه الجيش الرابع الجديد .

٢٨ – المسيرة الكبرى The Long March : قام بها الشيوعيون في عهد حكومة الكومينتانغ في أكتوبر عام ١٩٣٤ سيراً على الأقدام، وتسمى أيضاً الزحف الطويل، وقد بلغ طول هذه المسيرة أكثر من ٦٠٠٠ ميل، وابتدأ الزحف من كينانسكى Kianski في الجنوب عبر أراضي الصين إلى مقاطعة شنسي في الشمال الغربي منها، وكان عدد المشتركين فيها عند بدايتها حوالي تسعين ألف رجل وامرأة وطفل، وكانوا يحملون أسلحتهم وذخيرتهم، ويواجهون أكثر أنهار الصين طولاً وعمقاً، ويشقون قمم الجبال وممراتها في خضم العواصف والثلوج والرياح الرملية القاسية وفي أثناء هذه المسيرة التاريخية أصبح ماو تسي تونج زعيماً للحزب الشيوعي الصيني. وفي أكتوبر عام ١٩٣٥، وبعد معارك متواصلة وضارية ضد قوات تشانغ كاي – شيك، وصل ماو إلى مقاطعة شينسي Shen Si في الشمال الغربي من الصين، وليس معه سوى ما يقارب الثمانية آلاف ممن بدأوا المسيرة عام ١٩٣٤، وفقد ماو طفليه أثناء هذه المسيرة .

## " المقهــى "

## والمسرح التاريخى السياسى

### سيرة لاوشه (١٨٩٩ - ١٩٦٦)

يعتبر لاوشه Lao She - مؤلف مسرحية المقهى - من أشهر أدباء الصين المعاصرين، ومن أعظم الأدباء الواقعيين في الأدب الصينى الحديث، ومن أعلام المسرح الصينى المعاصر، كما أنه يتمتع بمكانة مرموقة فى عالم الأدب والفن وأكثر الكُتاب الصينيين شهرة فى العالم، ويمتاز نتاجه بالتنوع والغزارة، ففى صدر شبابه كتب الرواية، وفى منتصف العمر كتب - بالإضافة إلى الرواية - النثر، والمسرحية، وأشكال الفنون الشعبية التى تشمل الأغانى الشعبية العاطفية والحكايات والحوار الكوميدى، وفى أخريات حياته كرّس قلمة لكتابة المسرحية دون غيرها .

ولا يغرب عن البال أن لاوشه يعد أكثر الكُتاب قوة وتأثيراً ظهر بين الأقليات الصينية فى العصر الحديث؛ فقد منحته الطبيعة من الإلهامات الأدبية، والملكات الفنية واللغوية التى أهلته ليكون روائيًا عظيمًا، ومسرحيًا ممتازاً ؛ فقد كان من أقدر الكُتاب الذين عرفتهم الصين، وسيداً من حملة الأقلام الذين دانت لهم البلاغة، وملكوا زمام اللغة، واستطاع أن يحرز بجدارة لقبى (فنان الشعب ) و ( أستاذ اللغة العظيم ).

اسمه الأصلي شو تشين تشون .Shu Qing Chun كان من منبت فقير؛ إذ انبثق من أسرة ريفية معدومة تقطن بكين في الثالث من فبراير عام ١٨٩٩، وينتمي إلى قومية مان، وكانت سنوات حياته الأولى كئيبة منقبضة امتحنته الأحداث، وهصرته الأيام، وتحدته الأقدار فصوبت إلى آماله ضرباتها القاسية، وسددت إلى أحلامه سهامها القاضية؛ فمنذ نعومة أظافره عاني من شظف الحياة ؛ حيث قتل والده الذى كان جنديًا فى جيش حماية البلاد الإمبراطورى لأسرة تشينغ الإقطاعية عام ١٩٠٠، وكان لاوشه إذ ذاك طفلاً غريراً، وصارت الحياه به ظالعة عرجاء لدرجة أنه في بعض الأحايين وصل به الحال إلى حد الإدقاع ، وعاش فترة لاقى فيها كل صنوف المحن والإحن .

وغني عن البيان، أن تيه السنوات العجاف التى حاصرته فى طفولته وصدر شبابه تركت بصماتها الغائرة وآثارها القوية على أفكاره وأحاسيسه، وكونت لديه اتجاهًا يفيض باليأس والقنوط من الظلم والإضطهاد فى المجتمع شبه الإقطاعي وشبه المستعمر، وسيطرت عليه روح الثأر والانتقام من الاحتلال الأجنبى والإقطاعية المتعفنة والفساد المستشرى داخل البلاد، كما أن البيئة الاجتماعية القاسية التى ذاق مرارتها قبل أن يشب عن الطوق كونت لديه إدراكـًا عميقـًا بالحياة القاسية للطبقات الدنيا فى المدينة، وكان لها تأثيرها الجلى على كتاباته الأدبية ولاسيما التى كتبها فى شرخ شبابه. ويوفر لاوشه مشقة البحث عن باحثي الأدب في سيرته، ويعلن فى غير مواربة: "الفقر يحاصرنى منذ طفولتي، كما تأثرت فطرتى بانطباعات والدتى العميقة – إنها كانت تتضور جوعًا ولا تتوسل إلى أحد، وفي الوقت نفسه كانت سيدة تكن الإخوة والمحبة للآخرين. الفقر جعلنى أشجب عصرى، وجعلنى قوى

الإرادة، وسهل عليّ أن أتناول أحاسيس وآراء المرء للحكم على الآخرين، أما المحبة جعلتنى أعطف على الآخرين من قلبى." [1] .

وكانت هذه العوامل كفيلة أن تنتج لنا كاتباً يمثل جيله وعصره بكل جوانبه وملامحه، ومن ثم جاءت روايته ( سائق الجنركشة ) [2] عام ١٩٣٧ - التى تعتبر من أحسن ما كتب لاوشه منذ ربيع حياته الأدبية - مرآة صادقة تنضج بالألم والمرارة لما عاناه من عنت الحياة وصعوبة العيش عندما كان غلاماً يافعاً.

وعلى الرغم من هذا كله، استطاع لاوشه أن يطوى كشحه على ما فى قلبه من ألم وحسرة فقد كان عظيم الجلد، قوى الإرادة، كبير القلب ، واسع الآمال ، بعيد الطموح ، جدياً لا يعرف الهزل، نشيطاً لا يسمح للملل أو الكلل بأن يتخذ إلى عزيمته سبيلاً، حتى استطاع أن يلتحق بمدارس التعليم الخاص فى عام ١٩٠٥ . وفى عام ١٩٠٩ انتقل إلى المدرسة الابتدائية ، وبعد التخرج فى المدرسة الابتدائية العليا عام ١٩١٢ ، التحق بالمدرسة الإعدادية فى بكين، ولكن لظروف أسرته المعيشية اضطر إلى الإنقطاع عن الدراسة ولكن استطاع أن يتمسك بأهداب الحياة حتى اشتد عوده، والتحق بمدرسة المعلمين فى العام التالى، وأثناء تلك الفترة عشق قراءة الأدب الكلاسيكى الصينى، وبدأ كتابة الشعر الكلاسيكى .

وفى عام ١٩١٨ تخرج فى مدرسة المعلمين، وعمل ناظراً فى مدرسة ابتدائية ومدرساً للغة الصينية فى إحدى المدارس الإعدادية، واطلع على الأعمال الأدبية التى نشرت إبان حركة ٤ مايو الأدبية عام ١٩١٩، التى يؤرخ بها الأدب الصينى الحديث، وزودته بالزاد الفكرى والأدبى، وبدأت أفكاره الديمقراطية تتبلور إلى حيز الوجود، واستل قلمه وشهره كسلاح

فى وجه الاستعمار والإقطاع، وأصبح الأدب محرابه يوجه من خلاله السهام المسمومة إلى أعداء الحرية والاستقلال فى بلاده .

وفى صيف عام ١٩٢٤ سافر لاوشه إلى إنجلترا حيث عمل مدرسًا للغة الصينية فى معهد اللغات الشرقية بجامعة لندن، وكانت فرصة رغيدة له لإتقان الإنجليزية والاطلاع على الأعمال الأدبية لمشاهير الكُتّاب فى إنجلترا، ومكث هناك خمس سنوات، تفتحت فيها آفاق المعرفة، وتفجرت ينابيع الإلهامات الأدبية عنده، وكتب باكورة أعماله الأدبية رواية ( فلسفة العم تشانغ) ، ثم تبعها بروايتين طويلتين هما: (مذكرات فوتسى) و(أرما). وتجسد بواكير أعماله الأدبية ما يعتلج فى صدر مؤلفها من حقد وكراهية للاستعمار والإقطاع والمجتمع الرأسمالى. وفى الوقت نفسه، تبرز حب الكاتب واحترامه الشديد للأقليات فى الصين، وتظهر التحول والتطور التدريجى لأفكار لاوشه التقدمية لدحر الاستعمار والإقطاعية، ناهيك عن إبراز قدرات الكاتب الفنية فى مجال التهكم والسخرية .

ولكى يثرى أفكاره الفنية والأدبية فيما يتعلق بالآداب الأجنبية، قرأ لاوشه العديد من المؤلفات الأدبية الغربية التى تتناول فى موضوعاتها مذهب الواقعية **Realism** ، كما تأثر بالعديد من كتاب الغرب وعلى رأسهم الشاعر ورجل الدين الإنجليزى هربرت جورج ويلز **Herbert George Wells** ، والروائى الإنجليزى البولندى المولد جوزيف كونراد **Joseph Conrad** ، وجى دو موباسان **Guy De Maupassant** الذى يعتبر رائد الأقصوصة الفرنسية الأول، وجوستاف فلوبير **Gustave Flaubert** الذى يعتبره بعض النقاد رائد الواقعية فى الأدب الحديث .

وفى عـام ١٩٢٩ غـادر لاوشـه أوروبا إلى سنغـافـورة Singapore، وقام بتدريس الأدب الكلاسيكى الصـينى فى إحـدى مدارس الصـينيين فـيمـا وراء البـحـار The Overseas Chinese Schools . وهناك نشبت مـعركـة داخليـة داخل نفس لاوشـه طرفـيـهـا الحـيـاة الغـربيـة والواقـعيـة الشرقية، جعلته يكتشف أن : " الأفكار الجديدة فى الشرق، وليست فى الغرب "، وإذا كنت تريد اليوم أن تعرف سبب قيـام الثـورة، فـعليك أن تذهب إلى الشرق؛ لأن الأمم الشـرقـية ذاقت كل أنواع الاضطهـاد التى عرفتها البشرية "، وجسدت روايته ( عيد ميلاد شياوبوا ) الصراع بين تلك الأفكار داخل نفسه، وعندما عاد إلى أحضان الوطن فى عام ١٩٣٠، عمل أسـتـاذًا فى جـامـعـتى تشى لو Qilo ، وشـان دونغ Shan Dong ، ومكث فيهما حتى عام ١٩٣٧ .

وفى عـام ١٩٤٦ سـافر إلى الولايات المتحدة مع الكاتب المسرحى الصينى الأشهر تساو يوى ليحاضر هناك بدعوة من الحكومة الأمريكية، ومكث بها حتى عام ١٩٤٩ . وهناك ظل يمارس الإبداع الأدبى فى مجال الكتابة المسرحية والروائية، وأكمل روايته الطويلة ( الأجيال الأربعة ) التى تعتبر بمثابة ملحمة تاريخية عن أهل مدينة بكين القديمة وصف فيها مأساة وتعاسة المجتمع القديم، وهى تبرز بجلاء التعصب الإقليمى عند الكاتب ؛ فقد ظل عاشقًا لمسقط رأسه، وفيًا لأهله وأقاربه طوال حياته .

## لاوشه الروائى

ارتبطت شهرة لاوشه فى عالم الإبداع الفنى والأدبى بتأليف الرواية وكتابة النثر والشعر والقصص الشعبية العاطفية. وفى لندن كانت

تجربته الأولى فى الكتابة، وقدم لنا أولى رواياته (فلسفة العم تشانغ )، ثم تدفق نتاجه الأدبى الذى كان بمثابة مرآة صادقة وصورة حية للكوارث والنوائب التى أصابت مجتمعه تحت وطأة الإقطاع والرجعية والاستبدادية. ولا غرابة أن يفرغ قلم لاوشه للكتابة والتأليف الروائى فى بداية حياته الأدبية ؛ فقد تأثر بأفكار مشاهير الروائيين الغربيين وبمؤلفاتهم الأدبية الخالدة ، ويبدو هذا التأثر جليًا فى كلماته التى جاء فيها : " لقد أصبحت الروايات مرشد المجتمع ومعلم البشرية. إنها لا تقدم التسلية فقط، بل نستخدمها بطريقة جذابة وشيقة لعمل الدعاية لمنطق معين ."، ومن قديم الزمان حتى الآن، فإن الأعمال الأدبية الخالدة – بغض النظر عن مذاهبها الأدبية – تتسم بصفة عامة بميزة مشتركة بينها هى أنها مفيدة ونبيلة وحقيقية " [٢] .

وتعتبر الفترة الممتدة من عام ١٩٣٠ إلى عام ١٩٣٧ هى أخصب سني حياته التأليفية والإبداعية فى مجال الرواية ؛ ففى عام ١٩٣٧ نشر لاوشه روايته ( سائق الجنركشة ) أو (الجمل شيانغ تسى ) التى فجرت له قنبلة الشهرة داخل الأوساط الأدبية فى الصين وخارجها، ويكفى أن نعرف أن هذ الرواية ترجمت إلى أكثر من عشرين لغة أجنبية، وبها استطاع مؤلفها أن ينقش اسمه بحروف من نور فى السجلات الأدبية الخالدة، ونستشف من قراءة هذه الرواية حياة البؤس والشقاء للطبقات الدنيا فى مجتمع المدينة، وندرك فشل الكفاح الفردى ضد قوى الاستعمار والرجعية المتحالفة، وكيف مزقت القوى الفاسدة الشريرة روح عامل طيب وأفسدت أخلاقه. وهنا يثور الكاتب على اللامعقول الذى ساد آنذاك وصرخ بصوت مدو: لابد أن نغير هذا العالم.. ماكان له صدى بالغ الأثر فكريًا وفنيًا، وانضمت روايته هذه إلى الأعمال الأدبية العالمية

الخالـدة. ومن أشهـر رواياته فـى هذه المـرحلـة: ( بحيرة دامينغ ) و(الطلاق ). ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا أن هذه المرحلة تمثل مرحلة الثورة الديمقراطية فى المشوار الأدبى والنضج الفنى والفكرى عند لاوشه .

## لاوشه المسرحى

أثناء المقاومة الصينية للغزو اليابانى ( ٣٧ - ١٩٤٥ ) أدى لاوشه دوراً بارزاً فى تعبئة وتنظيم الكُتّاب الصينيين الذين سلطوا أقلامهم على رقاب الغزاة المعتدين، وكانت فترة المقاومة الصينية ضد اليابان تمثل نقطة تحول بارزة فى حياة لاوشه الأدبية، فإذا كان لاوشه كاتبًا روائيًا، إلا أنه فى هذه المرحلة كان كاتبًا مسرحيًا من الطراز الأول ؛ إذ هجر كتابة الرواية، ووجد فى كتابة المسرحية ضالته الرشيدة التى يبحث عنها، كما وجد قلمه مذاقًا خاصًا فى الكتابة للمسرح، وشعر لاوشه أن المسرحية والحوار الكوميدى هما أكثر تأثيراً فى أفئدة الجماهير ومشاعرهم على خشبة المسرح، كما كان يرى أن قراءة الرواية تحتاج إلى مستوى ثقافى يفتقر إليه آنذاك السواد الأعظم من الطبقة العاملة الكادحة، ولذلك كانت مشاهدة المسرحية هى المتعة الثقافية والرضاع الفكرى القادر على تنوير وإضاءة مناحى الفكر المهجورة لهؤلاء الكادحين المسحوقين .

وكانت هذه الأسباب هى التى قادت خطاه إلى الكتابة المسرحية، وجعلته يقذف بنفسه بين أحضان الأدب فيظل يكتب وينظم حتى ينتج كل تلك الثروة الأدبية النادرة المثال، ولذا آثر لاوشه كتابة المسرحية عن الرواية، وطوع الأدب لخدمة المجتمع والبيئة، وأخذت تتوالى مؤلفاته

المسرحية التى أبعدت شهرته، ووطدت مكانته، وجعلته المعبر عن الأمة الصينية قاطبة .

ويمكننا تقسيم فترة الكتابة المسرحية عند لاوشه إلى مرحلتين : الأولى : كانت فيها الدعوة إلى مقاومة اليابانيين وإلهاب حماس الجماهير لحماية البلاد من براثن المعتدين هى المادة الأدبية التى استقى منها لاوشه مسرحياته الأولى، وكتب فى هذه المرحلة تسع مسرحيات تدور جميعها حول الحرب الصينية - اليابانية، ومن أشهرها: ( بقايا الضباب ) ١٩٣٩، ( الصين فى المقام الأول) ١٩٤٠ . أما المرحلة الثانية، فقد استمرت من عام ١٩٥٠ إلى عام ١٩٦٦، فقد كانت فى عهد الصين الجديدة ؛ حيث أمدته الحياة الجديدة بمادة أدبية خصبة، فضلاً عن النضج الفكرى والفنى لدى الكاتب ، وكتب خلالها ما يناهز ثلاث وعشرين مسرحية، من بينها خمس عشرة مسرحية متعددة الفصول، بالإضافة إلى مسرحيات الفصل الواحد، والأوبريتات المتعددة الفصول، والأوبريتات المنبثقة من الغناء الشعبى وتطوير أوبرا بكين. ومن أهم مسرحياته فى هذه المرحلة: مسرحية ( اللؤلؤة ) ١٩٥٠، و ( خندق لونغ شى ) التى تحمل فى طياتها الإشادة بالحياة الجديدة بعد التحرير، وتعتبر رمزاً للإبداع الفنى والأدبى لمؤلفها، وقدمت إسهامات جليلة لقضية الأدب والفن فى الصين الجديدة، ولذا قررت الحكومة الشعبية لمدينة بكين منحه لقب ( فنان الشعب ) فى ديسمبر عام ١٩٥١، ومسرحية ( أزهار الربيع وحصاد الخريف ) ١٩٥٣، و(المقهى) ١٩٥٧، و(الغناء الأحمر) ١٩٥٨، و(البائعة) ١٩٥٩، و(العائلة السعيدة) ١٩٥٩ .

وتجدر الإشارة إلى أن منتجات لاوشه المسرحية جاءت سجلاً لكثير من الوقائع الهائلة فى حياة وتاريخ الشعب الصينى. وفى الوقت نفسه

تعنى بتربية الأجيال الآتية وإرشاد سفنها فى خضم الحياة ؛ فكانت بمثابة منارة مضيئة تلتف حولها الأمة الصينية ومن خلالها تلتمس الطريق إلى الصراط المستقيم، كما كانت صورة حية تنبض بواقعية الحياة الجديدة، والمجتمع الجديد، والعصر الجديد الذى عاش بين أركانه المؤلف بعد نجاح الثورة الاشتراكية فى الصين، كما استطاع لاوشه أن يمسرح أحوال العصر القديم بمهارة فائقة، وأن يضع بين يدى القارئ مساوئه وسلبياته .

وعن القصد من وراء تأليف مسرحية المقهى يقول لاوشه: " إن الشباب يشرب الماء العذب وينمو وينضج ، ولا يفهم مجتمع الذئاب البشرية..... المجتمع القديم. لقد نقلت هذا المجتمع إلى خشبة المسرح، لتربية وتنشئة الشباب. ومن الطبيعى أن توقظ الأحداث فى العصر البائد، والشخصيات الهزلية فوق خشبة المسرح أحاسيس المرء ومشاعره ، فيظهر المقت الشديد لظلام العهد البائد، والحب والوطنية التى لا تضاهى لإشراق شمس التحرير والحرية "، ويقول الناقد لى جين وو: " مسرحية تتألف من ثلاثة فصول قصيرة، وصفت الأعداء على كافة أنواعهم، كما وصفت أيضاً الشرفاء والخلصاء، ولذا فإنها تشتمل على التراجيديا، وأيضًا على الكوميديا، يوجد الظلام، ويوجد أيضًا النور، وفى الوقت الذى يحدونا فيه اليأس والقنوط، يكون أيضًا وقت تحقيق الأمل" [٤].

وقد تبوأ لاوشه عدداً من المناصب الأدبية منها: نائب رئيس اتحاد الصين للأدب والفن، ونائب رئيس اتحاد الكتاب الصينيين، ورئيس اتحاد كُتّاب بكين، وقبل هذا وذاك، فهو ( فنان الشعب ) و( أستاذ اللغة العظيم ) .

بيد أن المجد المؤثل لم يدم طويلاً، ولم يلبث أن زوت زهوره، وجفت أوراقه، ونشبت المنية أظافرها، وامتدت إليه براثن ( عصابة الأربعة ) Gang of Four في ٢٤ أغسطس ١٩٦٦، فانطفأ منذ هذا التاريخ ذلك المصباح الذى كان ينير عالم الكتابة والتأليف تاركًا وراءه منتجاته الأدبية العظيمة التى كتبها من أجل النهوض بالأدب والفن فى الصين الجديدة، وقد كان له فى ذلك الفضل الجليل، والعمل الأصيل، والتراث الحافل. وارتجفت الأقلام الأدبية لهذا العمل الآثم تندب الهلال الآفل فى الساحة الأدبية بعد انقضاء ما يناهز سبعة وستين عامًا من عمره الخصيب لأمته وللإنسانية جمعاء .

## المسرح والتاريخ

وما دمنا بصدد الحديث عن مسرحية المقهى، وهى مسرحية تاريخية من طراز رفيع فإننا نحبذ أن نشير هنا فى عجالة إلى العلاقة بين المسرح والتاريخ قبل أن نلقى الضوء على المنجزات الفنية والأدبية والتاريخية فى مسرحيتنا المقهى؛ ففى أدبنا العربى كانت الصلة وثيقة بين التاريخ والأدب بصفة عامة، وبين التاريخ والمسرح بصفة خاصة، حتى " اعتبر التاريخ فى وقت من الأوقات شعبة من شعب الأدب " (٥) وكان الباحثون والدارسون يستقون معلوماتهم من البيئة العربية الأدبية من خلال العودة إلى التاريخ، وساد الاتجاه العام من البحث عن الشواهد التاريخية فى الإنتاج الأدبى، وأصبحت الصدارة للتاريخ قبل أن تكون للأدب .

إن العلاقة بين التاريخ وفن المسرح من أقدم العلاقات، وربما بدأ المسرح تاريخيًا، وأنه قد خرج من كتاب التاريخ، ومنذ أقدم كاتب مسرحى والتاريخ هو مادته الخام، وعندما تقرأ مصادر شكسبير مثلاً نرى أهم مسرحياته قد اعتمدت على وقائع تاريخية معروفة وبعض هذه المسرحيات مستمدة من كتاب "بلوتارخ" عن أبرز رجال التاريخ الرومانى وأحداثه، وليس له فى هذه المسرحيات سوى الصياغة الفنية وبعض التعديلات والتغييرات التى يقضيها من المسرحية، وقد أتخذ مسرح شكسبير شكله الرائد عند كتاب المسرح العربى عموماً، وعند باكثير على وجه الخصوص [٦] .

وقد اتجه الكُتّاب فى الشرق إلى تمسرح الأحداث التاريخية، والشخصيات التاريخية، ويمثل هذا الاتجاه المسرحيات التاريخية لعزيز أباظة وأحمد شوقى، وقد فعل نفس الصنيع الكُتّاب الروائيون، ومنهم على سبيل المثال جورجى زيدان ورواياته التاريخية، " لقد كان زيدان مؤرخًا أكثر منه أديبًا، أو قل إنه أديب لأنه مؤرخ "[٧] وروايات محمد فريد أبو حديد كلها أو معظمها تاريخية، كما أن الروائى الكبير نجيب محفوظ حاول أن يسجل تاريخ مصر من خلال بعض رواياته.

وفى أفريقيا هيمن التاريخ على المسرح الأفريقى بصورة تثير الانتباه، واحتل التاريخ مكان الصدارة فى المسرح خلال فترتى ما قبل الاستعمار، والاستعمار لهدف أخلاقى يتحدث بعض المؤلفين عن أمجاد التاريخ الأفريقى ، وإعادة بناء التاريخ الأفريقى المشوه، ورد الاعتبار إلى الأبطال الأفارقة ، ورفض التشويه الذى مارسه الاستعمار للنيل من شجاعتهم ، والحط من مكانتهم ، وأشهر من استعمل التاريخ مادة مسرحية، الكاتب سيد وباديان كوياتى **Scydou Badian Kouyate**

فـي مسـرحيـة (شـكاكـا) Shaka ، والكاتب شيخ نداو Sheik Ndao في مسـرحيـة (منفى آلبورى) وغيرهما كثيرون. وفى اليـابان مضى تشيكاماتسو حتى نهاية مسيرته في كتابة مسرحياته التاريخية عن الأشخاص المشهورين في تاريخ اليابان "[٨] .

## المقهى مسرحية تاريخية

وفى الصين تربع لاوشـه على عرش المسرح التاريخى، ولا يطاوله في ذلك سوى الكاتب الصينى كو مو رو وقدم لنا عشرات المسرحيات التاريخية الرائعة التي جسدت الكثير من الوقائع والأحداث التاريخية قبل وبعد تحرير الصين ؛ فالمقهى مسرحية تاريخية من طراز رفيع، وتعتبر بيضة الديك بين مسرحياته المتعددة، ويوضع اسمها دائمًا فى مصاف أعظم عمل مسرحى ظهر على خشبة المسرح الصينى خلال السنوات القليلة الماضية، وترجع شهرة وتألق مسرحية المقهى إلى واقعية الأحداث التي تعرضها المسرحية، وفى إدراك الكاتب السليم وخبرته العميقة وتجاربه الكثيرة بوقائع تاريخ المجتمع القديم، فى مدينة بكين مسقط رأسه ؛ فهى مسرحية مقتبسة من الحياة الواقعية وضعت على خشبة المسرح بتركيز ودقة يدعوان إلى الإعجاب .

ويزيد من أهمية المقهى التاريخية أنها تجمع بين (المتعة التاريخية) و(المتعة الفنية الأدبية)؛ فيهتم مؤلفها بالسياحة التاريخية يأخذ منها العظات والدروس، وينفذ إلى مراميها محللاً ومفسراً ومعللاً، ويخرج بالتجارب التي يستخدمها فى العمل الأدبى، كما أن موقف مؤلفها من

المادة التاريخية ليس موقفًا صلبًا متجمدًا، بل له رؤيته الإنسانية، وفكرته الإبداعية، وله أيضًا تصوراته التى تتجاوز حدود الأحداث.

وإذا كانت مسرحية " المقهى " جسدت على خشبة المسرح الحوادث التاريخية الكبرى على مدى خمسين عامًا منذ فشل الحركة الإصلاحية البرجوازية فى أواخر عهد أسرة تشينغ الحاكمة إلى صراع الديناصورات بين حكام الولايات العسكريين إبان تأسيس الجمهورية فى الصين، إلى عشية تأسيس جمهورية الصين الشعبية، أى أنها تعكس تطور ثلاث مراحل تاريخية مهمة منذ اندلاع الثورة الديمقراطية القديمة إلى الثورة الديمقراطية الجديدة، وانتقال الشعب الصينى من مرحلة العبودية والإقطاع إلى مرحلة النهضة واليقظة؛ فهى أيضًا صورة حية وصادقة لكافة المظاهر الحياتية فى المجتمع القديم، وتجسيد واقعى لكل ظلاله المعتمة وسلبياته الغائرة، وفى ثنايا المسرحية ندرك كيف استطاع لاوشه أن يوظف ( المادة التاريخية ) من أجل معالجة المشاكل الإنسانية والاجتماعية وتجسيد رؤيته الإنسانية وأفكاره النبيلة تجاه مجتمعه ووطنه وشعبه، فنجد لاوشه الكاتب " التاريخى "، والكاتب " الإنسانى " فى آن واحد.

ففى الفصل الأول: نجد التهرؤ الاجتماعى والتفسخ والانفصام الذى وصم الحياة الاجتماعية قاطبة وانتشار تجارة الرقيق والعبودية بين طبقات المجتمع المتباينة. وعلى سبيل المثال المخصى بانغ الذى عاش متطفلاً على دم ولحم الشعب يريد أن يشترى فتاة ريفية لتكون زوجة له، "وزجاجات الخل فى منزله مصنوعة من العقيق اليمانى "، بينما " فى الريف تستطيع أن تشترى طفلاً مقابل اثنين ونصف كيلو جرام من دقيق القمح "، و" فتاة تبلغ من العمر خمسة عشر عامًا تستحق فقط عشر

تايلات ( وقيات ) من الفضة". ونجد أيضًا الفقراء والمعذبين لا يجدون وجبة عصيدة فى اليوم الواحد، والبائع المتجول الطاعن فى السن يتنهد، ويقول فى سخرية تامة: " فى هذه الأيام الإنسان لا يساوى حمامة !" وفى الفصل الثانى ، تتجسد الحقيقة المرة بأبعادها التاريخية والاجتماعية ، ونستقى هذا المعنى من كلمات السيد سونغ أر " ربما تكون إمبراطورية تشينغ الكبرى سيئة، ولكن الجوع ينهشنى منذ تأسيس الجمهورية." كما نجد شخصين يريدان أن يتزوجا امرأة واحدة يصم المجتمع بالغزى والعار. وأخيراً وفى الفصل الثالث، صورة حية لمجتمع الظلم والاضطهاد وسيطرة الروح الأجنبية الدخيلة على أفراد المجتمع، مثل شياو ليو ماذى الذى كان أكثر أناقة عن الأجانب أنفسهم، وأصبح مديراً لشركة " الزهور " التى تضم البغايا والراقصات والعاهرات المرخصات وغير المرخصات وتقوم على خدمة القوات الأجنبية التى كانت تغص بهم مدينة بكين فى ذلك الحين.

وعلى هذا النحو، استطاع لاوشه – من خلال الأحداث التاريخية – أن يبلور أفكاره الإنسانية، وأهدافه النبيلة فى معالجة المشاكل الإنسانية والسياسية والنفسية التى أبرزت بصمات المؤلف وذاتيته وتصوراته ومواقفه الإنسانية. "والحق أننا، لا نطلب إلى المؤلف أن يغير أحداث التاريخ، ولكننا نسأله أن ينتقى منها ما يلائم غايته ويؤكد المعانى التى يريد أن يلقى بها فى نفس المشاهد "[٩] .

وتشهد مسرحية المقهى أن مؤلفها يملك أدوات المسرح التاريخى من ثقافة تاريخية، وأمانة فى سرد الحوادث الكبرى من حيث الزمان والمكان، وتوظيف الأحداث التاريخية لخدمة لغة المسرح، والتصرف فى

حدود كليات التاريخ، والاهتمام بالسياحة التاريخية، والإسهام فى إثراء الحادثة ولفت الأنظار إليها من جوانب متعددة .

ويسيطر على المسرحية جو من الواقعية التاريخية، واستخدام الكاتب التفسير المادى للتاريخ أو المادية التاريخية للتغلغل داخل جدران المجتمع القديم، وقدم لنا صورة تنبض بالحيوية والواقعية لإتجاهات تطور حياة المجتمع الصينى .

## حول تأليف وعرض المقهى

فيما يبدو أن فكرة مسرحية المقهى قد اختمرت خميرتها فى ذهن مؤلفها منذ فترة طويلة تعود إلى تاريخ مولد الدستور الشعبى فى الصين، وقبل أن تخرج مسرحية "المقهى" إلى حيز الوجود، كتب لاوشه مسرحية بعنوان " ممثل الشعب "، ثم طرحها جانبًا، وبعد ذلك شعر أن المقهى يستطيع أن يكشف النقاب عن مثالب ومخالب المجتمع القديم. وفى الوقت نفسه تجسد التحولات والتبدلات فى المجتمع الجديد، وبعد مرور أكثر من عام من الكتابة والتهذيب والتنقيح، انتهى لاوشه من تأليف مسرحية تتألف من ثلاثة فصول هى مسرحية "المقهى" التى جاءت تعضيداً للشعار الثقافى والاجتماعى " دع مائة زهرة تتفتح، دع مائة مدرسة تتفتح ".

فقد اختار الكاتب كيان المقهى ليستشرف من خلاله حياة جيله فى لوحات تاريخية وفنية تصور أحداث الجيل من خلاله، ولكن لماذا اختار مؤلفنا " المقهى" مسرحًا لأحداث مسرحيته ؟ فكانت إجابته: " المقهى مكان يلتقى فيه كافة أنواع الناس ، ويمكن أن يستوعب الكثير من

الشخصيات على اختلاف ألوانهم ومشاربهم . المقهى الكبير بمثابة مجتمع مصغر " ، " إننى أعرف قط بعض الشخصيات الصغيرة ، وتلك الشخصيات تدلف دائمًا إلى المقهى . إنى أريد أن أجمعهم معًا فى المقهى لنعكس تحولات المجتمع من خلال التغييرات التى تطرأ على حياتهم، ومن خلال ذلك، نكشف النقاب عن بعض المعلومات السياسية ." (١٠) .

وتجدر الإشارة إلى أن اختيار الكاتب للمقهى كان من منطلق أنه مكان يدلف إليه كافة أنواع الناس على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم ومراكزهم الاجتماعية والثقافية، كما أنه يتسع لالتقاء كل ألوان الشخصيات؛ فالمقهى صورة مصغرة للمجتمع بأسره، وتحت قلم لاوشه تجتمع كل الشخصيات من كل لون وشكل فى المقهى، ومن خلال التغيير الذى يطرأ على حياة رواد المقهى يدرك المرء التغيير فى المجتمع . وقد استلهم الكاتب هذه الفكرة حيث كان يوجد بالقرب من منزله مقهى يوتاى الكبير العتيق الذى تدور فيه أحداث المسرحية، ورصدت عدسته المرهفة ما يدور بين رواد المقهى ، وجسد قلمه حياتهم؛ فهو يعرف ما يختمر فى أذهانهم، وما يعتمل فى داخلهم، وما يدور فى خلدهم، " عندى خبرة بأحوال الحياة فى المجتمع القديم، وأعرف بعض الشخصيات الصغيرة التى تدلف إلى المقهى. أعرف ماذا يفعلون، ولذا أعرف ماذا يقولون." (١١) ، وأصبح لاوشه فنان الشعب المعبر عن عواطفهم وخوالجهم، وآمالهم وتطلعاتهم، ولون مزاجهم، وسماتهم النفسية. ومن ثم جاءت المسرحية استلهامًا بالحياة وإلهامًا لها، وصدق قولهم أن الأديب وليد البيئة، والأدب مرآة المجتمع .

عرضت مسرحية " المقهى" على خشبة المسرح مرتين عام ١٩٥٨، ١٩٦٣، ولكن بسبب الحملة الشعواء النكراء المناهضة للأدب والفن من جانب اليساريين، فقد مُنعت من العرض ولم تنل حقها من التقدير والتقييم من جانب النقاد والجمهور، وأثناء الثورة الثقافية الكبرى (٦٦ - ١٩٧٦) حيث هيمنت الأفكار المسمومة على الحياة الثقافية والاجتماعية فى الصين ، وجهت إليها سيل هادر من الانتقادات والتعنيف الرسمى، ونظر إليها على أنها من الكتابات المنحرفة والمؤلفات المسمومة المُعادية لليساريين. وعلى الرغم من ذلك، فقد قدمت إسهامات وإنجازات عظيمة الأثر للدراما الصينية الحديثة من خلال عرضها مرتين على المسرح الصينى.

وفى فبراير ١٩٧٩ قامت فرقة بكين للفنون الشعبية بعرضها للمرة الثالثة إحياءً للذكرى الثامنة عشرة لفنان الشعب لاوشه، وأحدثت آنذاك ضجة واسعة النطاق داخل الأوساط المسرحية، وانبرى الكثيرون من حملة الأقلام الأدبية للإشادة بها ودراستها وتحليلها، ثم أصبحت فيما بعد ذخيرة المسرحيات التى تشتمل على الأدوار والألحان والموسيقى التى تدربت عليها فرقة بكين المسرحية، وأصبحت على استعداد تام لتقديمها على خشبة المسرح العالمى .

وكانت مسرحية المقهى الإرهاصة الأساسية للمسرح الصينى فى الدول الأجنبية ؛ إذ تعتبر أول مسرحية صينية قامت فرقة بكين المسرحية بعرضها على بعض مسارح دول أوروبا الغربية واليابان وسويسرا؛ حيث حققت نجاحًا منقطع النظير، وجذبت انتباه واهتمام المسرحيين الأجانب، وكانت بداية عظيمة للفن المسرحى الصينى على خشبة المسرح العالمى. ويقول أحد النقاد المسرحيين الأجانب فى تقييمه

للمقهى: "إننا في الخارج لم نعرف أن الصين بها هذا الشكل من المسرحيات، وكنا نعتقد أن الصناعة المسرحية في الصين تقتصر على أوبرا بكين أو الأكروبات، بالإضافة إلى بعض الأغاني والرقص. والآن استطعنا أن نعرف أن الصين لا يوجد بها مسرحيات فحسب، بل يوجد بها مسرحية كهذه ذات مستوى عال ".[١٢] ويقول آخر: إنها معجزة المسرح في الشرق الأقصى، وصفوة المسرحيات الحديثة في الصين."[١٣] وفي عام ١٩٨٣ قامت فرقة نيويورك المسرحية بعرضها على خشبة المسرح الأمريكي بعد أن ترجمت إلى اللغة الإنجليزية.

## أهم شخصيات المقهى

ينتقي لاوشه نماذج شخصياته حسب حالته النفسية والمزاجية، ويختارها من واقع تجارب الحياة التي يمر بها؛ فهو يقدم لنا شخصيات نموذجية لكل منها صفاتها وملامحها الخاصة، ولكنها لا تملك صفة الكمال، بل تحمل مواطن النقص لأنها شخصيات من واقع الحياة، وليس من نسيج خيال الكاتب .

واللافت للنظر أن شخصيات المقهى هي محور الحبكة المسرحية والمحرك الأول للأحداث ثم تأتي بعد ذلك الوقائع التاريخية والمواقف الاجتماعية في المرتبة الثانية. لقد اعتمد الكاتب بصورة مباشرة على الشخصيات التي تقوم بسرد تفاصيل الظروف السائدة والأحوال المعيشية في المجتمع، ويذهب لاوشه في ذلك مذهب الكاتب الألماني لنج وبن جونسون في أن الشخصية هي أساس الكتابة المسرحية.

ومن ثم تعج المسرحية بالشخصيات المتباينة أشد التباين، وهى فى جوهرها تمثل كافة الطبقات والشرائح فى الصين القديمة، ويحشد لاوشه فى المقهى كافة أنواع النماذج البشرية، ويكسبها جميعًا حالة التمسرح ؛ فنجد أكثر من سبعين شخصية يظهر منها على خشبة المسرح أكثر من خمسين شخصية متميزة فى ملامحها وسماتها النفسية والاجتماعية، وقد نجح الكاتب فى نحت نماذج شخصياته وتقديمها فى إطار فنى محكم ينبض بالواقع والحياة الحقيقية حتى يشعر القارئ أنه أمام مثّال ، ولكن مادته اللغة والألفاظ والعبارات؛ فنجد داخل المقهى: المدرسين، والطلاب، والبوليس، والجواسيس، والنصاب، والبلطجى، والوسطاء، والضباط، والجنود، والعراف، والطباخ، والقصاص، والزعماء العسكريين، والفنانين الشعبيين، والفلاحين المفلسين، والمصلحين الرأسماليين، والمحبين لبلادهم، ومضيفات الإغراء، وأبناء القوميات، ونزلاء المقهى، والمخصى فى أسرة تشينغ الحاكمة .

## والشخصيات التى نلتقى بها فى المقهى تنقسم إلى ثلاثة أنواع :

١- **الشخصيات المحورية :** وهى شخصيات إيجابية تنضج وتتطور وتهرم وتعيش مع القارئ من أول المسرحية إلى آخرها، وتساعد على تماسك الحبكة المسرحية والربط بين الأحداث التاريخية الكبرى وظهورها على المسرح يكون له مغزى تاريخى وفنى، وتشمل شخصيات: وانغ لى فا، وتشين جون إى، والسيد تشانغ سى، وأيضاً كانغ شوى ذى.

٢- **شخصيات ثانوية :** وهى لا تتكرر فى كل فصل ، وتتسم بـ " ازدواجية التمثيل "؛ حيث تنتقل الأدوار الثانوية من الأب إلى الابن،

ويقدمها إلى المشاهدين نفس الممثلين، وتشمل شخصيات تانغ تيه ذوى، وليو ماذى، وسونغ إين ذى، و ووشيانغ ذى وأبنائهم الذين يرثون مهنة آبائهم فى الحياة.

**٣ - شخصيات أقل من الثانوية ولا تحظى بأهمية كبيرة مثل شخصية :** السيد ما وو، ومينغ شى فو، والمدير شين وغيرهم .

ولكن يستدعيهم المؤلف فى أية لحظة حسب الموقف وتطور الأحداث وحبكة المسرحية ويختفون من على المسرح حسب مقتضيات الحال؛ فهى شخصيات يسمح المؤلف بظهورها ولو مرة واحدة ثم تختفى وكلمات أدوار بعضها قليلة جداً تتألف من ثلاث أو خمس كلمات، كما أن بعضهم يظهر لمدة دقيقتين، ويهدف الكاتب من ذلك أن يدرك المشاهد الربط والتسلسل التاريخى بين أحداث المسرحية، وأنه يسمح لتلك الشخصيات أن تظهر مرة واحدة على المسرح لكى تعبر عن نفسها فى كلمات مقتضبة، ولكنها مؤثرة للغاية، وتترك أثراً عميقاً فى نفوسنا . وفى الواقع هى تجسد موقف تاريخى أو حدث اجتماعى، وصنيع لاوشه هنا يماثل تشيكوف الذى كان "يترك لشخصياته لكى تكشف عن نفسها بنفسها، ولكى تصور لك الزمن الذى كانت تعيش فيه" [١٤].

ولا يتسع المقام بداهة أن نلقى الضوء - ولو فى كلمات مقتضبة - على هذا الكم الهائل من شخصيات المقهى، ولكن حسبنا هنا أن نعرض - بشىء من التحليل والتفضيل - لأهم الشخصيات المحورية، ويتسنمها - بلا شك - شخصية وانغ لى فا بطل المسرحية ومعلّم مقهى يوتاى العتيق، والمؤلف فى بسطه لشخصية وانغ لى فا وقصة حياته، فإنه فى الحقيقة يقدم لنا صورة حية للمجتمع فى مدينة بكين القديمة؛

فشخصية وانغ تعتبر نموذجًا مصغرًا للمجتمع القديم، وتعكس تطوراته خلال نصف قرن من الزمان؛ فالمعلّم وانغ يمثل طبقة صغار الرأسماليين في المجتمع القديم، ويخشى أن يتعامل بجدية مع الأحداث التى يمر بها مجتمعه، ويستسلم بخنوع للظلم والاضطهاد وسوء المعاملة ومن جهة أخرى، فهو صاحب خبرة طويلة في الحياة، ويعرف كيف يجارى الظروف والأحداث فى مجتمعه، وهو إنسان طيب القلب وفطن وأريب، ولكنه يتصف بالأنانية وحب الذات وهياب. يحاول أن يحقق السعادة لأسرته، ولكن طحنته الأزمات والكوارث، وأصبح من ضحايا المجتمع القديم، ولذا كانت شخصيته انعكاسًا حقيقيًا للحياة المأساوية التى مر بها الشعب الكادح فى المجتمع شبه الإقطاعى .

فى الفصل الأول، يزيد عمر المعلّم وانغ عن العشرين عامًا، وأصبح صاحب مقهى يوتاى نظرًا لوفاة والده المبكر. ينتهج أسلوب المداهنة والمهادنة مع بانغ المخصى صاحب السلطة والنفوذ، ويحدب على العراف تانغ، ولكن فى الوقت نفسه تنقصه الرحمة والشفقة نحو الفلاحين الفقراء الذين يبيعون أولادهم طلبًا لأسباب الرزق واستمرارًا لعجلة الحياة. وفى الفصل الثانى: يكون المعلّم وانغ فى منتصف العمر، ومازال فى مقهى يوتاى، ولكن ثمة تغييرًا طرأ على شكل المقهى وأدواته وتحول الجزء الخلفى منه إلى نُزُل. لقد حاول المعلم وانغ من خلال الإصلاح أن يبقى على الملامح التقليدية للمقهى، وحاول أيضـًا أن ينتهج أسلوب الإصلاح ليجد مخرجًا لمأزقه الاجتماعى الذى يعيش فيه، ولكن انهارت آماله فى الحياة بسبب الصرا ع الدائر بين العسكريين، وتعرض لحملة الاعتقال من جانب جنود الاحتلال، وأسدى النصح إلى زبائن المقهى أن

مناقشة شئون البلاد السياسية من الأفكار الاجتماعية الغثة تفادياً لحملة الإزالة والإغلاق لمقهاه .

وفي الفصل الثالث يكون المعلّم وانــغ في خريف العمر. لقد ظل يكافح ويجاهد منذ أواخر عهد أسرة تشينغ حتى امتد به العمر إلى عصر الاستعمار الأمريكي وجواسيس حزب الكومينتانغ، ولم يبق في مدينة بكين وقتئذ سوى مقهى يوتاى الكبير، ومع ذلك أخذ الانحلال والاضمحلال يتسرب إليه ، والورقة المكتوب عليها " لا تناقش شئون البلاد " زاد عددها وكُتبت بحروف أكبر، ويفكر المعلم وانغ أن يؤجر مضيفة إغراء لجذب الزبائن إلى المقهى المتداعي، ولكن القوة الرجعية ابتلعت المقهى. وفي نهاية المطاف اضطر المعلم وانغ أن يشنق نفسه بعد أن صاح في ألم مكبوت: " لم أنس الإصلاح أبداً، ولا أريد أن أبقى في الصفوف الخلفية. وأقمت نُزلاً بعد أن تعذر بيع الشاى، ولكن أغلقت أبوابه، ففكرت في إحضار قصاص ! ولكن القصاص لم يجذب المتفرجين ، حسناً، لم أفقد ماء وجهي ، لذا فكرت أن أؤجر مضيفة إغراء ! يضطر الإنسان أن يعيش في هذه الحياة، أليس كذلك؟ حاولت أن أعمل أي شيء وكل شيء من أجل أن تستمر عجلة الحياة ! "

وشخصية السيد تشانغ سي من الشخصيات الإيجابية التي يلتقي بها القارئ من أول المسرحية حتى آخرها، ومن السمات المميزة لشخصيته أنه إنسان مخلص وصريح، قوى الشكيمة، منصف وعادل، قلبه مفعم بالحب لبلاده. في الفصل الأول يقول في جسارة: "إمبراطورية تشينغ على وشك الانهيار!" ولذا زج به داخل جدران السجن، وبعد إطلاق سراحه اشترك في انتفاضة يى خه توان لمناهضة الاستعمار.

وفيما بعد ظل كادحًا طوال حياته يعتمد على عضلاته لكسب قوت حياته، وكان يبيع الخضروات الطازجة فى الشوارع. وفى أخريات حياته حمل سلة صغيرة ليبيع الفول السودانى، " إنه لم يشعر بالراحة طوال حياته، ولم يدخر وسعًا فى سبيل مناهضة الظلم "، " اعتمد على عضلاته لكسب قوت حياته، وكان ضميره معيار سلوكه طوال حياته"، "وكان يتوق أن تتخلص بلاده من اضطهاد الأجانب." وكانت النتيجة ومصيره المشئوم أن تجاوز السبعين عامًا وهو خالى الوفاض صفر اليدين لم يحقق شيئًا ألبتة، ويلغ به التبرم والضيق داخل صدره، ويصيح صيحة ألم ومرارة : " أنا أحب بلادنا، ولكن من يحبنى ؟ "

وأما شخصية تشين جون اى فهى شريحة أخرى من شرائح المجتمع القديم، وتمثل طبقة الإصلاحيين الرأسماليين. فى الفصل الأول، عمره أكثر من عشرين سنة، من صغار الأثرياء، صاحب عقار مقهى يوتاى، مملوء بالحيوية والنشاط، يحاول أن ينقذ بلاده من خلال التصنيع. وفى الفصل الثانى لم يظهر على خشبة المسرح، ولكن نشعر بوجوده عندما يحث تسوى جيو فينغ، عضو البرلمان السابق والذى عزف عن المشاركة فى الحياة وآثر العزلة وترتيل الكتاب المقدس، على العودة إلى الحياة والمشاركة فى أحداث المجتمع بدلاً من الإحجام والعزلة. وعلى الرغم من أنه شيد مصنعًا وفتح بنوكًا، ولكن لم يحرز شيئًا إطلاقًا، وانهارت آماله فى إنقاذ البلاد بسبب هيمنة التقاليد الرجعية وسيطرتها على المجتمع شبه الإقطاعى، ولم يستطع أن يتفادى خطر الإفلاس. وفى الفصل الثالث يظهر على المسرح مرة أخرى، يظهر طاعنًا فى السن وتعوزه الحماسة والحيوية بعد أن ضم اليابانيون مصنعه إليهم تحت شعار " التعاون "، ثم صادره حزب الكومينتانغ بحجة أنه "ملكًا لخائن".

وبعد أن مُنى بالفشل الذريع فى إدارة الأعمال وجد الأعذار ليواسى نفسه، وليسخر من نفسه فى وقت واحد، ويخاطب المعلّم وانغ قائلاً : "...... يجب أن تنصحهم ( زبائن المقهى ) إذا كان معهم نقوداً أن ينفقوها فى شرب الخمر وملاحقة الفتيات ولعب القمار، وممارسة الأعمال الدنيئة؛ لأن العمل الجاد مضيعة للوقت، وألا يؤدوا أعمالاً نافعة مهما كانت الظروف ! " ومصير تشين هو المصير المشترك للرأسمالية فى المجتمع الصينى القديم.

ومصائر هذه الشخصيات الثلاث أماطت اللثام عن التحول التدريجى والتاريخى للمجتمع الصينى القديم من مجتمع الإقطاعية إلى مجتمع شبه إقطاعي وشبه مستعمر. أمثال وانغ لي فا، والسيد تشانغ سي، وتشين جون إي يملكون المال، والمكانة الاجتماعية، والوجاهة الاجتماعية، ولكن مع ذلك لم تتوافر لديهم مقومات الحياة فى العهد البائد، هذا إذا تجاوزنا عن ذكر عامة الشعب من الكادحين والمسحوقين. وفى نهاية الفصل الثالث، نجد العجائز الثلاثة وصلوا إلى طريق مسدود فى الحياة، وأصبحوا أمواتًا فى صورة أحياء، ويقومون بإعداد مراسيم تشييع جنازتهم، فينشرون الأوراق النقدية الجنائزية، ويترنمون بكلمات توديع الموتى، ويقيمون مراسم الذكرى لأنفسهم. وفى الواقع أنهم يشيعون جنازة المجتمع القديم. ومن خلال ذلك ندرك أن العلاقات والمصير المشترك بين شخوص المسرحية هى التى نسجت المضمون الفنى للحياة والعصر اللذين جسدهما المؤلف على خشبة المسرح .

## فى التكتيك الفنى للمقهى

اتسمت مسرحية المقهى بالكثير من السمات الفنية المميزة لمسرح لاوشه؛ ففى المقهى نجد التصوير الصادق لكافة مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية والعسكرية لمجتمع مدينة بكين القديم، وكذلك نجد الرمز فى عنوان المسرحية جاء مرتبطًا بالكثير من أحداثها التاريخية وأفكارها الاجتماعية.

وإذا كان المقهى ثورة على الإقطاع والاستعمار وحزب الكومينتانغ، فإنه فى الوقت نفسه ثورة على الأساليب التقليدية فى الكتابة والتأليف، وندرك أن لاوشه ينتهج فى المقهى منهجًا جديدًا قوامه التركيز والإيجاز، والتلخيص والدقة ، وسهولة التعبير بعيداً عن التكلف والابتذال ؛ فالمقهى مسرحية تتألف من ثلاثة فصول تغطى فترة زمنية مدتها نصف قرن من الزمان ، ومع ذلك لا تجمع بين الحبكة القصصية الموحدة ، ولا الحدث الرئيسى ، وإنما يتلخص مضمون المسرحية فى وصف وتجسيد المظاهر الحياتية للشخصيات التى تبرز للعيان التحولات والتبدلات داخل المجتمع .

وقد كان المؤلف ناجحًا فى تصوير نماذج شخصياته على خشبة المسرح، فجاءت كلها تطابق الواقع والحياة الحقيقية تمامًا ؛ فالعراف يشبه العراف، والقصاص يماثل القصاص...إلخ. وتصوير نماذج شخصيات المقهى لا يخضع أيضًا لأسلوب التأليف التقليدى السائد فى الأعمال الأدبية الكلاسيكية؛ حيث تنبثق الشخصيات من خلال الصراع الحاد بين التناقضات الاجتماعية، بل هى شخصيات تنبثق من المقهى... من مقهى الحياة – ذلك المجتمع المصغر. وإذا كانت الشخصية التاريخية

جاهزة إذ يشرحها ويحللها التاريخ، فإن لاوشه قام بوضعها فى قالب فنى وأدبى يثير الانتباه وجذب الآخرين مع شرح أبعادها الجسمية والاجتماعية والنفسية .

كما لجأ المؤلف إلى تكتيك فنى آخر تمثل في نقل الأدوار الثانوية فى المسرحية من الأب إلى الابن ويقدمها إلى الجمهور نفس الممثلين، وهذا من شأنه أن يساعد على تماسك الوحدة العضوية لحبكة المسرحية وإدماج الفواصل الزمنية بين فصولها؛ لأن فى الحياة الواقعية ليس من الضرورى أن يتوارث الأبناء نفس المهن التى كان يمارسها الآباء. وفى المسرح، على أية حال، يلعب الممثل دور الأب والابن، وهذا يساعد جمهور المشاهدين على إدراك العلاقة بين فصول المسرحية وأحداثها التى تكون فى هذه الحالة متباعدة من حيث الزمن؛ لأن الفترة الزمنية بين الفصل الأول والثانى عشرين عاماً تقريباً، وبين الفصل الثانى والثالث ثلاثين عاماً.

وموضوع المسرحية بسيط، وواقعى، وواضح جداً، أظهر قدرة المؤلف على استخدام تقنيات الواقعية التاريخية والاجتماعية، بالإضافة إلى التقنيات الفنية والأدبية؛ إذ استطاع لاوشه أن يقدم مسرحاً ينسجم مع البيئة من حيث الأحداث والشخصيات، وحقق وحدة لا تتجزأ بين الشكل والمضمون، وحفل مقهى الحياة بصورة نابضة زاخرة بالمعانى، وتميز بسيطرة الكاتب على اللغة والتعبير بالأسلوب السهل الممتع.

ومن أهم التقنيات الأدبية والفنية التى تكشف مسرحية المقهى عن شخصية مؤلفها، أنه كاتب بليغ، بارع الإيجاز، يزن الكلمات بميزان حساب، يكتب دون إطناب أو إسهاب ولكل كلمة دلالتها، ولكل لفظ معناه. ويستنطق المؤلف شخصياته فى كلمات مقتضبة، ولكنها عميقة المعنى بالغة التأثير؛ ففى الفصل الثانى يخاطب العراف تانغ المعلّم وانغ قائلاً:

" لقد تخليت عن تعاطى الأفيون! أصبحت أشم " الهيروين ". سجائر الإمبراطورية البريطانية و" هيروين " اليابان "، وهذه الكلمات تكشف عن شخصية قائلها بأنه إنسان صفق فقد الإحساس بالمجتمع الذى يعيش بين أركانه، وأنه ضحية لأفاعيل الاستعمار الشعناء، كما تعطينا فكرة إلى أى مدى حاول الاستعمار تحطيم الاقتصاد الصينى المنهار، وتخريب نفوس الشعب، وإفساد أخلاقه، وسلب معنوياته، ونهب ثرواته. وفى الفصل الثالث تقول تشو شيو هوا وكأنها وجدت الدواء الناجع للبلاد: "من يريد أن يعيش فليذهب إلى التلال الغربية، أليس كذلك؟ وهذه العبارة تقدم لنا معلومات سياسية عن التلال الغربية؛ حيث كانت آنذاك منطقة حرب عصابات تحت قيادة جيش التحرير الصينى الذى قاد حرب المقاومة ضد اليابان، ولذا يجب على المخرجين والممثلين أن يتعاملوا بدقة مع النص المسرحى للاوشه من حيث الإضافة أو الحذف أو الخروج عن النص المسرحى؛ لأن كل كلمة لها دورها المؤثر والفعال على خشبة المسرح.

ويذيل لاوشه المسرحية بقصائد قصصية غنائية يلقيها يانغ قبل بداية كل فصل من المسرحية، يقدم فيها مضمون المسرحية بصورة غنائية شيقة تجذب انتباه المشاهدين حتى لايشعرون بالملل والكلل لطول الفترة الزمنية بين فصول المسرحية وما يتبع ذلك من صبغ المسرح بالصبغة التاريخية من تغيير الديكورات والمناظر وملابس الممثلين حتى يطابق الظروف التاريخية التى يقدمها فريق الممثلين على خشبة المسرح.

وأخيراً، تقف مسرحية المقهى فى مفترق الطرق بين الأدب الكلاسيكى، والأدب الحديث، بين الصين القديمة، والصين الجديدة، بعد أن تغلغلت داخلهما وقدمت صورة حية للتناقض والتضارب بين العهدين، وهى بذلك تكون واقعية وحقيقية بالنسبة لعصرها، ولمؤلفها، وللصين أيضاً . إنها بحق رائعة من روائع المسرح الصينى والعالمى .

# الـهـوامـش

(١) لاوشه: "كيف كتبت رواية (فلسفة العم تشانغ)" مقال – نظرية الإبداع الأدبى عند لاوشه، دار شنغهاى للفنون والآداب، عام ١٨٩٠ . (بالصينية)

(٢) الجنركشة : Jinrikisha عربة صغيرة بدولابين تتسع لشخص واحد عادة، ويجرها رجل واحد، وكانت تستخدم فى الصين واليابان، تترجم أيضاً بعنوان ( الجمل شينغ تسى ).

(٣) لاوشـه ( الإطـلاع والتـأليف ) دار نشـر مائة زهـرة للفنون والآداب، ١٨٩١. ( بالصينية )

(٤) لى جين وو (قراءة فى مسرحيـة المقهى ) دار الأدب الشعبى للنشر، ١٨٥٩ . ( بالصينية )

(٥) هونشو ( علم التاريخ )، ص١٩.

(٦) مجلة عالم الفكر، المجلد ١٧ العدد الرابع مارس ١٨٧٩، وزارة الأعلام – الكويت، ص٥٥.

(٧) مجلة الفكر المعاصر، العدد ٣٦، فبراير ١٨٦٩، ٧٢٠، مقالة الأستاذ عبادة كحيلة.

(٨) أنظر كتاب ( دعوة إلى الأدب اليابانى )، مقال – أول كاتب مسرحى محترف فى اليابان، الناشر معهد الثقافة – طوكيو، الطبعة الأولى ١٩٧٦، ص٤٩.

(٩) د. عبد القادر القط ( فى الأدب المصرى المعاصر )، ص١٥١ .

(١٠) لاوشه ( نظرية الإبداع عند لاوشه ) دار نشر شنغهاى للفنون والآداب، ٨٩١٠، ص ٣٧ ( بالصينية )

(١١) أنظر سابقه.

(١٢) مجلة ( المسرح الشعبى )، مقال – الأصدقاء الأجانب يشيدون بمسرحية المقهى، العدد ٩، ١٨٩٠ ، (بالصينية ).

(١٣) صحيفة الفنون والآداب، مقال – تألق الواقعية ، العدد ٧ ، ١٨٩١ . (بالصينية ).

(١٤) لاجوس اجرى ( فن كتابة المسرحية ) ص ١٩١– ١٩٢ .

# شخصيات المسرحية

وانغ لي فـــا : عمره يتجاوز العشرين بسنوات قليلة عندما نراه للوهلة الأولى في البداية، أصبح صاحبًا لمقهى يوتاي في صدر شبابه نظرًا لوفاة والده المبكر، فطن وأريب، أناني بعض الشيء ، ولكنه طيب القلب .

تانغ تيـه نوى : في العقد الرابع من العمر، عراف يمارس قراءة البخت عن طريق تفرس ملامح الوجه أو أساريره لكسب أسباب العيش، مدمن أفيون .

السيد سونغ أر : عمره حوالي ثلاثين عامًا، جبان ولكنه ثرثار.

السيد تشانغ سي : في العقد الرابع من العمر، صديق حميم للسيد سونغ أر، وهما من الزبائن القدامى في مقهى يوتاي، يتسم بدماثة الأخلاق والبنية القوية .

لـي ســــان : عمره أكثر من ثلاثين عامًا، نادل في مقهى يوتاي، حيّ الضمير ومجتهد وعطوف.

أر دا ذي : عمره أكثر من عشرين عامًا، خادم في كتيبة حراس الإمبراطور .

السيد مــاوو : عمره أكثر من ثلاثين عامًا، طاغٍ يعتمد على الدّين الأجنبي لكسب أسباب الرزق.

ليــو مـــا ذي : في العقد الرابع من العمر، متحجر القلب، وشديد الكراهية للأخيار، وسيط بين الناس.

**كــــانغ ليــــو :** فى العقد الخامس من العمر، فلاح فقير من ضواحى مدينة بكين .

**هوانغ بانغ ذى :** ممتلئ القوام، عمره أكثر من أربعين عامًا، زعيم عصابة السفاحين .

**تشين جـون إى :** مالك عقار المقهى الذى يديره وانغ لى فا، عمره فى الفصل الأول أكثر من عشرين عامًا، من صغار الأثرياء، ثم أصبح فيما بعد رأسماليًا ومؤيدًا لحركة الإصلاح .

**رجل عــجــوز :** عمره إثنان وثمانون عامًا تقريبًا، يعيش وحيدًا ومفلسًا .

**امـرأة ريفـيـة :** عمرها يتجاوز الثلاثين عامًا، فقيرة جدًا لدرجة أنها تبيع ابنتها الصغيرة.

**فتاة صغيرة :** عمرها عشر سنوات، ابنة المرأة الريفية.

**بانغ تاى جين :** عمره يناهز الأربعين عامًا، أراد الزواج بعد أن أصابه الثراء .

**شــيــاو نيــو :** عمره أكثر من عشر سنوات، خادم بانغ تاى جين.

**ســونغ بن ذى :** عمره أكثر من عشرين عامًا، جاسوس قديم.

**يو شيانغ ذى :** عمره فوق العشرين عامًا، زميل سونغ اين ذى.

**كانغ شون ذى :** عمرها فى الفصل الأول يناهز خمسة عشر عامًا، ابنة كانغ ليو، بيعت لبانغ تاى جين لتكون زوجة له.

**وانغ شــو فين :** عمرها يناهز الأربعين عامًا، زوجة وانغ لى فا صاحب مقهى يوتاى ، أكثر إنصافًا وأمانة عن زوجها .

**شـــــــرطـى :** عمره فوق العشرين عاماً .

**بائـع صـــحـف :** عمره ستة عشر عاماً .

**كـــانـغ دالـى :** عمره يناهز اثنى عشـر عـامـًا، اشـتـراه بانغ تاى جين ليكون ابنًا له، اعتمد فيما بعد هو وكانغ شون ذى كل منهما على الآخر للبقاء على قيد الحياة .

**لاو ايــــــــن :** عمره فوق الثلاثين عاماً، هارب من الجندية .

**لاو تـــشــــين :** عمره يناهز الثلاثين عامًا، هارب من الجندية، أخ للاو لين عن طريق القسم والصداقة .

**تسوى جيو فينغ :** عمره فوق الأربعين عـامًا، كـان عضواً فى الجـمـعـيـة التشريعية للبرلمان ، ثم كرس حياته للمذهب الدينى الذى يعتنقه، يقيم فى نُزُل ملحق بمقهى يوتاى .

**ضـــــابـط :** عمره ثلاثون عاماً .

**وانغ دا شـوان :** عمـره يناهز الأربعين عـامًا، الابن الأكبر لوانغ لى فا صاحب المقهى، مستقيم أخلاقيًا.

**تشـو شـيـو هوا :** عمرها أربعون عاماً، زوجة وانغ دا شوان .

**وانغ شياو هوا :** عمرها ثلاثة عشر عاماً، ابنة وانغ دا شوان .

**دينـــغ بـــاو :** عمرها يناهز سبعة عشر عاماً، مضيفة إغراء، شجاعة ومثقفة .

**شياو ليو ماذى :** عمره أكثر من ثلاثين عـامًا، ابن ليو مـاذى، ورث مـهنة والده وطورها .

**مـحـصل فـاتورة**

**الـكـهـــــريـاء :** عمره أكثر من أربعين عامًا.

شياو تونغ تيه نوى : عمره أكثر من ثلاثين عامًا ابن العراف تانغ تيه ذوى، ورث مهنة والده، يحدوه الأمل أن يكون من معتنقى الطاوية (*) .

مينغ شى فو : عمره فوق الخمسين عامًا، رئيس الطهاه .

زو فو يوان : عمره أكثر من أربعين عامًا، قصاص محترف شهير.

وى فو شي : عمره أكثر من ثلاثين عامًا، زميل زو فى العمل، كان فى البداية قصاصًا، ثم أصبح ممثلاً لأوبرا بكين .

فانغ ليو : عمره أكثر من أربعين عامًا، قارع على طبل صغير، ماكر وخادع .

تشه دانغ دانغ : عمره يناهز الثلاثين عامًا، يتاجر فى العملات النقدية الفضية لكسب قوت حياته .

زوجة بانغ سى : عمرها أربعون عامًا، دميمة المنظر وسيئة الخلق، تأمل أن تكون إمبراطورة، زوجة ابن الأخ الرابع لبانغ تاى جين .

تشون مى : عمرها تسعة عشر عامًا، جارية وخادمة زوجة بانغ سى .

لاو يانغ : عمره فوق الثلاثين عامًا، بائع متجول.

شياو أر دا ذى : عمره يناهز الثلاثين عامًا، ابن أر دا ذى، سفاح مأجور.

(*) الطاوية : فلسفة دينية مبنية على تعاليم لاوتسى ، وتعتبر ، بالإضافة إلى الكونفوشيوسية والبوذية ، أحد أديان الصين الثلاثة . ( المترجم ) .

**يوى خوجى :** عمره يتجاوز الأربعين عامًا، مدرس فى مدرسة ابتدائية، معُلم وانغ شياو هوا .

**شيه يونغ رين :** عمره أكثر من ثلاثين عامًا، زميل يوى خوجى.

**شياو سونغ إين ذى :** عمره يناهز الثلاثين عامًا، ابن سونغ إين ذى، مثل والده عميل للبوليس .

**شياو ووشاينغ ذى :** عمره يناهز الثلاثين عامًا، ابن وو شيانغ ذى، عميل للبوليس مثل والده .

**شياو شين يان :** عمرها تسعة عشر عامًا، مضيفة إغراء.

**المدير شين :** عمره يناهز الأربعين عامًا، رئيس قسم فى قيادة قوات الشرطة العسكرية.

**زبائن المقهى :** كلهم من الرجال.

نادل أو نادلان.

لاجئون من الرجال والنساء والكبار والصغار.

ثلاثة أو خمسة جنود.

نزلاء المقهى، كلهم من الرجال.

فرقة تنفيذ الأحكام تتألف من سبعة رجال.

أربعة أشخاص من قوات الشرطة العسكرية.

يانغ، أحمق، ناظم قصائد قصصية صالحة للغناء.

# الفصل الأول

**الزمـــــان :** الصباح الباكر فى أوائل فصل الخريف عام ١٨٩٨؛ حيث كان الفشل من نصيب الحركة الإصلاحية التى قادها كانغ يو وى وليانغ تشى تشاو وغيرهما (*).

**المـــكـــان :** مقهى يوتاى الكبير فى بكين .

**الشخصيات :** وانغ لى فا ، ليو ماذى، بانغ تاى جين، تانغ تيه ذوى، كانغ ليو، شياو نيو، السيد سونغ أر، هوانغ بانغ ذى، سونغ إين ذى، السيد تشانغ سى، تشين جون إى، وو شيانغ ذى، لى سان، رجل عجوز، كانغ شون ذى، أر دا ذى، امرأة ريفية ، أربعة زبائن ، السيد ما وو، فتاة صغيرة، نادل أو نادلان.

**المـنـظـــر :** اندثر مثل ذلك المقهى الكبير فى الوقت الحاضر، ولكن قبل عشرات من السنين انصرمت، كان فى كل مدينة مقهى واحد على الأقل ، يُباع فيه، بالإضافة إلى الشاى، فطائر ووجبات خفيفة أيضاً. وكل يوم بعد أن يفرغ هواة الطيور من تجوالهم بالدُجّ [1] والصُفَارِيّة[2] وغيرهما، يدلفون إلى المقهى ينالون قسطاً من الراحة، ويحتسون الشاى، ويجعلون الطيور تمثّل وتغنى،

(*) أنظر المقدمة التاريخية.

ويرتاد المقهى أيضًا الوسطاء بين الناس ، والذين يناقشون الصفقات الخاصة بهم. وفى ذلك العصر، كانت تنشب دائمًا المشاجرات بين العصابات، ولكن كان هناك أصدقاء يتوسطون لإصلاح ذات البين بين الطرفين المتنازعين ، ويلتف الطرفان المتخاصمان حول الوسطاء الذين يقنعون أحد الطرفين بحجة الطرف الآخر، ثم يشربون الشاى جميعًا ، ويتناولون سلطانيات[٣] المكرونة باللحم المفروم ( المواد الغذائية فى المقاهى الكبرى رخيصة الثمن وسريعة الإعداد )، وتتحول العداوة إلى صداقة. وقصارى القول أن المقهى كان مكانًا مهمًا جدًا إذ ذاك، يدلف إليه الجميع لعقد الصفقات أو لقضاء الوقت .

ويستطيع المرء أن يستمع فى المقهى إلى القصص السخيفة، مثل كيف تحول عنكبوت ضخم فى مكان ما إلى عفريت ثم أصابه برق السماء، ويستطيع المرء أيضًا أن يستمع إلى الآراء الغريبة، مثل الرأى القائل بأن بناء سور ضخم على طول شاطئ البحر يمكن أن يعوق إنزال القوات الأجنبية، كما يستطيع المرء أن يستمع إلى أحدث مقطوعة موسيقية من تأليف أحد ممثلى أوبرا بكين، وأفضل طريقة لتجهيز الأفيون، وكذلك يستطيع المرء أن يرى أحد زبائن المقهى يعرض نفائس نادرة عثر عليها حديثًا مثل حلية مروحة أثرية،

أو زجاجة سَعُوط ذات ثلاثة ألوان، وكان المقهى فى الواقع مكانًا مهمًا، حتى يمكن أن نعتبره من مراكز التبادل الثقافى .

وهيا بنا نتفقد إحدى تلك المقاهى .

فى صدر المدخل الرئيسى طاولة طويلة وفرن طبخ، ولكى نوفر بعض الأدوات، فإن خشبة المسرح يمكن أن تستغنى عن فرن الطبخ، ويكفى أن نسمع قعقعة القدور والملاعق خلف الستارة. ردهة المقهى فسيحة جداً وعالية السقف،بداخلها طاولات مستطيلة وأخرى مربعة، ودكك مستطيلة وكراسى بلا ظهر وذراعين، ويمكن أن نرى فناءً داخليًا يظلل بظلة عالية، وذلك من خلال النافذة الفاصلة التى يوجد أسفلها أيضًا مقاعد وطاولات المقهى، كما يوجد داخل ردهة المقهى وتحت الظلة خطاطيف تعلق عليها أقفاص الطيور، ويعلق فى كل مكان ورقة مكتوب عليها: " لا تناقش شئون البلاد ".

ويجلس فى المقهى زبونان لا نعرف اسميهما، يضيقان عيونهما، ويطأطئان رأسيهما، ويغنيان بصوت خفيض ويؤديان حركات باليد. كما يجلس هناك زبونان أو ثلاثة لا نعرف أسماءهم أيضًا، يستحوذ على إعجابهم منظر صرار الليل (٤) فى آنية فخارية، ويتجاذب سونغ إين ذى و وو شيانغ ذى أطراف الحديث بصوت

منخفض، ويرتدى كل منهما عباءة رمادية، وتدل هيئتهما على أنهما من عملاء البوليس قادمين من الإدارة الشمالية (٥).

واليوم نشبت مشاجرة أيضاً، وقد قيل أن النزاع حول حمامة قد يؤدى بالتأكيد إلى استخدام العنف لتسوية الخلاف. وفي الواقع، إذا استُخدم العنف فإنه يودى بحياة الأشخاص؛ لأن السفاحين المأجورين بمن فيهم إخوانهم من كتيبة حراس الإمبراطور وحراس المخازن أقوياء الأجسام. ولحسن الحظ، فإنهم فى الحقيقة لم يستطيعوا استخدام العنف؛ لأن الوسطاء تدخلوا لحل النزاع قبل أن يتقاتل الطرفان المتنازعان ويتقابلان فى المقهى الآن. ويدخل السفاحون المأجورون مثنى وثلاث المقهى كما يشاءون ، وأمارات الشراسة والغطرسة تعلو وجوههم، ويرتدون ملابس قصيرة، ثم يدلفون إلى الفناء الداخلى .

يجلس السيد ما وو فى خلوة مع نفسه فى ركن، منعزل يحتسى الشاى .

ويجلس وانغ لى فا منتصباً خلف الطاولة الطويلة.

ويدخل العراف تونغ تيه ذوى مرتدياً عباءة قطنية هفهافة طويلة وقذرة، يدوس بأنكل قدميه على مؤخرة حذائه القماشى، ويدس فى أذنيه قصاصات ورق صغيرة .

**وانغ لى فـــا :** يا ســـيد تانـــغ ، أكنت فى نزهة على الأقـــدام فى الخارج ؟!

**تانغ تيـه نوى :** ( فـــى ابتسامة ألــم ) أيها المـالك وانـغ ، أعطـف علــى العراف تانغ! أعطنى سلطانيـة شاى، وأنا أقرأ لك بختك ! دعنى أرى راحة يدك، هذا لا يكلفك شيئًا! ( يشد يد وانغ لى فا دون موافقته ) هذا العام ١٨٩٨ يوافق العام الرابع والعشرون لحكم الإمبراطور قوانغ تشى [٦] . وأنت تبلغ من العمر....

**وانغ لى فـــا :** ( يسحب يده) انس، سأمنحك سلطانية شاى، لكن لا توجد ثمة حاجة أن تلح علىّ بثرثرة العرافين! قراءة البخت عديمة الجدوى، والجميع فى هذا البلد يعيش حياة مريرة ! ( يأتى من خلف الطاولة، ويطلب من تانغ تيه نوى أن يجلس ) اجلس ! أقول لك إذا لم تكف عن تعاطى الأفيون، فسوف تواجه مصيراً مشئومًا إلى الأبد ! وهذه هى طريقتى لقراءة البخث، أكثر جدية وتأثيراً من طريقتك.

يدخل السـيـد سـونغ أر والسـيـد تشـانغ سى وهمـا يحملان أقفاص الطيور، ويقوم وانغ لى فا بتحيتهما. وبعـد أن يعلقـا أقفـاص الطيـور، يبحثـان عن مكان ليجلسا فيه. يتمتع السيد سونغ أر بالأدب والاحترام، ويحمل قفصًا صغيراً بداخله صُفَاريّة، بينما كان السيد تشانغ سى النشيط يحمل قفصاً كبيراً بداخله

سُمْنٍ مُفَرِدٍ. يهرول لى سان نادل المقهى إليهما، ويصب لهما الماء الساخن فى سلطانيتين، وقد أحضرا معهما أوراق الشاى، وبعد أن تنتقع أوراق الشاى جيداً، يقدمان قليلاً من الشاى إلى زبائن المقهى الذين يجلسون على مقربة منهما.

السيد سونغ أر : ] يجب أن تحتسى قليلاً من الشاى ! ( ثم ينظران
السيد تشانغ سى : ] صوب الفناء الداخلى).

السيد سونغ أر : يبدو أن مشاجرة ستحدث مرة أخرى، أليس كذلك؟

السيد تشانغ سى : لا، لن تحدث إذا كانوا يعتزمون العراك حقاً، فإنهم يذهبون إلى مشارف المدينة فى وقت مبكر، فما جدوى حضورهم إلى المقهى؟

فى تلك الأثناء يدخل أر دا ذى وسفاح مأجور، يسمعان كلام السيد تشانغ سى.

أر دا ذى : ( يقترب منه ) إلى من توجه هذا الكلام ؟

السيد تشانغ سى : ( لا تبدو عليه مظاهر الضعف ) أتسألنى ؟ لقد دفعت ثمن الشاى، ولست مضطراً أن أجيب على الآخرين، حسناً أم لا ؟

السيد سونغ أر : ( ينظر إلى أر دا ذى من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ) أسألك، ألست خادماً فى الكتيبة ؟ تعال، اجلس، واحتس سلطانية شاى ، نحن لا نعير اهتماماً لمثل هذه الأمور.

أر دا ذى : هل يهمك أمرى إذا كنت خادماً أم لا!

السيد تشانغ سى : إذا أردت أن تفقد شأنك ومكانتك، أعمل مع الغزاة الأشرار! وأنت تتقاضى راتبك من الحكومة، ولكن لم ارك تقتحم النيران وتشترك فى القتال عندما دمرت الجيوش البريطانية والفرنسية يوان مينغ يوان (٧).

أر دا ذى : لن أتحدث عن محاربة الأجانب، ولكن اهتم فى المقام الأول أن ألقنك درساً قاسياً ( يهم أن يرفع يده ).

مازال الزبائن الآخرون فى المقهى يناقشون أمورهم الخاصة .

يندفع وانغ لى فا مهرولاً .

وانغ لى فا : يا إخوانى ، كلكم جيران وأصدقاء، ويجب أن يسوى الخلاف بطرقة ودية. يا سيد دا، اجلس فى الفناء الداخلى !

يتجاهل أر دا ذى كلام وانغ لى فا، وفجأة يزيح بيده سلطانية الشاى ، فتسقط على الأرض وتتحطم، ويمد يده ويحاول أن يقبض على رقبة السيد تشانغ سى.

السيد تشانغ سى : ( مراوغاً ) أتريد شيئاً ؟

أر دا ذى : أريد شيئاً ؟ أنا لا أستطيع أن أواجه الأجانب ؟ ولا أنت أيضاً ؟

السيد ماوو : ( لم ينهض ألبتة ) يا أر دا ذى، أنت عظيم !

أر دا ذى : ( ينظر يمنة ويسرة فيرى السيد ما وو ) أوه، السيد ما وو، أنت هنا ؟ عينى غير حادة، لم أرك ( يذهب إليه ويركع على ركبتيه مبدياً الاحترام له ).

السيد ماوو : يصفى أى خلاف ودياً، وإذا لم يسو فيمكن الاحتكام إلى العنف، حسناً أم لا ؟

أر دا ذى : طبعاً أنت على صواب ! سأذهب وأجلس فى الفناء الداخلى. يا لى سان سأدفع نقود طلبات هذه الطاولة ( ثم يتجه صوب الداخل ).

السيد تشانغ سى : ( يذهب إلى السيد ما وو ليشكو إليه ) يا سيدى، أنت حكيم، فحكِّم بيننا من الصائب، ومن المخطئ ؟!

السيد ماوو : ( ينهض واقفاً ) عندى أمر، إلى اللقاء ! ( يخرج ).

السيد تشانغ سى : ( يخاطب وانغ لى فا ) عجباً ! هذا الشخص غريب الأطوار !

وانغ لى فا : ألم تعرف أنه السيد ماوو ؟ فلا غرابة أن تجرح مشاعره أيضاً !

السيد تشانغ سى : أجرحت مشاعره ؟ كان يجب علىّ أن آخذ بنصيحة التقويم وأمكث فى البيت اليوم !

وانغ لى فا : ( بصوت خفيض ) كيف تحدثت عن الأجانب تواً، إنه يعتمد عليهم لكسب أسباب العيش. ويؤمن بدينهم، ويتحدث بلغتهم، وإذا كان لديه أمر يريد أن ينجزه، يذهب مباشرة إلى حاكم محافظة وان بينغ، ولذلك حتى الحكام يخشون استفزازه ! .

السيد تشانغ سي : ( يعود إلى مقعده ) أف، لا يعجبني الذين يعتمدون على الأجانب طلبًا لاستمرار الحياة !

وانغ لي فا : ( يميل برأسه قليلاً ناحية سونغ إين ذي و وو شيانغ ذي، بصوت منخفض ) كن حريصًا عندما تتحدث ! ( بصوت عال ) يا لي سان، احضر سلطانية شاي أخرى هنا ! ( يجمع القطع المكسورة المتناثرة للسلطانية من فوق أديم الأرض )

السيد سونغ أر : ما ثمن السلطانية ؟ سأدفع التعويض ! لا يمارس الرجال الأفاضل الأعمال الغريبة التي تمارسها السيدات العجائز !

وانغ لي فا : لا تتعجل ، انتظر هنيهة وسوف أحاسبك ! ( ينصرف )

يدخل سمسار الأراضي ليو ماذي مصطحبًا معه كانغ ليو. يحيي ليو ما ذي والسيد سونغ أر والسيد تشانغ سي .

ليو ما ذي : أيها السيدان، أنتما بكرتا فعلاً ! ( يخرج من جيبه زجاجة السعوط ويسكب منها قليلاً ) جرب هذا السعوط ! مستورد حالاً ، سعوط بريطاني حقيقي، ناعم ونقي أيضًا !

السيد تشانغ سي : آه، حتى السعوط مستورد من الخارج ! وتدفع البلاد كثيراً من العملات الفضية لشرائه !

ليـو مـا ذى : إن إمبراطوريتنا الكبرى تشينغ تملك جبالاً من الذهب والفضـة ، ولا تنضب أبداً ! اجلس، عندى أمـر أذهب لإنجازه ! ( يأخذ كانغ ليو ليجلس فى مكان آخر ).
يحضر لى سان سلطانية شاى .

ليـو مـا ذى : ما رأيك ؟ عشر تايلات [٨] من الفضـة، حسنًا أم لا ؟ قل بصـراحـة ! أنا مشـغـول، وليس لدىّ وقت أضـيـعـه معك !

كـانغ ليـو : يا سيد ليو ! هل فتاة تبلغ من العمر خمسة عشر عامًا تستحق فقط عشر تايلات من الفضة ؟

ليـو مـا ذى : ربما تحصل على أكثر من هذا المبلغ إذا بعتـها لبيت دعارة، ولكنك لا ترغب فى ذلك .

كـانغ ليـو : إنها ابنتى من لحمى ودمى ! أستطيع....

ليـو مـا ذى : إنهـا ابنتك، ولكنك لا تسـتطيع أن تمدها بالطعـام لتعيش، فمن المذنب ؟

كـانغ ليـو : ذلك من جراء أن الفلاحين كلهم أصبح من المستحيل أن يظلوا أحياء ؟ فإذا استطاع الكبار أو الصغار فى أسـرتى أن يحصلوا على وجبة عصيدة يوميًا، وأنا مازلت أرغب فى بيع ابنتى ؛ فأنا لست من البشر !

ليـو مـا ذى : تلك مشكلة خاصة بالفلاحين أنتم، لا أهتم بها. أنت طلبت منى المساعدة، وأعددت لك صفقة رابحة، كما وجدت مكانًا لابنتك تأكل فيه حتى تشبع، أليس ذلك جميلاً ؟

كانغ ليو : أخيراً، من يشتريها ؟

ليو ما ذي : إذا أخبرتك، فالسعادة تغمرك بالتأكيد ! موظف يعمل في القصر!

كانغ ليو : موظف يعمل في القصر ويريد خادمة ريفية، من هو ؟

ليو ما ذي : ألم يكفل ذلك حياة هنيئة لابنتك ؟

كانغ ليو : من هو ؟

ليو ما ذي : المدير العام بانغ ! بالتأكيد أنك سمعت عنه، أليس كذلك ؟ ويؤدي خدمات لأم الإمبراطور، وهو رجل ذو باع وشهير، حتى زجاجات الخل في منزله مصنوعة من العقيق [٩] اليماني !

كانغ ليو : يا سيد ليو، تبيع ابنتي لمخصي لتكون زوجة له، فكيف أحافظ على ماء وجهي أمام ابنتي ؟

ليو ما ذي : ما دمت تبيع ابنتك، فلا يهمك كيف تُباع، كما أنك لا تواجهها أيضًا ! أنت أحمق! انظر، بعد الزواج تأكل ابنتك أشهى المأكولات وألذها، وترتدي أفخر الأقمشة الحريرية المطرزة، أليس ذلك حظًا سعيدًا ؟ حسنًا، وتستطيع أن تومئ برأسك إيجابًا أو سلبًا حتى نصل إلى قرار صريح !

كانغ ليو : هل كان هناك، في قديم الزمان،... من يدفع عشر تايلات فضية فقط ؟

ليو ما ذي : إن الفقر يحاصر قريتك، ولا يوجد بها عشر تايلات فضية، أليس كذلك ؟ في الريف تستطيع أن تشتري

طفلاً مقابل اثنين ونصف كيلو جرام من دقيق القمح، وأنت تعرف ذلك بالتأكيد !

كـــانغ ليـــو : أنا، آه ! يجب أن أتشاور مع ابنتى !

ليــو مـــا ذى : أقول لك إنها الفرصة الأخيرة ، وإذا فقدتها فلا تلومنى ! فاذهب وارجع بسرعة !

كـــانغ ليـــو : آه ! سأعود بعد لحظة !

ليــو مـــا ذى : أنتظرك هنا !

كـــانغ ليـــو : ( يخرج فى خطوات بطيئة ).

ليــو مـــا ذى : ( ينتقل إلى جوار السيد تشانغ سى والسيد سونغ أر ) يصعب على القرويين إنجاز الأعمال، ولا يستطيعون أبداً أن يقروا شيئاً.

السيد سونغ أر : هل تكسب كثيراً من هذه الصفقة ؟

لـو مـــــا ذى : ليس كثيراً كما تتوقع ، إذا تمت هذه الصفقة، سوف أكسب صُبة [١٠] فضية !

السيد تشانغ سى : ماذا حدث فى الريف ؟ لماذا يبيع القريون الأولاد والبنات !

ليــو مـــا ذى : من يعرف ! وإلا ما تردد على ألسنة الناس أن الكلب يفضل أن يولد فى مدينة بكين !

السيد تشانغ سى : ياسيد ليو، يجب أن تكون متحجر الفؤاد حتى تحصل على قوت حياتك من هذه التجارة !

ليــو مـــا ذى : أريد أن تسلط علىّ الأضواء، فربما لا يجدون مشترين !

( يغير دفة الحديث ) يا سيد سونغ أر، ( يخرج من جيبه ساعة جيب صغيرة) أتريد هذه الساعة !

**السيد سونغ أر :** ( أخذ الساعة ) ساعة جميلة وصغيرة !

**ليـو مـا ذى :** اسمع ، إنها تتكتك بانتظام !

**السيد سونغ أر :** ( يستمع ) ما ثمنها ؟

**ليـو مـا ذى :** تريد أن تشتريها ؟ خذها ! باختصار ثمنها خمس تايلات فضة ! وهذا ثمنها كما هى ، وإذا أردت أن تتخلص منها، يمكنك أن ترجعها بنفس الثمن ! وهى عالية الجودة، ومن النفائس التى تحتفظ بها فى البيت !

**السيد تشانغ سى :** أحاول أن أفهم لماذا لدينا هنا كثير من الأشياء الأجنبية ! يا سيد ليو، أنظر إلى نفسك: معك زجاجة سعوط أجنبية، وساعة أجنبية، وترتدى عباءة من الحرير الأجنبى، وجاكت وبنطلون من القماش الأجنبى.....

**ليـو مـا ذى :** لأن الأشياء الأجنبية جميلة حقًا ! وإذا ارتديت ملابس محلية مثل الريفى، فلا ألفت أنظار الآخرين !

**السيد تشانغ سى :** أعتقد دائمًا أن الساتان المصنوع فى بلادنا وحرير سيتشوان (١١) أكثر جمالاً !

**ليـو مـاذى :** يا سيد سونغ أر، من الأفضل أن تبقى معك هذه الساعة، ففى هذه الأيام، مثل تلك الساعة الأجنبية

الجميلة تلفت انتباه الآخرين اليك ! حسنا أم لا ؟ ما رأيك؟

السيد سونغ أر : ( يبغى شراء الساعة حقًا، ولكنه يرى أنها غالية الثمن ) أنا.....

ليو ما ذى : ألبسها لمدة يومين، ثم أدفع النقود فيما بعد !

يدخل هوانغ بانغ ذى .

هونغ بانغ ذى : ( يعانى بشدة من مرض التراخوما[١٢] وضعف البصر. يقوم بتحية الزبائن فى المقهى بمجرد دخوله ) يا إخوانى، انظروا إلىّ ! أكن لكم كل الاحترام ! كلنا أخوة، لا تفعلوا شيئًا من شأنه أن يفسد صداقتنا !

وانغ لى فا : ليس أصدقاؤك هنا، إنهم فى الفناء الداخلى !

وانغ بانغ ذى : لم أر بوضوح ! يا معلّم، جهز لىّ سلطانية مكرونة باللحم المفروم. عندما يحضر هوانغ بانغ ذى، لا يتجرأ أحد على العراك ! ( يمشى صوب الداخل ).

أر دا ذى : ( يخرج لاستقباله ) يجلس الطرفان معًا، أسرع !

يدخل أر دا ذى وهوانغ بانغ ذى الفناء الداخلى معًا.

يحمل نُدُل المقهى جيئة وذهابًا غلايات ماء الشاى إلى الفناء الداخلى .

يدخل رجل عجوز يبيع الخِلال [١٣] وأمشاط الذقن وخِلال الأذن [١٤] وأشياء صغيرة أخرى من هذا القبيل. يتجول بين زبائن المقهى مطأطئ الرأس ،

بطىء الخطوات، ولكن لم يبع شيئًا، وبينما هو على وشك أن يدخل الفناء الداخلى، يمنعه النادل لى سان.

**لـى ســـــان :** يا عم ، من الأفضل أن تتجول فى الخارج ! إنهم فى الداخل يحلون خلافاتهم، ولا يشترون بضاعتك ! ( يناول العجوز بصورة عابرة سلطانية بها بقايا شاى ).

**السيد سونغ أر :** ( بصوت منخفض ) يا لى سان ! ( يشير إلى الفناء الداخلى ) أى شىء جعلهم يحتكمون فى النهاية إلى العنف ؟

**لـى ســـــان :** ( بصوت منخفض ) مما يقال بسبب حمامة، طارت من منزل تشانغ إلى منزل لى، ورفض الأخير أن يردها إلى صاحبها و.....آه، ونحن لا نهتم البتة بهذا الأمر، ( يسأل الرجل العجوز ) يا عم ، كم عمرك ؟

**الرجل العجوز :** ( يحتسى الشاى ) شكراً جزيلاً ، عمرى اثنان وثمانون عامًا، ولا أحد يهتم بىّ! الإنسان فى هذه الأيام لا يسوى حمامة ! آه ( يخرج فى خطوات وئيدة ).

يدخل تشين جون إى مزهواً بنفسه ومرتديًا أفخر الملابس .

**وانغ لى فـــا :** هاى ! يا سيد تشين، كيف تقضى وقتك هكذا بعد أن حضرت إلى المقهى ؟ ولم تحضر معك الخادم أيضاً ؟

**تشين جون إى :** جئت لأرى بنفسى، أرى شابًا مثلك يعرف أن يدير المقهى أم لا !

**وانغ لى فــا :** آه ، اضطررت أن أعمل تارة ، وأدرس تارة أخرى ، بعد أن أصبحت أعتمد على المقهى لكسب قوت الحياة ؛ ولم يعد أمامي خيار سوى العمل ، بعد وفاة والدى فى صدر شبابه. ولحسن الحظ ، الزبائن الدائمون فى المقهى أصدقاء قدامى لوالدى ، وينظرون إلى أخطائى بعين الصفح والإغضاء. ومن المهم أن تكون محبوبًا، ولاسيما إذا كنت تمارس عملاً لتكسب قوت الحياة. وأنا أسير على منوال والدى ، حلو السان دائمًا ، وأحترم الآخرين كثيراً، وأستجدى حبهم ، وهذه الطريقة تجنبك كثيراً من المتاعب! تفضل بالجلوس، أعدُّ لك سلطانية شاى خاصة !

**تشين جون إى :** لم أحضر هنا لأشرب الشاى، ولا أرغب فى الجلوس أيضًا .

**وانغ لى فــا :** من فضلك أجلس هنيهة ! يشرفنى أن تجلس معى هنا !

**تشين جون إى :** حسنًا ! ( يجلس ) ولكن لا تداهننى !

**وانغ لى فــا :** يا لى سان ! ( أحضر سلطانية شاى ممتازة ! ) يا سيد تشين ، هل أسرتك فى حالة طيبة ؟ وهل أعمالك على ما يرام ؟

**تشين جون إى :** ليست على مايرام .

**وانغ لى فـــا :** مـاذا تخشـى ؟ وأنــت تتـجـر فــى ذلـك الكم الهائل من التـجارة ، إن تجـارتي الضـئيلة لا تقارن بثـروتك الهائلة !

**تانغ تيـه نوى :** ( يأتى من مكان بعيـد ) السـيـد تشين وجـهـه منفـرج الأسارير وهو فى الحقيقة يتمتع بجبهة عريضة وفك قوى ، وعلى الرغم من أننى لم أر قسمات وجه رئيس وزراء من قـبل ، إلا أننى أقـسـم بأن هناك رجـلاً من التجار الأثرياء.

**تشين جــو إى :** اتركنى وحدى ! غب عن وجهى !

**وانـغ لـى فـــا :** يا سيد تانغ ، لقد شربت نصيبك من الشاى ، يمكن أن تبـحث عن شىء تفـعله فى مكان آخـر ! ( يدفـعـه برفق إلى الخارج ).

**تانغ تيـه نوى :** آه ! ( ينصرف مطأطئ الرأس ).

**تشين جون إى :** ياسيد وانغ ! ألا تتفق معى أن إيجار المسكن يجب أن يزداد ؟ لقد كان الأجر الذى كنت أتقاضاه من والدك وقتئذ لم يعد كافيًا حتى لاحتساء قدح من الشاى!

**وانـغ لـى فـــا :** صـدقت يا سيدى ، إنك على صـواب تمامًا ! لكن ليس ثمة ضـرورة أن تقلق نفسك من جراء مثل هذه الأمور التـافـهـة ، أرسل أحـد الموظفين أناقش الأمـر مـعـه. وبالطبع سوف أدفع ما يتم الاتفاق عليه من زيادة فى الإيجار ، سأدفع ! بالطبع !

**تشين جون إى :** أيها الشاب، أنت أكثر دهاء من والدك ! آه ، انتظر، سوف أستعيد ملكية هذا المبنى عاجلاً أو آجلاً !

**وانغ لى فـا :** لا تخوفنى بهذا الهراء ، أعرف أنك يهمك أمرى، وقلق علىّ ، وأنى متأكد أنك لن تجعلنى أحمل على كتفى إبريق الشاى الكبير وأبيع أقداح الشاى فى الشوارع !

**تشين جون إى :** انتظر وسوف ترى !

تدخل امرأة ريفية تسحب فتاة صغيرة عمرها يناهز عشر سنوت. يعلق فى شعر الفتاة الصغيرة عود من القش[١٥]، وكان لى سان يفكر فى أن يمنعهما من الدخول، ولكن لشعوره بالعطف نحوهما، تركهما يدخلان المقهى. تتجه المرأة والفتاة الصغيرة إلى الداخل فى خطوات وئيدة، يتوقف زبائن المقهى فجأة عن الكلام والضحك، وراحوا يتأملونهما.

**الفتاة الصغيرة :** ( تقف فى منتصف المقهى ) ماما ! أنا جائعة ! أنا جائعة !

تحملق المرأة الريفية فى وجه ابنتها، وفجأه لم تتمالك الوقوف على ساقيها، فتنهار على الأرض وتدس وجهها بين كفيها، وراحت تبكى بصوت خفيض .

**تشين جون إى :** ( إلى وانغ لى فا ) اطردهما خارج المقهى !

وانغ لى فـــا : سمعًا ! اخرجا، إنكما لا تستطيعان أن تجلسا هنا !

المرأة الريفـيـة : ألا يوجد بينكم رجل رحيم ؟ يشترى هذه الطفلة بما يعادل اثنين من التايل الفضى !

السيد تشانغ سى : يا لى سان ، اسحبهما إلى الخارج، وقدم لهما سلطنيتين مكرونة باللحم المفروم !

لـى ســـان : أجل ( يذهب إلى المرأة الريفية ) انهضى وانتظرى بجوار مدخل الباب، وسأحضر لكما قليلاً من المكرونة.

المرأة الريفـيـة : ( تنهض وتتحرك نحو الخارج وهى تكفكف دموعها، ويبدو أنها نسيت ابنتها، ولكن بعد أن خطت عدة خطوات إلى الأمام ، تدور بجسمها وترجع إلى الوراء وتسحب ابنتها من يدها وتقبلها قائلة ) ياعزيزتى ! يا حبيبتى !

وانغ لى فـــا : أسرعى !

تخرج المرأة الريفية وابنتها ، ثم يتبعهما لى سان ، ويقدم لهما سلطنيتين من المكرونة.

وانغ لى فـــا : ( يحضر ) ياسيد تشانغ سى، كم يكون جميلاً منك أن تمنحهما مكرونة لسد رمقهما ! ولكن أقول لك: هناك الكثير مثلهما ! الكثير ! ولا يملك أحد أن يفعل لهم شيئًا ! ( إلى تشين جون إى ) يا عم تشين ، أترى أننى على صواب أم لا ؟

السيد تشانغ سي : ( يخاطب السيد سونغ أر ) يا سيد سونغ، أرى أن إمبراطورية تشينغ الكبرى على وشك الانهيار !

تشين جون إي : ( في لهجة متعالية ) لا أهتم تنهار أم لا ! ولا أهتم أكثر إذا كان هناك من يعطي الفقراء سلطانية مكرونة لسد رمقهم، أو لا يوجد. أيها الفتى وانغ ، بكل صراحة أفكر بجدية في استعادة ملكيتي لهذا البيت !

وانغ لي فا : يا سيد تشين ، لا تتصرف على هذا النحو !

تشين جوان إي : إني لا أستعيد ملكيتي لهذا البيت فحسب، بل سوف أبيع أيضًا الأراضي الزراعية في الريف والمتاجر التي أمتلكها في المدينة !

وانغ لي فا : لكن ، لماذا تفعل ذلك ؟

تشين جون إي : لزيادة رأسمالي وتشييد مصنع.

وانغ لي فا : تشيد مصنعًا ؟

تشين جون إي : أم ! مصنعًا ضخمًا، ضخمًا فعلاً ! هذا هو المخرج الوحيد لننقذ الفقراء، ولا يوجد سواه لمحاربة البضائع الأجنبية ، ومن ثم نتمكن من إنقاذ بلادنا! (يتحدث إلى وانغ لي فا، ولكن ينظر إلى السيد تشانغ سي ) آه ، ما فائدة حديثي اليك، أنت لا تفهم !

وانغ لي فا : إنك ستقدم بمحض إرادتك كل ما تملك من أجل المجتمع، أليس كذلك ؟

**تشين جون إى :** أنت لا تفهم ! إن ما حدثتك عنه هو الطريق الذى يجعل بلادنا قوية وغنية! حسنًا ، لقد أزف الوقت، ويجب أن أرحل. وشاهدت بعينى تجارتك الرابحة، ولكن لا تكون عنيداً مرة أخرى ولا تزيد الإيجار !

**وانغ لى فـا :** انتظر قليلاً ، سأطلب عربة تقوم بتوصيلك.

**تشين جون إى :** لا داعى، أفضل السير على الأقدام !

يخرج تشين جون إى، ويودعه وانغ لى فا .

يدخل شياو نيو متكئًا عليه بانغ تاى جين ، يحمل شياو نيو نارجيلة.

**بانغ تاى جين :** أوه ! السيد تشين !

**تشين جون إى :** يا سيد بانغ! هل شعرت بالراحة فى الأيام الأخيرة ؟

**بانغ تاى جين :** طبعًا، أشعر بالراحة ؟ النظام يسود البلاد : وصدر مرسوم إمبراطورى بتنفيذ حكم الإعدام فى تان سى تونغ (*) ، وأقول لك : من تخول له نفسه أن يفكر فى تغيير نظم الحكم التى أرسى قواعدها أسلافنا ، سوف تقطع رأسه !

**تشين جو إى :** أعرف ذلك منذ زمن طويل !

يخيم الصمت فجأة على زبائن المقهى، ويحبسون أنفاسهم وينصتون بأذن صاغية إلى الحديث.

(*) أنظر معجم الأعلام التاريخية .

**بانغ تاى جين :** يا سيد تشين، أنت ذكى وإلا كيف أصبحت ثريًا !

**تشين جون إى :** أموالى القليلة ، لا تستحق الذكر !

**بانغ تاى جين :** أنت متواضع كثيراً ، أنت تعرف أن مدينة بكين كلها تعرف السيد تشين! وأنت أكثر باعًا من الموظفين ! وقد سمعت أن بعض الأثرياء الخلصاء يؤازرون حركة الإصلاح .

**تشين جون إى :** ليس الأمر هكذا ، إن مكانتى المرموقة الضئيلة لايمكن استغلالها فى وجودك! آها آها آها !

**بانغ تاى جين :** جميل ما ذكرت، مثل ما جاء فى الأساطير أن ثمانية أشخاص مخلدون عبروا البحر، واستعرض كل واحد قدرته وبسالته ! آها آها آها !

**تشين جون إى :** سأزورك خلال الأيام القليلة القادمة، إلى اللقاء ! ( ينصرف ).

**بانغ تاى جين :** ( يناجى نفسه ) آه، أى مبرر يجعلك ثريًا صغيراً يجترئ أن يبادلنى الحديث الند للند، السنوات تغيرت حقًا ! ( يسأل وانغ لى فا ) ليو ما ذى هنا ؟

**وانغ لى فا :** سيادة المدير، استرح فى الداخل كأنك فى بيتك !

رأى ليو ما ذى بانغ تاى ذى من قبل، ولكن لا يجترئ أن يقترب منه خشية أن يزعجه أو يقطع حديثه مع تشين جون إى .

**ليو ما ذى** : أوه ، سيدى ! السماء تهبك الحظ ! انتظرت سيادتكم طوال الصباح ! ( يتكئ عليه بانغ تاى جين، ويتجه صوب الداخل )

يأتى سونغ أين ذى و وو شيانغ ذى لتحية بانغ تاى جين الذى يهمس فى أذنيهما.

يبدأ زبائن المقهى الثرثرة بعد أن خيم عليهم الصمت لفترة طويلة.

**الزبون الأول** : من هو تان سى تونغ ؟

**الزبون الثانى** : يبدو أننى سمعت عنه ! على أية حال ، إنه اقترف جريمة كبرى ، وإلا كيف صدر حكم الإعدام ضده !

**الزبون الثالث** : منذ شهرين أو ثلاثة ، قام بعض الموظفين والطلاب بإثارة القلاقل، وكيف نستطيع أن نعرف الجرائم التى ارتكبوها !

**الزبون الرابع** : لا يهم، مهما تقل فراتبى مضمون ومكفول ! إن تان سى تونغ وكانغ يو وى قررا عدم صرف رواتب لجنود قومية مان، ويبحثون عن قوت حياتهم بأنفسهم، أليس كذلك ؟ إنهما من قساة القلوب !

**الزبون الثالث** : يستأثر الحكام بنصيب الأسد من الرواتب، ولذا حياتنا تسير عرجاء !

**الزبون الرابع** : هذا أفضل من لا شىء ! وأنا أفضل الحياة الشاقة عن الموت الشريف وليس أمامى مخرج لأبقى على قيد الحياة سوى أن أبحث عن قوت حياتى بنفسى !

**وانغ لى فـــا** : يا ســادة ، أعتقد أنها فكرة غثة أن نناقش شئون البلاد !

يخيم الصمت على الجميع، ثم يتحدثون مرة أخرى عن شئونهم الخاصة.

**بانغ تاى جين** : ( جالسًا ) ماذا ؟ خادمة ريفية بمائتين تايل من الفضة ؟

**ليــو مــا ذى** : ( واقفًا كأنه أحد أفراد الحاشية ) فتاة ريفية أنيقة! عندما تأتى إلى المدينة ترتدى الملابس الجميلة وتتدرب بعض الشئ، فإنها بالتأكيد ستكون مطلقة المحيا، كما أنها تتمسك بالمبادئ والتقاليد أيضًا ! إننى أبذل قصارى جهدى لأنجز أعمالك أكثر مما أقدمه لوالدى، ولا أستطيع أن أكون مهملاً قيد أنملة.

يعود تانغ تيه ذوى إلى المقهى مرة ثانية.

**وانغ لى فـــا** : يا تانغ تيه ذوى، لماذا رجعت هنا مرة أخرى ؟

**تانغ تيــه ذوى** : الاضطرابات تجتاح الشوارع ، ولا أعرف ماذا حدث !

**يانغ تاى جين** : لا مراء أنهم يبحثون عن أتباع تان سى تونغ الهاربين، أليس كذلك ؟ يا تانغ تيه ذوى، لا تقلق، لن يقبض عليك أحد !

**تانغ تيــه ذوى** : شكرًا، يا سيادة المدير، إذا أعطيتنى قطعة من الأفيون ستجعل حياتى سعيدة للغاية!

يغادر المقهى عدد من الزبائن الواحد تلو الآخر، ويبدو أن لديهم شعوراً صابقًا بحدوث اضطراب.

السيد سونغ آر : يجب أن نرحل أيضًا! الوقت متأخر !

السيد تشانغ سي : حسنًا! دعنا نذهب !

يدخل رجلان المقهى، يرتديان ملابس رمادية هما سونغ إين ذى و وو شيانغ ذى.

سونغ إين ذى : انتظر برهة !

السيد تشانغ سي : ما الأمر ؟

سونغ إين ذى : ألم تذكر توًا أن " إمبراطورية تشينغ الكبرى على وشك الإنهيار" ؟

السيد تشانغ سي : أنا، أنا أحب إمبراطورية تشينغ الكبرى، وأخشى أن تنهار !

سونغ إين ذى : ( يخاطب السيد سونغ أر ) أسمعت ؟ هل ذلك ما فاه به ؟

السيد سونغ آر : يا إخواني، نحن هنا نحتسي الشاى كل يوم، ويعرف وانغ صاحب المقهى، إننا جميعًا رجال شرفاء وأمناء.

ووشيانغ ذى : أسألك هل سمعت أم لا ؟

السيد سونغ آر : إذن، إذا كان هناك مشكلة، فدعنا نحلها، تفضل بالجلوس !

سونغ إين ذى : لا تنبس ببنت شفة، وأنت محجوز أيضًا ! لقد ذكر أن "إمبراطورية تشينغ الكبرى على وشك الانهيار" ، وبذلك يعد من أتباع تان سي تونغ !

السيد سونغ آر : أنا، أنا سمعت، لقد ذكر أن.........

**سونغ إين ذى :** ( يخاطب السيد تشانغ سى ) امشِ !

السيد تشانغ سى : إلى أين ؟ أريد تفسيراً لما يحدث !

**سونغ إين ذى :** أتعارض القبض عليك أيضًا ؟ لقد حضرت إلى هنا بقوة " القانون " !

( يخرج سلسلة من الحديد الصلب كان يلفها حول خصره ).

السيد تشانغ سى : أخبركما، أنا من قومية مان !

**وو شيانغ ذى :** عندما يصبح رجل من قومية مان خائنًا، فالجريمة أكثر بشاعة !

ويكبل بالسلاسل !

السيد تشانغ سى : لا داعى لذلك، لا أستطيع الهرب !

**سونغ إين ذى :** طبعًا لا تستطيع الهرب ! ( يخاطب السيد سونغ أر ) وأنت تذهب معنا أيضًا إلى المحكمة لتقول الحقيقة !

يخرج هوانغ بانغ ذى من الفناء الداخلى ومعه ثلاثة أو أربعة رجال.

**هوانغ بانغ ذى :** حسنًا، انتهت الخلافات، وأصبح كل شىء على مايرام، ولم يكن حضورى دون جدوى !

السيد سونغ آر : يا سيد هوانغ ! يا سيد هوانغ !

**هوانغ بانغ ذى :** ( يفرك عينيه ) من ؟

السيد سونغ أر : أنا، سونغ أر! تعال، وتحدث عنا بكلمات طيبة لتنقذنا!

**هوانغ بانغ ذى :** ( يحدق بوضوح ) أوه، السيد سونغ، السيد وو، عندكما أمر؟ تفضلا !

السيد سونغ أر : يا سيد هوانغ، ساعدنا على الخروج من هذه الأزمة، وتفوه بكلمات قليلة فى صالحنا !

**هوانغ بانغ ذى :** اهتم بالأمور التى لا تستطيع الإدارة الحكومية معالجتها ! ولكن مادامت قادرة على ذلك ؛ فأنا لا أتدخل ! ( يسأل الزبائن ) حسنًا أم لا ؟

**الزبائن :** حسنًا ! أجل !

يخرج سونغ إين ذى و وو شيانغ ذى ويتقدمهما السيد تشانغ سى والسد سونغ أر.

السيد سونغ أر : ( يخاطب وانغ لى فا ) خلى بالك من أقفاص الطيور !

**وانغ لى فا :** اطمئن، سأرسلها إلى منزلكما !

يخرج السيد تشانغ سى والسيد سونغ أر وسونغ إين ذى و وو شيانغ ذى.

**هوانغ بانغ ذى :** ( بعد أن أخبره تانغ تيه ذوى أن بانغ تاى جين فى المقهى ) أوه، السيد بانغ هنا ؟ سمعت أنك ستتزوج، تهنئتى الحارة لك !

**بانغ تاى جين :** سأدعوك فى حفل الزفاف !

**هوانغ بنغ ذى :** يشرفنى ذلك! يشرفنى ذلك ! ( ينصرف )

تدخل المرأة الريفية حاملة السلطانيتين الفارغتين وتضعهما فوق الطاولة الطويلة، وتدخل معها الفتاة الصغيرة .

**الفتاة الصغيرة :** ماما ! مازلت جائعة !

**وانغ لى فــا :** آه ! أخرجى !

**المرأة الريفية :** تعالى، يا طفلتى !

**الفتاة الريفية :** ألا تبيعيننى ؟ يا ماما ! ألا تبيعيننى ؟ يا ماما !

**المرأة الريفية :** يا طفلتى ! ( تمسح الدموع من مآقيها، وتمسك ابنتها بيدها وتنصرف ).

يدخل كانغ ليو تتقدمه كانغ شون ذى، ويقفان أمام الطاولة.

**كانغ ليو :** يا ابنتى ! يا شون ذى ! والدك ليس إنسانًا، بل حيوانًا ! ما الذى أستطيع أن أعمله من أجلك ؟ لم تجدى مكانًا تأكلين فيه، وسوف تموتين جوعًا ! وإذا كان فى جعبتى بضعة تايلات فضية، سيضربنى المالك ضربًا مبرحًا ! أنت، يا شون ذى، ليس أمامك مخرج آخر، لا تجعلى الصعاب تقهرك !

**كانغ شون ذى :** أنا.... أنا.... (عاجزة عن الكلام).

**ليو ما ذى :** ( يهرول إليها ) حضرت؟ توافقين ؟ حسنا ! تعالى لتقابلين المدير ! وتتملقين سيادته !

**كانغ شون ذى :** أنا .... ( تصاب بإغماء ).

**كـــانغ ليـــو :** (يسندها) يا شون ذى ! يا شون ذى!

**ليـــو مـــا ذى :** ماذا أصابك ؟

**كـــانغ ليـــو :** جـائعة وذاهلة ، فـأصـابهـا الدوار ! يا شـون ذى! يا شون ذى !

**بانـغ تاى جين :** أريد فتاة حية، لا أريد فتاة ميتة !

يسود الهدوء خشبة المسرح.

**الـزبـون الأول :** ( يلعـب الشطـرنج مع الزبون الثـانى ) مـات الشـاه انهزمت !

**يسـدل الستار**

# الهوامش

(١) الدُجّ أو السمنة: طائر مغرد. [المترجم]

(٢) الصُفَارِيّة: طائر أصفر الريش [المترجم]

(٣) جـــرت العـــادة فى الصين أن يتناول الناس الأكل والشـــراب فى السلطانيات. [المترجم]

(٤) صرار الليل: طويئر أشبه بالجراد. [المترجم]

(٥) مقر الحكومة فى عهد الصين الإقطاعية. [المترجم]

(٦) انظر معجم الإعلام التاريخية.

(٧) اسم حديقة إمبراطورية ضخمة تقع فى غرب مدينة بكين شيدت فى عام ١٧٤٤، وتعتبر من أشهر الحدائق التى تجسد فن بناء الحدائق التقليدى فى الصين. [المترجم]

(٨) تايلات : جمع تايل ومعناها وحدة وزن صينية ( أوقية صينية ) تعادل أونيس. [المترجم]

(٩) العقيق : حجر كريم أحمر يعمل منه الفصوص، يكثر باليمن وسواحل البحر المتوسط. [المترجم]

(١٠) عملة نقدية قديمة كانت تستخدم فى الصين الإقطاعية ويبلغ وزنها عادة كيلو جرام ونصف كيلو من الفضة. [المترجم]

(١١) اسم مقاطعة فى الصين. [المترجم]

(١٢) مرض التراخوما أو الحثار: يعنى التهاب الملتحمة الجيبى. [المترجم]

(١٣) الخـلال : عـود الأسنان الذى يتـخلل به ليـخـرج مـا بقى من المأكـول بينها. [المترجم]

(١٤) عـبـارة عن أعـواد صـغـيـرة على هيئـة مـعلقـة صـغـيـرة جـداً لتنظيف الأذن. [المترجم]

(١٥) يدل ذلك على أن هذه الطفلة للبيع حيث انتشرت تجارة الرقيق فى الصين القديمة. [المترجم]

## الفصل الثانى

الزمـــــــان : بعد مرور أكثر من عشر سنوات من تاريخ الفصل الأول. حرض الاستعمار، بعد وفاة يوان شى كاى، زعماء المجموعات العسكريين على إقامة حكم منفصل قوامه القوة العسكرية وإشعال نيران الحرب الأهلية بلا انقطاع (*).

المـــكـــــان : فى صباح يوم من أيام أوائل فصل الصيف.

الشخصيات : كما فى الفصل الأول.

وانغ شو فين، بائع صحف، كانغ شون ذى، لى سان، السيد تشانغ سى، كانغ دا لى، وانغ لى فا، السيد سونغ أر، لاو لين، لاجئون، سونغ إين ذى، لاو تشين، شرطى، وو شيانغ ذى، تسوى جيو فينغ، فرقة تنفيذ الأحكام من سبعة رجال، اثنان أو ثلاثة من نزلاء المقهى، ضابط جيش، تانغ تيه ذوى، ليو ما ذى، ثلاثة أو خمسة جنود.

أوصدت مقاهى مدينة بكين أبوابها تباعًا، لكن مقهى يوتاى كان قوى البنيان، ولذا كُتب له البقاء على قيد

(*) أنظر المقدمة التاريخية .

الحياة، وقد تغير شكله وأسلوب الخدمة داخله حتى يتفادى الإزالة من جراء الحملة العنيفة، لكن لا يزال الشاى يُباع فى الجزء الأمامى، أما الجزء الخلفى فتحول إلى نُزُل، واقتصر البيع فى الجزء الأمامى على الشاى وبذور البطيخ وغيرهما، أما سلطانية " المكرونة باللحم المفروم" وغيرها أصبحت اسماء تذكر فى الماضى. ونقل المطبخ إلى الخلف لتقديم الوجبات الغذائية للنزلاء فقط، كما طرأ أيضًا تغيير على أدوات المقهى: فأصبح هناك مناضد صغيرة مفروش فوقها قماش أخضر باهت ، وكراسى مصنوعة من الرُّوطان (١). وأزيلت الصور المعلقة على الحائط التى تشمل صورة الأشخاص "الثمانية المخلدين السكارى"، بالإضافة إلى صورة إله الثراء، وحل محلها إعلان سجائر شركة أجنبية تمثله امرأة فاتنة فى زى حديث. أما الورقة المكتوب عليها " لا تناقش شئون البلاد " مازالت معلقة على الحائط، وكُتبت بحروف كبيرة جداً، ويتقن وانغ لى فا كيف " يجارى الظروف والأحداث "، فلم ينقذ مقهى "يوتاى" فحسب، بل جعله فى ثوب جديد.

توقف العمل فى المقهى لعدة أيام نظرًا لأعمال الترميم فى الجهة الأمامية منه، ويستعد أن يفتح أبوابه غداً. ووانغ شو فين ولى سان مشغولان بإعداد وتجهيز

المقهى، فينقلان الكراسى وينظمان الموائد حتى يبدو المكان ملائمًا وجذابًا بقدر المستطاع.

تقعص وانغ شوفين شعرها على شكل كعكة مُحلاةً قليلاً، أما لى سان فمازال شعره على شكل ضفيرة تتدلى من مؤخرة الرأس.

يخرج طالبان أو ثلاثة من الخلف، يحيونهما ثم ينصرفون.

وانغ شوفين : (يسترعى انتباهها أن ضفيرة لى سان مقززة المنظر ) يا سيد سان، إن المقهى فى ثوب جديد، يجب عليك أن تقص ضفيرتك، حسنًا أم لا ؟

لى سان : الإصلاح! الإصلاح ! كلما زاد الإصلاح شعرنا باليأس !

وانغ شوفين : لا يمكن أن نقول ذلك ! أنظر يا سيد لى سان، لقد سمعت أن بعض المقاهى الكبرى أمثال دا تاى فى شى جى مين، وكوانغ تاى فى بى شين تشياو، وتيان تاى أمام مبنى قو، قد اقفلت أبوابها الواحدة تلو الأخرى! ولم يوجد سوى مقهى يوتاى مفتوح الأبواب ، فلماذا ؟ أليس بسبب أن زوجى يدرك الإصلاح ؟

لى سان : آه أتريدين أن تقولى إن عدم وجود الإمبراطور يعتبر دائمًا إصلاحًا كبيرًا ؟ لقد قاموا بإصلاح هذا وإصلاح ذاك، ولكن مازال يوان شى كاى مصراً على أن ينصب نفسه إمبراطوراً. وبعد وفاة يوان شى كاى، ساد

الاضطراب أنحاء البلاد، اليوم تندلع معارك المدفعية وتغلق المدينة أبوابها في اليوم التالى، الإصلاح ؟ آه ! أنا مُصرٌ على أن أحتفظ بضفيرتى الصغيرة حتى إذا عاد الإمبراطور إلى عرشه.

**وانغ شوفين :** يا سيد سان ، لا تكن عنيداً ! لقد أصلحوا بلدنا جمهورية الصين، ألا يجب علينا أن نتبع طريق الإصلاح ؟ أنظر، أليس مكاننا أكثر جمالاً ونظافة عما ذى قبل ؟ وأليس من الكرامة أن تقوم على خدمة زبائن نالوا قدراً كبيراً من التعليم والثقافة ؟ ولكن أنت مازلت تصر على الاحتفاظ بضفيرتك الصغيرة، كم هى مقززة للعين !

**لى سان :** يا مدام، أنت تشعرين بعدم الارتياح، وأنا أشعر بالسخط ؟

**وانغ شوفين :** أو ، أ أنت تشعر بالسخط ؟ لماذا ؟

**لى سان :** ألا تستطيعين أن تفهمى ؟ مقهى فى الأمام ونُزل فى الخلف، ولا يوجد سوى زوجك وأنا نقوم على خدمتهما، ولم نعد نستطيع أن نتحمل عبء الخدمة وحدنا !

**وانغ شون فين:** زوجى يتولى شئون المقهى، وأنا ألم أساعدك فى النهوض بأعمال النُزل ؟

**لى سان :** حتى إذا ساعدتنى ، فأنا أنظف أكثر من عشرين حجرة ، وأقوم بتجهيز الوجبات الغذائية لأكثر من عشرين شخصاً، فضلاً عن عمل الشاى وملء الترامس

بالماء الساخن ، وشراء الاحتياجات ، وإرسال الخطابات ، إسألى نفسك ، أليس ذلك كثيرًا جداً ؟ !

**وانغ شوفين :** يا سيد لى سان، أنت على صواب! ولكن فى مثل هذه السنوات التى يسودها الإضطراب والقلاقل ، إذا استطعت أن تحصل على عمل يجب أن تصلى لبُوذا![٢]
وعلينا أن نروض أنفسنا على الصبر والجلد !

**لى سان :** لا أستطيع أن أتحمل ذلك ! ونصيبى من النوم فى اليوم يتأرجح بين أربع أو خمس ساعات، وليس هناك إنسان من حديد !

**وانغ شون فين :** آه ! يا سيد سان ، فى هذه الأيام لا يشعر أحد بالراحة ! كن صبوراً، سينهى الابن الأكبر المدرسة الابتدائية هذا الصيف ، والابن الثانى سوف يكبر حالاً، وعندما يصبحان قادرين على مساعدتنا ، سنعطى أنفسنا قسطًا من الراحة، وأنت تمد لنا يد المساعدة منذ قبل وفاة والد زوجى ، وأنت صديق قديم، ونادل قديم ومخلص لنا !

يدخل وانغ لى فا من الفناء الخلفى، وأمارات الكآبة تعلو وجهه.

**لى سان :** نادل قديم ومخلص ؟ أكثر من عشرين عامًا ولم يزد أجرى ؟
وقد شمل الإصلاح كل شىء ، فلماذا لا تمتد يد الإصلاح إلى الأجور ؟

وانغ لى فــا : آه ! مـــاذا تعنــى ؟ إذا نـشــط عمــلنــا ؛ فـــــهـــل لا أستطيع زيادة أجرك ؟ كفى، سنبدأ العمل غداً وحتى يحالفنا الحـظ ، لاداعـى للشجار ، لقد اتفقنا على ذلك All Right ؟! (٣)

لى ســـــان : اتفقنا على ذلك ؟ ولكن إذا لم يشملنى الإصلاح، فلا أستطيع الاستمرار فى العمل !

نسمع صيحة في الخلف: " يا لى سان! يا لى سان ! "

وانغ لى فــا : السيد تسوى يناديك، اذهب بسرعة ! وإذا كان عندنا وقت سنناقش ذلك مرة أخرى.

لى ســـــان : آه !

وانغ شـــوفين : أوصدت المدينة أبوابها أمس، واليوم لا أعرف إذا كانت تغلق أبوابها أو لا، يا سيد سان، من الأفضل أن تترك شئون المقهى لزوجى، وتذهب لشراء بعض الخضروات، وخاصة بعض من الخضروات المملحة !

نسمع مرة ثانية صيحة من الخلف: " لى سان! لى سان ! "

لى ســـــان : حسناً، نداء فى الخلف، وحث على العمل فى الأمام، أقطع نفسى إلى قطعتين، حسناً أو لا ! ( يتجه غاضباً إلى الداخل ).

وانغ لى فــا : يا زوجتى، لقد تقدم به العمر، يجب عليك أن....

وانغ شـــوفين : يسيطر عليه الغضب معظم الوقت ! ولكن غضبه لا يمكن تبريره! إنى لا أستطيع أن أتحدث إليه مباشرة،

ولكن أقول لك الحقيقة : يجب أن نزيد عدد العاملين !

**وانغ لي فـــا :** زيادة العاملين تعني زيادة الأجور، ومن أين نحصل عليها ؟ وليس لديّ فرصة أن أمارس أعمالاً أخرى سوى إدارة المقهى، أنا أحمق وأبله !

سمع من بعيد صوتًا غير واضح للمدافع .

**وانغ لي فـــا :** اسمعي، أصوات مدافع أولاد الزنا مرة أخرى ! أنت تثيرين المتاعب، المتاعب ! إنها معجزة أن نبدأ العمل غداً ! يا لها من ورطة !

**وانغ شـــوفين :** أدركت أنه لا داعي أن تتحدث بهذا الهراء ، أأنا السبب أن تطلق المدافع نيرانها ؟

**وانغ لي فـــا :** لا تتكلمي بحماقة مرة ثانية ، اذهبي إلى عملك ! هه !

**وانغ شـــوفين :** إذا لم يقتلنا الإرهاق عاجلاً أم آجلاً، فإن نيران المدافع ستحصد أرواحنا ونظرتي إلى الأمور صائبة !

( تتجه صوب الداخل في خطوات وئيدة )

**وانغ لي فـــا :** ( ثابت الجنان بعض الشئ ) يا زوجتي، لا تخافي، كم من مرة أطلقوا النيران ولم يصيبنا أذى ألبتة، إن مدينة بكين تقع في الأرض المقدسة !

**وانغ شـــوفين:** يا قلبي، الأرض المقدسة دائما في حلقي وعيني ! سأعطي للسيد سان النقود لشراء الخضروات.

(تنصرف)

يقف أمام الباب لفيف من اللاجئين يضم رجال ونساء يشحذون .

لاجــــــــىء : يا صاحب المقهى، أعمل عملاً طيبًا، أعطف وأشفق عليَّ!

وانغ لى فــا : انصرف، لا يمكن أن أعطيك شيئًا اليوم، لم نبدأ العمل بعد !

الــلاجــىء : اعطف وأشفق عليَّ ! إننا جميعًا لاجئون !

وانغ لى فــا : لا تضيع وقتك ! إنى لا أستطيع أن أعول نفسى !

يدخل شرطى.

الشــــرطى : اتحرك ! أخرج من هنا ! بسرعة !

ينصرف اللاجئون.

وانغ لى فــا : ماذا حدث ؟ يا سيد ليو! هل المعركة عنيفة ؟

الشــــرطى : عنيفة ! عنيفة جدًا ! وإذا لم تكن عنيفة ، فمن أين حضر هؤلاء اللاجئون ! وقد صدرت الأوامر أن تمدنا بأربعين كيلو جرامًا من الخبز فى تمام الساعة الثانية عشرة ! وذلك حتى يتوفر لدى جنود المدينة المؤن الجاف ويقدرون أن يخوضوا غمار المعركة !

وانغ لى فــا : أنت ذكى وحكيم، أقوم هنا بتجهيز الوجبات الغذائية للنزلاء فقط، ولم نعد نبيع الطعام كما فى الماضى، ولم نبدأ العمل من جديد؛ فلا تقل أربعين كيلو جرامًا من الخبز ، فلا أستطيع أن أمدكم حتى ولو بنصف كيلو جرام !

الشــــرطى : لديك عذرك، وأنا عندى الأمر، ففكر ماذا تعمل ! (يوشك أن ينصرف).

وانغ لى فـــا : انتظر ! أنت تعرف أنى فى الحقيقة لم أبدأ العمل بعد ! وعندما نبدأ العمل سنزيد من أعبائك! حسنًا ، تشترى علبة شاى ! (يعطيه نقوداً ) خلصنا من هذا المأزق، وأنا لا أنسى لك هذا الجميل !

الشـــرطى : ( يأخذ النقود ) سأحاول أن أفعل شيئًا من أجلك، ولكن لا أوعدك بشىء !

يقتحم المدخل ثلاثة أو خمسة جنود يرتدون ملابس عسكرية رثة، ويحملون البنادق على أكتافهم.

الشـــرطى : السادة الجنود، فحصت الرخصة هنا توا، ولم يبدأ العمل بعد.

الجـنـود : أنت أحمق (٤) !

الشـــرطى : يا معلّم وانغ، أعطى الجنود نقوداً ريما يحتسون الشاى فى مكان آخر !

وانغ لى فـــا : أيها الجنود، أنا آسف حقًا، لم نبدأ العمل حتى الآن، وإلا دعوت سيادتكم للجلوس هنا، فيشرفنى ذلك ! (يمرر النقود إلى الشرطى).

الشـــرطى : (يعطى النقود للجنود ) حسنًا، سامحوه، إنه لا يستطيع حقًا أن يقوم على خدمتكم.

الجـنـود : لعنة الله عليك (٥) ! من يريد نقوداً ورقية ؟ نريد عملات فضية !

وانغ لى فـــا : أيها الجنود، لا استطيع أن أدبر لكم العملات الفضية ؟

الجـنـود : أنت أبله ! اضرب ابن الزنا !

الشـــــرطـى : بسرعة ! زدّ النقود !

وانـغ لى فـــا : (يخرج كل ما فى جيبه من نقود ) أيها الجنود، هذا كل ما معى، وإذا كان معى مليمًا آخر أحرقوا المقهى ! (يعطيهم النقود).

الجـــنـــود : لعنة الله عليك ! ( يأخذون النقود ويسرقون سَّماطين[٦] جديدين وينصرفون).

الشـــــرطـى : حسنًا، أنقذتك من كارثة مروعة ! نهايتك كانت محتومة إذا لم ينصرفوا، ولا يبقى هنا شىء ولو حتى سلطانية شاى واحدة.

وانـغ لى فـــا : وأنا لا أستطيع أن أنسى عطفك أبدًا !

الشـــــرطـى : ولكن ألا يجب عليك أن تمنحنى مـزيداً من النقـود كتذكار لهذا العطف ؟

وانـغ لى فـــا : طبعًا ! أنت ذكى ، وأنا أحمق ! ولكن فتشنى ، لا يوجد فى جعبتى عملة نحاسية واحدة فعلاً ! ( يفتح الجاكت ليفتشه ) فتشنى ! فتشنى !

الشـــــرطـى : لا ألح عليك ! سأراك غداً، ولا أحـد يعرف كيف تهب العواصف وتهطل الأمطار غداً ! ( ينصرف ).

وانـغ لى فـــا : على مهلك ! ( يرى الشرطى قد خرج، يضرب الأرض بأخمص قدمه ) يا ابن الزنا ! الحرب ، الحرب ، اليوم حرب ، وغداً حرب، الحرب دائمًا، الحرب من أجل ماذا؟

يدخل تانغ تيه نوى ، مازا ل كما هو صغير الجرم قذرًا، ويرتدى عباءة حريرية من طبقتين.

تانغ تيه نوى : يا معلّم وانغ ! حضرت لأهنئك !

وانغ لى فا : ( لايزال غاضبًا ) يوه ، يا سيد تانغ ؟ لا أستطيع أن أقدم شاى مجانًا مرة أخرى! ( ينظر إليه من أعلى رأسه إلى أخمص قدمه، تعلو وجهه أمارات الضحك ) هندامك لا بأس به ! ترتدى ملابس حريرية !

تانغ تيه نوى : أفضل بعض الشيء من ذى قبل ! أشكر ظروف هذه السنوات !

وانغ لى فا : مازالت هذه السنوات تستحق الشكر ! كلامك لا يتفق مع الواقع !

تانغ تيه نوى : كلما زاد الاضطراب ، أصبح عملى أكثر رواجًا ! وأصبح الموت والحياة مسألة حظ. وبالطبع كثيرون يريدون أن يعرفوا حظوظهم وقراءة ملامح وجوههم ! أليس كذلك ؟ ما رأيك ؟

وانغ لى فا : Yes (٧) ، أعترف بذلك !

تانغ تيه نوى : سمعت أن الجزء الخلفى تحول إلى نزُل ، أريد أن أؤجر حجرة، حسنًا أم لا ؟

وانغ لى فا : يا سيد تانغ ، مازلت تمارس هوايتك وتشرب الأفيون، وعندما تقيم عندى أخشى.....

تانغ تيه نوى : لقد تخليت عن تعاطى الأفيون !

وانغ لى فا : حقًا ؟ تريد أن تصبح ثريًا حقًا !

تانغ تيه نوى : أصبحت أشم " الهيروين ". ( يشير إلى إعلان

السجائر المعلق على الحائط ) انظر، سجائر هادامين طويلة وذات نكهة طيبة، ( يخرج سيجارة على سبيل التجربة ) اضغط بعضًا من التبغ، ثم ضع " الهيروين " بدلاً منه. سجائر الإمبراطورية البريطانية و" هيروين " اليابان، دولتان قويتان تقدمان خدمة عظيمة لىّ، أليس ذلك حظًا سعيدًا ؟

وانغ لى فـــا : حظ سعيد حقًا ! ولكن ليس عندى مكان شاغر، وعندما تفرغ حجرة سأحتفظ بها لك !

تانغ تيـه نوى : أنت تحتقرنى، تخشى أنى لا أستطيع أن أدفع الإيجار!

وانغ لى فـــا : ليس ذلك إطلاقًا ! إننا جميعًا نعمل هنا منذ زمن طويل، من يستطيع أن يحتقر الآخر؟ وكلامى هذا صادر من سويداء قلبى، ألا تشعر بذلك ؟

تانغ تيـه نوى : كلامك معسول أكثر منى !

وانغ لى فـــا : ولكن لن أتحدث إليك بكلام معسول ، أنا مخلص لك ! ألم تشرب الشاى مجانًا طوال العشر سنوات الماضية؟ فكر جيدًا ! أنت الآن فى وضع أفضل ، هل فكرت أن تدفع لىّ ثمن الشاى ؟

تانغ تيـه نوى : سأدفع الحساب لك كاملاً حالاً، الأمر ليس إلا بعض عملات نقدية قليلة ! (يقذف بهذه الكلمات لينقذ نفسه من الوضع الحرج وينصرف ).

يصيح فى الشارع بائع الصحف قائلاً: " اقرأ أخبار معركة تشانغ شين دين" [٨]، اشترِ الصحيفة واقرأ ،

اقرأ أخبار معركة تشانغ شين دين !" يمد بائع الصحف رأسه داخل المقهى ".

بائع الصحف : يا معلّم، ألا تشترى الصحيفة وتقرأ أخبار معركة تشانغ شين دين ؟

وانغ لى فا : هل هناك أخبار عن توقف الحرب ؟

بائع الصحف : ربما ، اقرأ بنفسك !

وانغ لى فا : انصرف ! لا أقرأ الصحف !

بائع الصحف : يا معلّم، إذا قرأت أم لا ؛ فالحرب مستمرة ! ( يخاطب تانغ تيه ذوى ) يا سيد، أأنت مهتم بقراءة الصحف ؟

تانغ تيه ذوى : لست مثله ( يشير إلى وانغ لى فا ) أنا مهتم جداً بشئون البلاد ! ( يأخذ صحيفة، وينصرف دون أن يدفع ثمنها ).

بائع الصحف يطارد تانغ تيه ذوى.

وانغ لى فا : ( يناجى نفسه ) تشانغ شين دين! تشانغ شين دين ! هذا المكان ليس بعيداً من هنا! ( يصيح ) يا سيد لى سان ، يا سيد لى سان ! من الأفضل أن تذهب مبكراً لشراء الخضروات ، وإذا انتظرت لحظة، فسوف يوصدون أبواب المدينة ولا تستطيع أن تشترى شيئًا ! هـه ! ( يكتشف أن لا يوجد مجيبا لندائه، فيهرول غاضباً إلى الداخل ).

يدخل السيد تشانغ سى حاملاً دجاجتين وحزمة لفت مخلل.

السيد تشانغ سى : يا معلّم وانغ !

وانغ لى فــــا : من ؟ آه ، السيد سى ! ماذا تعمل هذه الأيام ؟

السيد تشانغ سى : أبيع الخضروات ! وأعتمد على قوتى من أجل كسب قوت الحياة ! اليوم سيطرت فوضى عارمة على جميع منشآت المدينة، وكان من الصعب أن تشترى خضروات، وذهبت فى كل مكان حتى تمكنت أخيراً من شراء دجاجتين وكاتيات[٩] قليلة من اللفت المخلل. سمعت أنك ستبدأ العمل غداً. ولذا اشتريت تلك الأشياء لك، ربما تحتاجها !

وانغ لى فــــا : شكراً جزيلاً لك ! وصلت إلى طريق مسدود هنا !

السيد تشانغ سى : ( ينظر يمنة ويسرة ) حسنًا ! رائع جداً ! قل إنك اتخذت الترتيبات والاستعدادات لبداية العمل من جديد ! المقاهى الكبرى كلها أغلقت أبوابها، وأنت لديك القدرة على التغيير إلى وضع أفضل.

وانغ لى فــــا : لا تمدحنى ! لقد بذلت قصارى جهدى، ولكن أخشى الفوضى المزمنة التى تسيطر على البلاد.

السيد تشانغ سى : الناس أمثالى لا يحق لهم أن يجلسوا على هذا المقهى ! يدخل السيد سونغ أر مرتديًا أسمالاً باليه، ومازال يحمل قفص الطيور.

السيد سونغ أر : يا معلّم وانغ ، سمعت أنك تبدأ العمل غداً ، جئت لأهنئك ! ( يرى السيد تشانغ سى ) يا سلام ! السيد سى ، أتوق إلى رؤيتك !

**السيد تشانغ سي :** كيف حالك يا أخي ؟

**وانغ لي فـــا :** اجلسوا جميعًا !

**السيد سونغ أر:** يا معلّم وانغ ، كيف حالك، وحال زوجتك ؟ وحال الأولاد؟ وكيف أحوال عملك ؟

**وانغ لي فـــا :** ( مجيبًا على أسئلته ) الجميع بخير ! شكرًا لك ! (يأخذ الدجاج والخضروات المملحة) يا سيد سي، كم الثمن ؟

**السيد تشانغ سي :** كما يتراءى لك، أدفع ما تراه محقًا !

**وانغ لي فـــا :** أجل ! أعد لكما إبريقًا من الشاي ! ( يأخذ الأشياء ويتجه إلى الداخل ).

**السيد سونغ أر:** يا سيد سي، كيف حال عملك ؟

**السيد تشانغ سي :** أبيع الخضروات الطازجة ! بعد أن ألغيت رواتبنا، واضطررت إلى العمل لأوفر أسباب الحياة ، أليس كذلك ؟ يا سيد أر، وماذا عن أحوالك ؟

**السيد سونغ أر:** كيف أنا ؟ أريد أن أبكي كثيرًا ! ألم ترى الملابس المهلهلة التي أرتديها ؟ هل أنا أشبه البشر ؟

**السيد تشانغ سي :** يا أخي، أنت تستطيع أن تكتب وتحسب، فكيف لا تستطيع أن تحصل على عمل ؟

**السيد سونغ أر:** طبعًا، لا يريد أحد أن يموت جوعًا دون أن يفعل شيئًا ! ولكن من يريدنا نحن الذين ننتمي إلى قومية مان ! وعندما أفكر في ذلك، أجد السبب ربما يكمن في أن

إمبراطورية تشينغ الكبرى سيئة ، ولكن الجوع ينهشنى منذ أن تأسست جمهورية الصين !

**وانغ لى فــا :** (يعود حاملاً إبريق الشاى، يعطى السيد تشانغ سى النقـود) لا أعرف كم دفـعت من النقـود، وأعطيك هذا المبلغ الضئيل !

**السيد تشانغ سى :** ( يـأخذ النـقود ويدسـها فى الجاكت دون أن يعدها ) لا يهم !

**وانغ لى فــا :** يا سـيـد أر، ( يشـيـر إلى قـفص الطيـور ) ألا يزال الصُفَارِيَّة ؟ [١٠] هل صوته جميل ؟

طبعًا ، لا يزال الصُفَارِيَّة ! أنا جائع ، ولكن لا أستطيع أن أترك الطائر يموت جوعًا ! ( روحه المعنوية مرتفعة بعض الشئ ). أنظر، أنظر بإمعان ، ( يفتح الغطاء) كم هو جميل! كلما نظرت إليه ، لا أستطيع أن أتحمل التفكير فى الموت !

**وانغ لى فــا :** يا سيد سونغ أر ! لا داعى أن تتحدث عن الموت ! وإذا كنت تعيش أيامًا شاقة هكذا ، إلا قدماك سوف تقودك إلى طريق السعادة !

**السيد تشانغ سى :** يا أخى ، هيا بنا ننصرف ! ونبحث عن مكان نشرب فيه قليلاً من الخمر ! وإذا شربنا حتى الثمالة فهذا يكفى أن يُذهب كثيراً من الهموم والأحزان ! يا معلّم وانغ، أريد أن أدعوك ولكن النقود لا تكفى !

**وانغ لى فــا :** وأنا من الصعب أن أترك المقهى ، ومن ثم لا أصطحبكما !

يخرج السيد تشانغ سى والسيد سونغ أر ، بينما يدخل سونغ إين ذى و ووشيانغ ذى. مازال يرتدى كل منهما عباءة رمادية ، وطرف الكُمّ المطوق المعصم ضيق مسايرة للموضة، وفوقها جاكت أسود أنيق.

**السيد سونغ أر :** ( يراهما بوضوح ، فيحييهما على غرار الطريقة القديمة بصورة لا إرادية ؛ حيث تميل يده اليمنى إلى الأمام ، ويثنى القدم اليسرى إلى الأمام أيضًا ، ويحنى القدم اليمنى قليلاً ) أنتما السيدان هنا !

يبدو أن وانغ لى فا تأثر بالسيد سونغ أر، فيحييهما بنفس الطريقة، ويجعلهما فى حيرة من أمرهما.

**سونغ إين ذى :** ما هذا ؟ تأسست الجمهورية منذ عدة سنوات، وكيف مازلت تركع وتنحنى ؟ ألم تعرفان التحية بانحناء الظهر؟

**السيد سونغ أر:** عندما رأيتكما ترتديان العباءتين الرماديتين، جال بخاطرى ماكان يحدث فى عهد أسرة تشينغ السابقة ! فحييتكما على منوال الطريقة القديمة !

**وانغ لى فـا :** وأنا كذلك ! شعرت أن الطريقة القديمة للتحية أكثر احترامًا من انحناء الظهر.

**وو شيانغ ذى :** آها آها آها ! يا سيد سونغ أر، لقد ألغى راتبكما ، أما نحن الذين نرتدى العباءة الرمادية نتقاضى رواتب ثابتة ، آها آها آها ! ( ينظر إلى السيد تشانع سى )

**السيد تشانغ سى :** أأنت السيد تشانغ سى ؟

أجل ، نظرتك ثاقبة ! لقد ذكرت هنا عام ١٨٩٨ أن " إمبراطورية تشينغ على وشك الإنهيار "، ومن ثم أنتما قبضتا عليَّ وقضيت أكثر من عام داخل جدران السجن!

**سونغ إين ذى:** أنت تتمتع بذاكرة قوية ! ولكن أليست حياتك سعيدة الآن ؟

**السيد تشانغ سى :** شكرًا لك. منذ خروجى من السجن قبل حلول عام ١٩٠٠ بفترة وجيزة، اشتركت فى انتفاضة يى خه توان (*) لمساعدة الأسرة الحاكمة لطرد الغزاة الأجانب، وبعد جهود مضنية، إنهارت إمبراطورية تشينغ فى النهاية ويجب أن تنهار فعلاً ! أنا أنتمى إلى قومية مان، ولكن يجب أن أقول الحقيقة ! والآن أنهض كل يوم فى الفجر وأتجول لأبيع الخضروات الطازجة، وعندما ينتصف النهار أكون أنتهيت من البيع. أعتمد على عضلاتى لكسب قوت حياتى، وأتمتع بالقوة والصحة ! وأنا مستعد لخوض معارك أخرى ضد الأجانب إذا قاموا بالهجوم علينا مرة ثانية ! أنا من قومية مان، وأبناء قومية مان صينيون أيضًا ! أيها السيدان، كيف حالكما ؟

**وو شيانغ ذى :** نحن تابعون دائمًا ! عندما يحكم الإمبرطور ننفذ أوامر الإمبراطور، وعندما تولى السلطة الرئيس يوان شى

(*) أنظر قاموس الأعلام التاريخية .

كاى، ننفذ أوامر الرئيس ؛ وفى هذه الأيام ، يا سونغ

سونغ إين ذى: إين ذى كيف نقول ؟

السيد تشانغ سى: نقوم بخدمة من يملأ بطوننا بالطعام ؟

السيد سونغ أر: حتى ولو كان أجنبيًا ؟

وو شيانغ ذى : يا سيد سى ، من الأفضل أن نمشى !
أقول لك يا سيد تشانغ سى : إن الذين نعمل من أجلهم يعتمدون على المساعدة الأجنبية ! وبدون المدافع والبنادق الأجنبية، كيف تندلع المعارك ؟

السيد سونغ أر: أنت على حق ! حقًا ! يا سيد سى، هيا بنا نذهب !

السيد تشانغ سى : إلى اللقاء، أتمنى لكما الترقية الوظيفية وتكونان من الأثرياء ! ( ينصرف مع السيد سونغ أر ).

سونغ إين ذى : يا له من إنسان أحمق !

وانغ لى فا : ( يصب الشاى ) السيد تشانغ سى عنيد ومتصلب ، لا تعيره اهتمامًا ! ( يقدم الشاى ) أيها السيدان ، أشربا الشاى عملته توا.

سونغ إين ذى : إلى أى فئة ينتمى الذين يقطنون النُزُل ؟

وانغ لى فا : السواد الأعظم منهم من طلاب الجامعة، وهناك أيضًا بعض الأصدقاء، وعندى دفتر لتسجيل الأسماء، وأقدم بين الفينة والفينة تقريرًا إلى " قيادة الشرطة " أأحضره ، لتراه ؟

وو شيانغ ذى : لا نرى الدفتر، وإنما نرى الأشخاص !

وانغ لى فا : لا داعى أن تراقبهم ، وأنا أضمن أنهم أشخاص موثوق فيهم !

سونغ إين ذى : لماذا تحب أن تؤجر النُّزُل للطلاب ؟ أليس الطلاب غير أمناء !

وانغ لى فــــا : فى هذا العصر ، المسئولون يذهبون إلى أعمالهم اليوم، ويفصلون غداً، وكذلك التجار يفتحون الحوانيت اليوم، ويغلقون الأبواب غداً ، ومن ثم لا يعتمد عليهم ! ولا يوجد سوى الطلاب يستطيعون أن يدفعوا الإيجار كل شهر، وإذا لم يملكوا النقود لا يمكن لهم الالتحاق بالجامعة ! فكر ! أليس ذلك تفكيراً صائباً ؟

سونغ إين ذى : الجميع يصفوك بالدهاء ! أنت صائب التفكير ! والآن لا نستطيع أن نتقاضى الرواتب فى الوقت المحدد !

وو شـينغ ذى : أجل ، ولذا كل يوم نعتقل شخصاً، لنحصل على الإعانة المالية.

سونغ إين ذى : ولذلك نعتقل كل من هب ودب ، ولا نطلق سراح البرئ ارتجاليًا، ونمارس الاعتقال لنحصل على الإعانة المالية! هيا بنا نلقى نظرة على النُّزل !

وو شـينغ ذى : هيا بنا نمشى !

وانغ لى فــــا : يا سيدى، يا سيدى ! اطمئن، أنا متأكد لا يوجد هناك خارج عن القانون !

سونغ إين ذى : إذا لم نعتقل بعض الأشخاص، فمن يعطينا الإعانة المالية؟

وو شيـانغ ذى : المعلم وانغ لا يرغب أن نفتش النُّزُل، المعلّم وانغ يجب أن يفكر فى طريقة لنا ! حتى نحافظ على ماء وجهه ! أليس كذلك ؟ يا معلّم وانغ !

وانغ لى فـــا : أنــا ....

سـونغ إين ذى : عندى فكرة بسيطة هى بوضوح أن ترسل إلينا ، حسب التقويم السنوى الغربى، مبلغًا من المال كل أول شـهر، وذلك المبلغ....

وو شيـانغ ذى : وذلك المبلغ الضئيل !

سـونغ إين ذى : حسنًا، ترسل لنا ذلك المبلغ الضئيل، وبذلك تريح نفسك وتريحنا أيضًا !

وانغ لى فـــا : ما مقدار ذلك المبلغ الضئيل ؟

وو شيـانغ ذى : نحن أصدقاء قدامى ، أفعل كما يتراءى لك ! أنت ذكى، وهل تسـتطيع ان تجـعل مـا ترسله تـعبـيرًا عن شكرك عمل يتصف بالجحود ؟

لـى ســـــان : (يظهر من الفناء الداخلى حـاملاً سلة المشتريات) أوه، يا سيداى ! (يحييهما) أخشى أن تغلق المدينة أبوابها اليوم أيضًا ! (يتجه نحو الخارج دون أن يسمع إجابة). يندفع إلى الداخل طالبان أو ثلاثة.

الــطــلاب : يا سـيد سـان ، من الأفـضل لا تخـرج، إنهم يعـتـقلون الرجال فى الشـارع ويرحلونهم إلى الجيش ! ( يتجـهون إلى الفناء الداخلى ).

لـى ســـــان : ( لا يزال ينطلق إلى الخـارج ) لا بـأس يعتقلنى الجيش، الحياة مريرة فى كل مكان !

يهرول ليو ما ذى إلى الداخل كأنه فقد صـوابه، ويصدم لى سان.

لـى ســــــان : ماذا حدث ؟ الفزع يسلبك عقلك !

ليــو مــا ذى : ( يحـاول أن يلتـقط أنفـاسـه ) لا ، لا ، لا تخـرج ! كنت على وشك أن يعتقلونى!

وانـغ لى فـــا : يا سيد لى سان، انتظر برهة !

لـى ســــــان : ولكن كيف نعد طعام الغداء ؟

وانـغ لى فـــا : أخبر الناس أن طعـام الغداء يقتصر على الخضروات المملحة والأرز، وليس فى الإمكان أفضل من ذلك ! وفى المساء يتعشون دجاجتين !

لـى ســــــان : حسنًا ! ( يرجع )

ليــو مــا ذى : يا سلام ، الخوف يكاد يقتلنى.

سونغ إين ذى : أنت لا تعمل شيئًا فى حياتك سوى بيع وشراء الفتيات!

ليــو مــا ذى : أناس يبيعون ، وأناس يشترون، وأنا لست إلا وسيطًا بينهم، أتستطيع أن تلومنى ؟ ( يتـجـرع ثلاثة فناجين شاى من فوق المائدة ).

وو شيـانغ ذى : ولكن أحذرك، منذ عـهد أسـرة تشينـغ ونحن مـهتمـون باعتقال الثوار، ولا نعير اهتمامًا كبيرًا لتجار الرقيق ومختطفى النساء وغيرها من الأفعال الشائنة، ولكن إذا كنــت تـريد أن تمـارس تجــارتـك أمـام أعيننا، فإننا لا نسـتطيع مـرة ثانيـة أن نفتح عينًا ونصفق أخرى، كـما أن أمثالك عندما يدخلون هنا يجب أن نحبسـهم فى برميل التبول !

ليــو مــا ذى : يا سـيدى ، لا تتحـدث بهذه اللهجة ! ألم أعش على

شـفـيـر الموت جـوعًـا ؟ وكنت أخـادم نبـلاء " الأعـلام الثمانيـة " [11]، وخصيان القصر. وما يسمى بالثورة، جـعلتنى أعـيش فى ضـائقـة ! القـادة الكبـار يريدون ضـرائر تتمـيـز بالقـدرة على غناء الأوبرا أو تكون من نجـوم التـمـثـيل، ويدفـعـون ثلاثة أو خـمـسـة آلاف من العملات الفضية ! وأنا أعمل باجتهاد وليس عندى من تتمتع بتلك المميزات ! وماذا تعتبر العمل الضئيل الذى أقوم به ؟

سـونـغ إين ذى : أنت وقح ولا تقول الحقيقة، وأفضل طريقة لك أن تُحبس فى برميل التبول !

ليـــو مـــا ذى : لا يهم، اليـوم لا أسـتطيع أن أقـدم لكمـا هدية، ولكن سوف أقدمها فيما بعد بالتأكيد !

وو شيـانغ ذى : تعـقـد بعض الصـفـقـات اليـوم، وإلا الاضطرابات تعم الشوارع ولا تستطيع أن تغادر المنزل !

ليـــو مـــا ذى : لا يهم ! لا يهم !

سـونـغ إين ذى : فمك لا يعرف الطريق إلى الحـقـيقـة ! وإذا لم تخـبـرنا بالحـقيقـة فتلحق بك الأضرار ! يا معلّم وانغ ، نذهب لنقـوم بالدورية ، ولا تنس أول كل شـهـر طبـقًـا للتـقـويم السنوى الغربى !

وانـغ لى فـــا : إذا نسيت اسمى، لا يمكن أن أنسى ما اتفقنا عليه !

وو شيـانغ ذى : اتفقنا ! ( ينصرف مع سونغ إين ذى ).

وانـغ لى فـــا : يا سيد ليو ، أعتـقـد أنك شـربت بما فـيـه الكفـاية من

الشاى، أليس كذلك ؟ ويجب أن تخرج للتنزه فى الخارج!

ليـو مـا ذى : اهتم بنفسك، أنتظر هنا صديقين.

وانغ لى فـا : أحب أن أبصرك بالأمور، من اليوم فصاعداً لا تستطيع أن تؤدى أعمالك هنا، هذا المكان قد تم إصلاحه على نمط الطراز الحديث !

تطل كانغ شون ذى برأسها، حاملة صُرة صغيرة، ويتقدمها كانغ دا لى.

كـانغ دا لى : أهذا المكان ؟

كـانغ شن ذى : نعم هذا المكان ، ولكن كيف أصبح مختلفًا ؟ ( تدخل وتقوم بمسح شامل للمكان ، وتقع عيناها على ليو ما ذى ) يا دالى، ادخل، نعم هنا !

كـانغ دا لى : أهذا المكان حقًا ؟ يا ماما !

كانغ شون ذى : لم نخطئ ! هو كان هنا، لا ريب فى ذلك !

وانغ لى فـا : تريدين من ؟ تبحثين عن من ؟

كانغ شون ذى : ( لا تجيب وتهرول مباشرة إلى ليو ما ذى ) يا ليو ما ذى، أتتذكرنى؟ (تريد أن تضربه، ولكن لا تقدر أن تمد يدها، تهزه بعنف ) أنت، أنت، أنت..... (تريد أن تلعنه، ولكن تغلبها العاطفة أيضًا ).

ليـو مـا ذى : أنت المرأة التى سببت لى المتاعب دون سبب ؟

كانغ شون ذى : (تصارعه) دون سبب ؟ أنت، أنظر بدقة من أنا ؟ أى رجل يصبح من إحدى مفاسدك ، وتمارس دائمًا الأعمال العفنة لتملأ بطنك بالطعام ؟ يا ابن الزنا !

وانغ لى فـــا : أيتـهـا الأخت الكبـرى ، إذا كـان عندك مشكلة دعـينا نعرفها !

كانغ شون ذى : أأنت صـاحب المقـهى ؟ هل نسـيت ؟ ألم تتـذكـر زوجـة المخصى التى اشتراها منذ أكثر من عشر سنوات ؟

وانغ لى فـــا : أنت، أنت زوجة المرأة التى اشتراها بانغ تاى جين...

كانغ شون ذى : إنه هو ( تشيـر إلى ليـو مـا ذى ) الذى عـقـد الصـفـقـة الرابحة، وجئت اليوم لأصفى الحساب معه ! ( تريد أن تضربة مرة أخرى، ولكن مازالت عاجزة).

ليـو مـا ذى : (يتوارى خشية أن يراه أحد) لا تجترئى ! لا تجترئى ! أنا رجل ولا أتشـاجر مـع امرأة ! (يلقى بـهذه الكلمات ويتـراجع إلى الوراء) أنا، أبحث عن رجل يحكم بيننا ! (يهرول إلى الداخل).

وانغ لى فـــا : ( يخـاطب كـانغ شـون ذى ) أيتـهـا الأخت، اجلسى واحكى لىّ بالتفصيل ! ماذا عن بانغ تاى جين ؟

كانغ شون ذى : ( تجلس وتلتقط أنفاسـها ) لقد مات. تركه أولاد أخيه يموت جـوعًا، وكـان لايزال من الأثرياء عندما تأسـست الجـمـهورية ، ولكن فقد قوته، ومن ثم عذبه أولاد أخيه، كما طردونا شر طردة عندما مات، ولم يعطوا لنا شيئًا ولو حتى لحاف !

وانغ لى فـــا : وهذا، هذا هو.....؟

كانغ شون ذى : ابنـى !

وانغ لى فـــا : ابنك.....؟

كانغ شون ذى : اشتراه أيضًا ، ليكون ابنًا للمخصى.

كـــانغ دا لى : ماما ، هل باعك والدك حقًا فى هذا المكان ؟

كانغ شون ذى : نعم يا حبيبى ! فى هذا المكان، وقد أصابنى الإغماء بمجرد دخولى هنا، ولا أنسى هذا المكان حتى الرمق الأخير !

كـــانغ دا لى : ولكن أنا لا أتذكر أين باعنى والدى !

كانغ شون ذى : لأنك كنت وقتئذ لا يزيد عمرك عن عام واحد، وقمت بتربيتك حتى كبرت، والآن تعتبر ابنى، أليس كذلك ؟ يا حبيبى !

كـــانغ دا لى : ذلك الملعون، يقرصك ويلوى ذراعك ويعضك، كما يحرقنى بأسياخ الأفيون الصغيرة ! إنهم كثيرون، ونحن لا نستطيع أن نقهرهم ! ولولا وجودك يا ماما، لضربونى حتى الموت !

كانغ شون ذى : نعم ، إنهم كثيرون ، ونحن مخلصون ! انظر ، انظر مثلا إلى ليو ما ذى، أريد أن أعضه حتى ينزف دمًا، ولكن، ولكن ، لا أستطيع حتى أن أمد يدى لأضربه !

كـــانغ دا لى : ماما، انتظرى حتى أشب عن الطوق وأساعدك فى ضربه ! حتى يعرف من هى أمى الحقيقية، إذن أنت أمى الحقيقية !

كانغ شون ذى : حسنًا ! حسنًا ! نحن معًا إلى الأبد ، أنا أبحث عن عمل ، وأنت تذهب إلى المدرسة ! ( تحملق برهة كأنها مخدرة ) يا معلّم وانغ ، أشعر أن مصيرنا مشترك منذ

أن بيعت فى هذا المكان ، أتستطيع أن تساعدنى فى الحصول على عمل لا يهم إذا مت جوعًا ، ولكن من المستحيل أن أترك ذلك الولد الغرير العاجز يلتهمه الجوع !

تدخل وانغ شو فين وتقف فى الخلف مستمعة.

وانغ لى فا : ماذا تستطيعين أن تعملى ؟

كانغ شون ذى : غسيل الملابس ، والخياطة ، ورتق الملابس ، وإعداد الطعام ، وأى شئ آخر من هذا القبيل أنا امرأة ريفية ، وأتحمل العمل الشاق، ومادمت لا أكون زوجة للمخصى مرة ثانية ، فكل شئ مر يصبح حلو المذاق !

وانغ لى فا : وكم أجرك ؟

كانغ شون ذى : كل ما أحتاجه ثلاث وجبات كل يوم، ومكان للنوم، ومصاريف دالى المدرسية!

وانغ لى فا : حسنًا، سأبدأ البحث لك عن فرصة عمل ! تعرفين أننى لم أنسَ حتى يومنا هذا ما حدث منذ أكثر من عشرة أعوام، وكلما تذكرته يكدر صفو حياتى !

كانغ شون ذى : ولكن أين أذهب أنا وابنى الآن ؟

وانغ لى فا : اذهبى إلى الريف وابحثى عن والدك !

كانغ شون ذى : والدى ؟ لا أعرف إذا كان مات أو مازال حيًا، وإذا كان حيًا، فلا أستطيع أن أبحث عنه أيضًا ! إنه يحتقر البنات، ولذا يتعين علىَّ ألا أمنحه لقب والدى !

وانغ لي فـــا : من الصـعب أن أجـد لك عـمـلاً توًا، وإن كـان ذلك أمـرًا صعبًا !

وانغ شـو فين : ( تأتي من مكانها ) طالما تجيد عمل كل شيء ولا تريد نقودًا كثيرة ، فأنا أبقي عليها هنا !

وانغ لي فـــا : أنت ؟

وانغ شـو فين : ألم أدر نصف شـئـون المقـهى ؟ أليس الإرهاق يكاد يقتلني أنا والسيد لي سان من كثرة العمل ؟

كانغ شون ذي : يا معلّم وانغ، أعطني هذه الفرصة ! وإذا كنت لا أصلح للعمل، قل كلمتك وأنا أترك الشغل !

وانغ شـو فين : يا أختي، تعالي معي !

كانغ شون ذي : لقد بيعت في هذا المكان، والآن أعتبره بيتي الجديد ! تعال معي يا دا لي !

كـــانغ دا لي : يا مـعلّم وانغ، أسـتطيع أن أسـاعـد أمـي فـي عـملهـا شـريطة أن لا تضـربني ! (ينصـرف مع وانغ شـو فين وكانغ شون ذي ).

وانغ لي فـــا : يا سلام، زادت أسرتي اثنين ! انتهى عصر الخصيان. ولكن أسر الخصيان انتقلت إلى هنا !

لـي ســـــان : (يدخل ويختبئ خلفه ليو ما ذي) امشيِ بسرعة ! (يختبئ مرة ثانية ).

وانغ لي فـــا : امشيِ ! وإلا ستصفعك على وجهك !

ليــو مـــا ذي : ألم أخبرك أنني أنتظر صديقين ؟

وانغ لي فـــا : أنت، كم مرة حذرتك !

ليـــو مـــا ذى : هل هناك من مخرج ! نحن نعيش أسلوبين مختلفين من الحياة ، أنت تدير المقهى منذ زمن طويل ، وأنا أمارس عقد الصفقات الضئيلة ! وسأظل أمارس هذه المهنة حتى آخر العمر !

يدخل لاو لين ولاو تشين والضحك يملأ شدقيهما .

ليـــو مـــا ذى : ( على الرغم من أنه أكبر منهما ، إلا أنه يخاطبهما بلقب الأخ الأكبر ) الأخ الأكبر لين، الأخ الثانى تشين ! ( يشعر أن وانغ ساخطًا، فيتحدث بسرعة ) يا معلّم وانغ، لا يوجد هنا أحد ألبتة، من فضلك أتركنا وحدنا ولا أطلب ذلك مرة أخرى !

وانغ لى فـــا : ولكن ( يشير إلى الخلف ) هى مازالت هنا !

ليـــو مـــا ذى : لا يهم، لا تستطيع أن تضرب الرجال ! وإذا فعلت ذلك فعلاً، فإنهما يمدا لىّ يد المساعدة !

وانغ لى فـــا : أنت ! آه ! ( يذهب إلى الفناء الداخلى ).

ليـــو مـــا ذى : اجلسا من فضلكما ! ماذا يدور فى ذهنكما ؟ !

لاو لـــــين : أيها الأخ الثانى ! أخبره أنت !

لاو تـــشـــين : أيها الأخ الأكبر ! أخبره أنت !

ليـــو مـــا ذى : ماذا يعنى من يخبرنى !

لاو تـــشـــين : أخبره أنت، أنت الأخ الأكبر !

لاو لـــــين : حسنًا، تعرف نحن أخوة عن طريق القسم والصداقة !

لاو تـــشـــين : أجل ! أخوة وتربطنا الصداقة الوطيدة مثل رجلين يرتديان بنطلونًا واحدًا !

لاولـــــين : لاو تشين عنده عدة عملات فضية !

ليــو مــا ذى : عملات فضية ؟

لاو تــشـــين : والأخ الأكبر لين عنده بعض من العملات الفضية أيضاً!

ليــو مــا ذى : كم عددهم معًا ؟ أذكر رقمًا !

لاولـــــين لا نستطيع أن نخبرك بذلك !

ليــو مــا ذى : أستطيع أن أفعل أى شىء مادام عندكما عملات فضية!

لاولـــــين : ⎤
لاو تــشـــين : ⎦ حقًــا ؟

ليــو مــا ذى : من يقول غير الحقيقة يكون ابن أحمق !

لا ولـــــين : إذن، يخبرك الأخ الثانى !

لاو تــشـــين : لا، أخبره أنت، أنت الأخ الأكبر !

لاو لـــــين : أنظر ، لا يوجد سوانا نحن الأثنين، أليس كذلك ؟

ليــو مــا ذى : نعم !

لاو تــشـــين : تربطنا الصداقة الوطيدة مثل رجلين يرتديان بنطلونًا واحداً ؟ ..

ليــو مــا ذى : نعم !

لاولـــــين : ولا يوجد من يهزأ بصداقتنا ؟

ليــو مــا ذى : لا يهزأ أحد بالصداقة !

لاو تــشـــين : ولا يوجد من يهزأ بصداقتنا نحن الثلاثة أيضًا ؟

ليــو مــا ذى : الثلاثة ؟ من الثالث ؟

لاو لـــــين : هناك أيضًا عروستنا !

ليــو مــا ذى : آه ! نعم ! أجل ! فـهـمت ! ولكن من الصـعب تحقـيق ذلك، ولم أفعله من قبل ! أنت تعرف، نتحدث عادة عن زواج اثنين، ولم نسمع عن زواج ثلاثة البتة !

لاو لــتـــــين : من الصعب تحقيق ذلك ؟

ليــو مــا ذى : صعب جداً !

لا ولــــــــين : ( يسأل لاو تشين ) ما رأيك ؟

لاو تـــشـــين : أتستطيع أن تنسى هذا الموضوع ؟

لا ولــــــــين : لا أستطيع أن أنسـاه ! ولا حـتى أسـتطيع أن أتزوج نصف زوجة بعد أن خدمت أكثر من عشر سنوات فى الجيش ! يا ابن الزنا !

ليــو مــا ذى : لا تسـتطيع أن تنسى، إذن نفكر مـرة ثانيـة ! المهم كم معكما من العملات الفضية ؟

يظهـر من الخلف وانغ لى فا وتسـوى جـيـو فـينـغ فى خطوات وئيدة. يكف ليو ما ذى وأصدقاؤه عن الحديث.

وانغ لى فـــا : يا سيد تسوى، أرسل أمس السيد تشين أر دعوة لك، فلماذا لم تذهب ؟ أنت إنسـان مثقف وتعرف كل شىء من علم الفلك إلى علم الجغرافيا، وكنت عضواً سابقًا فى البرلمان، ولكنك تفضل أن تعيش هنا، وترتل الكتاب المقدس، ولماذا لا تخرج وتشارك فى الحياة ؟ أنت من الشرفاء ويجب أن تعمل فى الحكومة! وعندما يكون الخلصاء أمثالك فى موقع المسئولية، نستطيع نحن عامة الشعب أن نعيش حياة هادئة !

تسوى جيو فينغ: أشعر بالخجل من نفسى ! كنت عضواً سابقًا فى البرلمان، وهذا فى الحقيقة ارتكاب للذنوب ! ماذا حققت الثورة ، نضلل أنفسنا ونضلل الآخرين أيضًا ! آه! كل ما أستطيع أن أفعله الآن أصلح ذاتى معنويًا وأكفر عن ذنوبى !

وانغ لى فـــا : ولكن انظر إلى السيد تشين أر، شيد مصنعًا، وفتح بنوكًا خاصة أيضًا !

تسوى جيو فينغ: وهل يحقق تشييد المصنع وفتح البنوك شيئًا ؟ لقد رفع شعار إنقاذ البلاد من خلال التصنيع، ولكن أنقذ من ؟ أنقذ نفسه، وازداد ثراء يومًا بعد يوم ! والشىء النذير الذى حققه فى مجال الصناعة، آه، يستطيع الأجانب سحقه بأصبعهم الصغير، ولا يستطيع هو أن ينهض من كبوته مرة أخرى !

وانغ لى فـــا : لا تتحدث بهذه اللهجه ! ألا يحق لنا أن نتمسك ببصيص أمل ؟

تسوى جيو فينغ: لا أعرف ! لا أعرف إطلاقًا ! انظر ، اليوم المارشال وانغ يهاجم المارشال لى ، وغدا المارشال جو يهاجم المارشال وانغ . من الذى حرضهم على القتال ؟

وانغ لى فـــا : من ؟ من ذلك السفاح ؟

تسوى جيو فينغ: الأجانب !

وانغ لى فـــا : الأجانب ؟ لا أستطيع أن أفهم !

تسوى جيو فينغ: سوف تفهم بعد فوات لأوان. بعد أن تكون بلادنا

إنهارت وأصبحنا من العبيد! لقد اشتركت في الثورة، وأعي تماماً ما أقوله !

وانغ لي فـــا : إذن ، لماذا لا نفكر أن نفعل شيئًا حتى لا يصبح شعبنا من العبيد ؟

تسوى جيو فينغ: عندما كنت شابًا فكرت في إنقاذ الصين، حقًا فكرت في ذلك ! ولكن الآن أدركت تماماً أن الصين ستنهار حتماً !

وانغ لي فـــا : إذن نحاول أن ننقذ البلاد، ونبث حياة جديدة داخلها.

تسوى جيو فينغ: نبث حياة جديدة داخل البلاد ؟ أمل عقيم ! لا يمكن أن نحيي الميت، وكل شئ حي لابد أن يموت عاجلاً أو آجلاً! على أية حال، أنا ذاهب إلى معبد خون جي، وإذا أرسل السيد تشين آر من يبحث عني مرة ثانية، أخبره أنني مكرس حياتي لترتيل الكتاب المقدس ! (ينصرف)

يحضر سونغ إين ذي و وو شيانغ ذي إلى المقهى مرة ثانية.

وانغ لي فـــا : يا أخواني، هل عندكم أخبار ؟

لا يجيب سونغ اين ذي ولا وو شيانغ ذي، ويجلسان في مكان قريب من المدخل، وينظران إلى ليو ما ذي وأصدقائه.

تبدو على ليو ما ذي أمارات الإرتباك ويطأطئ رأسه.

كما تبدو أمارات الحيرة على لاو تشين ولاو لين وينظر كل منهما إلى الآخر دون أن ينبس ببنت شفه.

يخيم السكوت التام على المكان لمدة دقيقة واحدة.

لاو تشين : أيها الأخ الأكبر، أزف وقت الرحيل ؟

لاو لين : دعنا نذهب !

سونغ إين ذى : انتظرا هنيهة ! ( ينهض واقفًا ويعترض طريقهما ).

لاو تشين : ماذا فعلنا ؟

وو شيانغ ذى : ( ينهض واقفًا أيضًا ) أنت تسأل ماذا فعلتما ؟

ينظر الرجال الأربعة إلى بعضهم البعض لمدة قصيرة.

من الأفضل أن تذهبا معنا دون جلبة.

سونغ إين ذى : إلى أين ؟

لاو لين : أنتما هاربان من الجندية ، أليس كذلك ؟ ولديكما بعض

وو شيانغ ذى : من العملات الفضية، وتأملان أن تختبئا في بكين ، أليس كذلك ؟ وأنتما تختفيان عندما يكون عندكما أموال، أما إذا كنتما مفلسان ، فتعملان قطاع طرق، أليس كذلك ؟

لاو تشين : وهل يعنيك أمرنا ؟ أستطيع بمفردى أن أحطم ثمانية رجال مثلك. ( يرفع يده ويوشك أن يضربه ).

سونغ إين ذى : أنت ؟ أنت للأسف بعت البنادق، أليس كذلك ؟ وكيف تستطيع أن تواجه من يحمل البندقية، وأنت أعزل ؟ ( يربت على بندقيته ) أنا بمفردى أستطيع أن أحطم ثمانية رجال مثلك !

لاو لين : كلنا أخوة، لا داعى لذلك، كلنا أخوة !

وو شيانغ ذى : حسنًا ! نجلس ونناقش ! أتريدان حياتكما أم العملات الفضية ؟

لاو تشين : ما لدينا من مال ضئيل حصلنا عليه بشق الأنفس ! وإننا نحارب لحساب من يدفع لنا وحاربنا مرات عديدة!

سونغ إين ذى : ولكن أنتما تعرفان عقوبة الهروب من الجندية !

لاو لين : إذن اشرح لنا ذلك، إننا اتفقنا، كلنا أخوة !

وو شيانغ ذى : تتكلم وكأنك واحد منا ! استمر فى الحديث !

وانغ لى فا : ( واقفًا أمام المدخل ) أيها السادة، جاءت فرقة تنفيذ الأحكام !

لاو تشين : ⎤ آه ! ( يرتعدان ويفقدان أعصابهما، ويريدان أن
لاو لين : ⎦ يهربا إلى الخلف )

سونغ إين ذى : لا تتحركا ! واسمعا كلمتى: أعطيا لنا نصف العملات، ونحن نضمن حياتكما ! كلنا أصدقاء !

لاو تشين : ⎤ حسنًا ! كلنا أصدقاء !
لاو لين : ⎦

تدخل " فرقة تنفيذ الأحكام ": يتقدمها اثنان يحملان سيفين يكسوهما القماش الأحمر، والبنادق على كتفيهما، وفى الوسط يوجد حامل شارة السلطة، وفى الخلف أربعة جنود فى أيديهم هراوات حمراء وسوداء، وضابط الجيش يقف فى المؤخرة.

وو شيانغ ذى : ( يقف مأخوذًا، ومعه سونغ إين ذى ولاو لين ولاو تشين، يخرج من قبعته شارة مهنته ويقدمها للضابط )

سيادة الضابط نخبركم نحن هنا لنعتقل أحد الهاربين من الجندية.

**الضـــــابط :** أهو ؟ ( يشير إلى ليو ما ذى )

**وو شيـانغ ذى :** ( يشير إلى ليو ما ذى ) نعم هو !

**الضـــــابط :** أعتقلوه !

**ليـــو مـــاذى :** ( يصرخ ) يا سيدى ! لست أنا ! لست أنا !

**الضـــــابط :** أعتقلوه ! ( ينصرفون )

**وو شيـانغ ذى :** ( يخاطب سونغ ) نذهب إلى النُّزُل للقبض على اثنين من الطلاب !

**سـونـغ إين ذى :** هيا بنا ! ( يهرول إلى الفناء الداخلى )

**يسدل الستار**

# الهوامش

(١) نبات يصنع منه بعض عصى وسلال. (المترجم)

(٢) بُوذا: غوتاما بوذا مؤسس الديانة البوذية (٥٦٣ ؟ - ٤٨٣ ؟ ق.م). (المترجم)

(٣) حسنا أو لا ؟

(٤) فى النص الأصلى كلمة بذيئة جداً. (المترجم)

(٥) أنظر سابقه. (المترجم)

(٦) غطاء يمدّ على المائدة ليوضع عليه الطعام. (المترجم)

(٧) أجل.

(٨) تشانغ شين دين: اسم مكان قريب من بكين. (المراجع)

(٩) كاتيات: مفردها كاتى، ومعناها وحدة وزن فى الصين وجنوب شرق آسيا تساوى نحواً من رطل إنجليزى وثلث. (المترجم)

(١٠) أنظر الفصل الأول.

(١١) منظمات عسكرية - إدارية تابعة لقومية مان فى عهد إمبراطورية تشينغ. (المترجم)

## الفصل الثالث

الزمـــــــان : الفترة التى تلت هزيمة اليابانيين؛ حيث كان جواسيس حزب الكومينتانغ والقوات الأمريكية تندفع فى شوارع مدينة بكين وترتكب الجرائم.(*). فى تباشير صباح يوم من أيام فصل الخريف.

المـــكـــــان : كما فى الفصل الثانى.

الشخصيات : وانغ دا شوان، مينغ شى فو، دينغ خو جى، تشو شيوهوا، زو فو يوان، شياو سونغ إين ذى، وانغ شيا هوا، وى فوشى، شياو ووشيانغ ذى، كانغ شون ذى، فانغ ليو، السيد تشانغ سى، دينغ باو، تشه دانغ دانغ، تشين جون إى، وانغ لى فا، زوجة يانغ سى،شياو شين يان، زبونان، تشون مى، المدير شين، شياو ليو ماذى، لاو يانغ، أربعة جنود شرطة عسكرية، محصل فاتورة الكهرباء، شياو أر دا ذى، شياو تانغ تيه ذوى، شيه يونغ رين.

المــنــظــر : لم يعد مقهى يوتاى يمتع بالجمال كما كان فى الفصل الثانى؛ فاندثرت كراسى الخيرزان، وحل محلها مقاعد

(*) انظر المقدمة التاريخية .

صغيرة وكراس بلا ظهر أو ذراعين، كما أصبح مبنى المقهى وأثاثه كئيبًا وموحشًا، وإذا كان هناك شيء يلفت الأنظار، فهو أن الورقة المكتوب عليها " لا ستاقش شئون البلاد " زاد عددها، وأصبحت حروفها أكبر، كما أُلصق بجوارها ورقات جديدة أخرى كُتب عليها " ادفع ثمن الشاى مقدمًا ".

فى الصباح الباكر، ومازالت ألواح النوافذ الخشبية مغلقة، يقوم وانغ دا شوان، ابن وانغ لى فا، بمفرده بترتيب وتنظيم المقهى وهو منفطر القلب حزنًا.

تظهر من الخلف تشو شيو هوا، زوجة وانغ داشوان، مع ابنتها وانغ شياو هوا، تدخلان وهما تتحدثان.

**وانغ شياو هوا :** يا ماما، أريد أن تعد لىّ مكرونة فى الغداء ! لأننى لم أكلها منذ عدة أيام !

**تشو شيو هوا :** أعرف يا عزيزتى ! ولكن ربما لا نستطيع أن نحصل على دقيق ! وحتى إذا كانت حوانيت الحبوب الغذائية بها دقيق، فربما لا يوجد لدينا نقود كافية ! آه !

**وانغ شياو هوا :** يا ماما، آمل أن يكون لدينا نقود كافية ودقيق أيضًا !

**تشو شيو هوا :** تفكير جيد، ولكن لا تحسبين أن الأمر بهذه السهولة ! اذهبى إلى المدرسة، يا شياو هوا، واحترسى فى الطريق من سيارات الجيب !

**وانغ دا شوان :** انتظرى برهة، يا شياو هوا !

**وانغ شياو هوا :** ماذا تريد ؟ يا بابا !

**وانغ دا شوان :** مساء أمس......

**تشو شيو هوا :** لقد حذرتها، وأدركت حقيقة الأمر !

**وانغ داشوان :** لا تتحدثين إطلاقًا إلى الآخرين فيما يخص عمك دالى ! وإذا تفوهتى بكلمة واحدة، سنلقى حتفنا جميعًا ! فهمت أم لا ؟

**وانغ شياو هوا :** لا أتكلم إطلاقًا، حتى ولو ضربونى حتى الموت ! وإذا سُئلت عما إذا رجع عمى دالى أم لا، فأقول: إننا لم نعرف عنه شيئًا منذ رحيله قبل عدة سنوات.

تدخل كانغ شون ذى قادمة من الخلف. خصرها به انحناء طفيف، ولكن مازالت تبدو عليها الحيوية. تدخل وهى تنادى على وانغ شياو هوا.

**كانغ شون ذى :** شياو هوا ! شياو هوا ! لِمَ لا تذهبى بعد ؟

**وانغ شياو هوا :** الجدة كانغ، ماذا تريدين ؟

**كانغ شون ذى :** عزيزى شياو هوا ! أريد أن أراك مرة ثانية ! ( تربت بلطف على رأس وانغ شياو هوا) كم أنت جميلة ! وإذا أكلت بما فيه الكفاية، ستصبحين أكثر جمالاً !

**تشو شيو هوا :** يا عمة، أتريدين أن تذهبى ؟

**كانغ شون ذى :** أجل ! أريد أن أذهب، حتى أوفر لكما طعام فم ! إننى قمت بتربية دالى، ويأمرنى بالإنصراف، فكيف لا أمتثل لأوامره ؟ وأتذكر عندما جئت هنا لأول مرة، كان دالى أصغر من شياو هوا !

وانغ شياو هوا : ولكن انظرى الآن إلى العم دالى، كم هو قويًا وشجاعًا!

كانغ شون ذى : نعم، وعلى الرغم من أنه لم يمكث هنا إلا وقتًا قصيرًا يكاد يكفى لتدخين بيبة من التبغ، لكن ذلك يجعلنى أشعر أننى فى صدر الشباب ! إنى لا أملك شيئًا فى هذا العالم، ولكن عندما أراه يبدو لىّ فجأة كأننى أستحوذ على كل شئ ! سأذهب، سأذهب معه، ومهما كانت المتاعب والمصاعب، فأشعر أن كل شئ حلو المذاق معه ! انظرى إلى يديه الكبيرتين، وساقيه القويتين، إنه بحق واحد من الرجال العمالقة !

وانغ شياو هوا : يا جدة، سأذهب معك أيضًا !

كانغ شون ذى : يا شياو هوا ، اذهبى إلى المدرسة من أجل مصلحتك ، وسوف أزورك بالتأكيد !

وانغ داشوان : يا شياو هوا، اذهبى إلى المدرسة، ولا تتأخرى !

وانغ شياو هوا : يا جدة، انتظرى حتى أرجع من المدرسة ثم تذهبين !

كانغ شون ذى : آه ! آه ! اذهبى يا عزيزتى ! ( تنصرف وانغ شياو هوا ).

وانغ داشوان : يا عمة، هل طلب منك والدى مغادرة المكان ؟

كانغ شون ذى : والدك لم يقرر شيئًا بعد، ولكنى أخشى أن يعرف الناس مجئ دالى إلى هنا، ثم أضطر فجأة أن أترك هنا، وربما يسبب ذلك لكم المتاعب ! وفى هذه الأيام هناك كثيرون ألقوا القبض عليهم، أليس كذلك ؟ وأنا لا أريد أن أفعل شيئًا من شأنه أن يلحق بكم أضرارًا !

تشو شيو هوا : يا عمة، اذهبى بمطلق مشيئتك، الخروج من هنا يعنى حياة جديدة ! ويهمس دائماً زبائن المقهى، من يريد أن يعيش، فليذهب إلى التلال الغربية [*] ، أليس كذلك ؟

وانغ داشون : صحيح !

كانغ شون دى : شياو هوا، تعالى ونناقش مرة أخرى الأمر جيداً ! لا أستطيع أن أهتم بنفسى، بينما تحاصركم المتاعب ! وأنت يا داشوان، قلب الأمر فى رأسك جيداً !

(تنصرف مع تشو شيو هوا ).

تدخل دينغ باو.

دينغ باو : هاى، حضرت يا معلّم !

وانغ داشون : من أنت ؟

دينغ باو : شياو دينغ باو ! أرسلنى إليك شياو ليو مادى، وقال إن معلّم المقهى طلب منه أن يبحث له عن مضيفة إغراء.

وانغ داشوان : انظرى حولك يا فتاة، أيستطيع مقهى منهار هكذا أن تعمل به مضيفة إغراء ؟ معلّمنا الكبير دهمه الفقر، وحاول أن يفعل أى شىء سخيف !

يدخل وانغ لى فا فى خطوات وئيدة، ومازال قوى البنية، وملابسة رثة للغاية.

وانغ لى فا : يا داشوان، لماذا تتطاول علىّ دائمًا من خلف ظهرى ؟ من دهمه الفقر وحاول أن يفعل أى شىء سخيف ؟

(*) كانت منطقة التلال الغربية فى بكين - أنذاك - منطقة حرب عصابات خاضعة للجيش الثامن الذى قاد حرب المقاومة ضد اليابانيين. (جيه تشين - قرينة المؤلف).

اسحب ألواح النوافذ الخشبية ! الوقت متأخر ولم تفتح الأبواب بعد !

دينغ باو : يسحب وانغ داشوان ألواح النوافذ الخشبية.

وانغ لي فا : يا معلّم وانغ، مازلت تتمتع بصحة جيدة ؟

نعم ! مازلت أستطيع أن آكل ثلاث سلطانيات مكرونة بصلصلة جيانغ المقلية حسنًا [1] ، ولكن للأسف لا يوجد ! وأنت لا تتجاوزين سن العشرين ؟ يا آنسة!

دينغ باو : عمرى سبعة عشر عامًا !

وانغ لي فا : سبعة عشر عامًا فقط ؟

دينغ باو : نعم ! كانت أمى أرملة وقامت بتربيتى. وبعد إنتهاء حرب المقاومة ضد الغزاة اليابانيين ، زعمت الحكومة أن البيت الصغير الذى تركه لنا والدى كان ملكًا لخائن، واستولت عليه ! ولذا ماتت أمى كمدًا، وعملت أنا مضيفة إغراء ! يا معلّم وانغ، حتى يومنا هذا مازلت لا أفهم ماذا يعنى كان ملكًا لخائن ؟ أتعرف أنت ذلك ؟

وانغ لي فا : كونى حريصة عندما تتحدثين يا آنسة ! ربما كلمة خاطئة تجعل كل شىء يندرج تحت اسم ملك لخائن ! أنظرى خلفك، إنه مستودع بضائع يملكه السيد تشين أر، وإذا ضايق شخصًا ما، فإنهم يقولون إنه ملك لخائن ويفقد كل شىء ! وهذا كل ما فى الأمر !

يدخل وانغ دا شوان.

دينـــغ بـــاو : أنت على صواب يا معلّم وانغ ! حتى أنا أصبحت ملكًا لخـائن أيضًـا، وأضطر أن أنتظر من يتـمـتع بالقـوة والنفوذ ! يا ابن الزنا، عمرى سبعة عشر عامًا فقط، أفكر دائمًا أن أكـون فى عداد الأمـوات ! وبعـد الموت أصـبح جـثـة طاهرة، ولكن إذا مـارست ذلك العـمل، يصبح جسدى ملوثًا وأنا على قيد الحياة.

وانـغ داشـــوان : بابا، أتريد حقًا أن تؤجر مضيفة إغراء ؟

وانـغ لـى فـــا : تحدثت ارتجاليًا مع شياو ليو ماذى بشأن ذلك ! إنى أتوق إلى الإصلاح طوال حياتى، وعندما أرى الأعمال أصبحت سيئة على هذا النحو يصيبنى القلق !

وانـغ داشـــوان : أنت قلق، وأنا قلق أيضًـا ! ولكن هل نسـيت أن مـقـهى يوتاى قـديم ويتـمـتع بالشـهرة الطيبـة ؟ مـقـهى قـديم ومحترم منذ أكثر من ستين عامًا ويؤجر مضيفة إغراء؟

دينـــغ بـــاو : مـقـهى قـديم ! كلمـا كان قـديمًا لا يسـتحق شيئًا ! لا تصدقنى، إذا كان عمرى الآن ثمـانية وعشرين عامًا فـأنت تلقبنى بشـياو[٢] شيـاو دينـغ باو أو الطفلة دينغ باو، كما لا أجذب انتباه أحد !

يدخل زبون المقهى الأول والثانى.

وانـغ لـى فـــا : أيهـا السـيـدانْ حـضـرتمـا مـبكرًا ! هل مـعكمـا أوراق الشـاى ؟ أحـضـر المـاء المغلى يا دا شـوان ! (ينصرف وانـغ داشوان) أيها السيدان، معذرة، أدفعا ثمن الشاى مقدمًا !

زبون المقهى الأول : لم نسمع عن ذلك !

وانغ لى فا : وأنا عندما فتحت المقهى منذ عشرات السنين، لم أسمع عن ذلك أيضًا، ولكن أنت ذكى وتعرف أن أسعار الشاى والفحم فى ارتفاع مستمر، وربما وأنت تشرب الشاى ترتفع أسعاره مرة أخرى ! ألم ترَ أن تحصيل ثمن الشاى مقدمًا يوفر المتاعب ؟

زبون المقهى الثانى : فى رأيى عدم شرب الشاى يوفر كثيرًا من المتاعب ! ( ينصرف مع زبون المقهى الأول ).

وانغ داشوان : ( يدخل حاملاً الماء المغلى ) كيف ؟ ذهبا !

وانغ لى فا : والآن تدرك لماذا أنا قلق !

دينغ باو : إذا جريت وراءهما وناديت عليهما : " تعالا ؟ أيها النذلان !" فإنهما يدفعان عملة فضية !

وانغ لى فا : أنت مازلت أكثر صلابة من الحجر !

وانغ دا شوان : ( يضع الغلاية ) حسنًا، سأضطر إلى الخروج بغية نزهة على الأقدام، فهذا المكان لا يخفف من شدة غضبى ! ( يخرج )

وانغ لى فا : أنت لا تشعر بالراحة، وأنا أشعر بالإضطهاد الشديد ! يدخل شياو ليو ماذى مرتديًا ملابس أوروبية، ومتأبطًا حقيبة جلدية.

شياو ليو ماذى : يا شياو دينغ باو، أأنت حضرت هنا ؟

دينغ باو : كما قلت لىّ، من يجرؤ لا يحضر !

شياو ليو ماذى : يا معلّم وانغ، ما رأيك فى الفتاة شياو دينغ اللطيفة التى أرسلتها لك ؟ كل شىء رائع فيها. مهارتها وعمرها وزينتها وخبرتها !

وانـغ لـى فــــا : ولكن أخشى ألا أجد نقوداً لاستخدامها ؟

شياو ليو ماذى : لا يهم ! لا تريد أجـراً ! أليس كـذلك ؟ يا شـيـاو دينغ باو.

وانـغ لـى فــــا : لا تريد أجراً ؟

شياو ليو ماذى : أيهـا العـجـوز، لا تـهتم بشئ إطلاقـًا، وأنصت إلىّ، لقد قمت بترتيب ذلك معـها ! أليس كذلك ؟ يا شـيـاو دينغ باو.

ديــنــغ بـــاو : إذا لم ترتب الأمر جيداً، فكيف نتصدى للظلم !

شيو ليو ماذى : الظلم ؟ أنت على صـواب ! لقـد أعـتـقل والدى فى هذا المكان، لا تصدقينى، فأسألى المعلّم وانغ. أليس كذلك ؟ يا معلّم وانغ.

وانـغ لـى فــــا : رأيته بعينى !

شياو ليو ماذى : يا شياو دينغ باو ، لا تعتقدى أننى أبالغ فى الحديث ؟ اعـتُـقل والدى وخـرج من هنا، وفـى منتـصف الشـارع قطعوا رأسه بالسيف ! أليس كذلك ؟ يا معلّم وانغ.

وانـغ لـى فــــا : سمعت ذلك حقًا.

شياو ليو ماذى : كلامى ليس كذبًا ؟ يا شياو دينغ باو ! ولكن والدى فى الحقيقة كان ضعيفًا، ولم يغامر بشئ طوال حياته أبداً، والآن قـد جـاء دورى لأقـدم عـمـلاً رائعًـا علـى وجـه الخصوص. ( يفتح الحقيبة الجلدية ويخرج منها كتاباً يحتوى على مجموعة من الخطط ) انظرى يا شياو دينغ باو، ألقِ نظرة على خطتى !

دينـــغ بـــاو : ليس عندى وقت كـــافٍ ! يجب أن أرجع إلى البـــيت وأستريح يوماً، وأستعد للعمل غداً.

وانغ لى فـــا : يا دينغ باو، مازلت أفكر فى ذلك !

شياو ليو ماذى : يا مـعلّم وانغ، لقـد فكرت بالنيـابة عنك ! وإذا كنت لا تصدقنى، انتظر وسترى، ستقف شياو دينغ باو صباح غد عند البـاب وتميل برأسـهـا على نحـو مـغـرٍ، وآنذاك يدخل المقـهى مـائتين زبونًـا فى التـو ! يا شـيـاو دينغ، أصغ إلى خطتى، فأنت جزء منها.

دينـــغ بـــاو : آه ! ولكن لا أود أن أكون جزءاً منها !

شياو ليو ماذى : أنت، يا شيو دينغ، خاملة للغاية ! اسمعى.....

يدخل محصل فاتورة الكهرباء.

محصل فاتورة الكهرباء : يا مـعلّم وانغ، رسـوم استـهلاك الكهرباء !

وانغ لى فـــا : ادفع فاتورة الكهرباء ؟ كم شهراً ؟

محصل فاتورة الكهرباء : ثلاثة أشهر !

وانغ لى فـــا : بعد ثلاثة أشـهـر أخرى، حتى يصبح المجموع نصف عام، فأنا لا أستطيع أن أسدد الفاتورة على أية حال !

محصل فاتورة الكهرباء : كلامك غير ذات معنى ؟

شياو ليو ماذى : كـلامــه جـاد جـداً ! هذا المكان يديره المدير شين، ألم تعرف المدير شين عضو لجنة بحزب الكومينتانغ ورئيس قسم فى قيـادة الشرطة العسكرية أتريد أن تحصل فاتورة الكهرباء الخاصة به ؟ تكلم !

محصل فاتور الكهرباء : لا أكون سخيفًا، بالطبع لا أحصل قيمة الفاتورة ! معذرة، أخطأت دخول المكان ! (ينصرف).

شياو ليو ماذى : يا معلّم وانغ، ما رأيك ؟ هل أعجبك ما قلته ؟ إن ما فى جعبتك من حيل أصبحت قديمة وعقيمة !

وانغ لى فا : نعم ! كلامك صحيح، ولذا يقولون إن الإنسان يتعلم من المهد إلى اللحد ! ويجب على أن أتعلم الكثير !

شياو ليو ماذى : لاشك فى ذلك !

يدخل شياو تانغ تيه ذوى مرتدياً عباءة حريرية من طبقتين وحذاء جديد مصنوع من الساتان.

شياو ليو ماذى : أيوه ! لعنة الله عليه، يا شياو تانغ تيه ذوى !

شياوتانغ تيه ذوى: أيوه ! لعنة الله عليك أنت، يا شياو ليو ماذى ! تعال ودعنى ألق نظرة عليك! ( يتفحصه من الأمام والخلف ) أنت فتى حقير وترتدى الملاس الأوروبية، بل تبدو من الخلف أكثر أناقة من الأجانب أنفسهم ! يا معلّم وانغ، أرقب فى الليل الظواهر الفلكية، ووجدت نجم تسى وى منيراً. ومن ثم سيظهر بالتأكيد التنين ابن السماء قبل مرور فترة طويلة، وسترى كيف أكون أنا وشياو ليو ماذى و.....

شيو ليو ماذى : شياو دينغ باو، الشهيرة فى كل أنحاء المدينة !

شياوتانغ تيه ذوى: ..... وشياو دينغ باو، حتى نصبح أكثر أناقة وقدراتنا أكبر، ونتسلح بالثقافة والأسلحة لخوض غمار المعارك، لقد ولدنا كما لو كان الزمن فى حاجة إلينا، فى الحقيقة

نشعر مثل السمك لا يستغنى عن الماء ! يا معلّم وانغ، أدر وجهك ودعنى أتفرس ملامحه ! حسنًا، حسنًا، نجمك ساطع، مازال هناك خطوة وتنعم بالسعادة ! حسنًا، أعطنى سلطانية شاى !

**وانغ لى فـــا :** يا شياو تانغ تيه ذوى !

**شياوتانغ تيه نوى:** لا تنادينى مرة أخرى بتانغ تيه ذوى، الآن حصلت على لقب تانغ زعيم دين الطاوية !

**شياو ليو ماذى :** ومن الذى عينك زعيمًا لدين الطاوية ؟

**شياوتانغ تيه نوى:** بعد يومين أنت تعرف.

**وانغ لى فـــا :** ولكن لا تنسَ يا زعيم أن والدك شرب الشاى من عندى مجانًا طوال حياته، وذلك لا يمكن أن يكون حقًا وراثيًا!

**شياوتانغ تيه نوى:** يا معلّم وانغ، عندما أرتدى الملابس الرسمية لدين الطاوية، سوف أندم حقًا على ما ذكرته فى التو ! انتظر وسترى !

**شياو ليو مادذى:** يا شياو تانغ، بعد برهة أدعوك أن تشرب فنجان قهوة، وتصطحبنا شياو دينغ باو، ولكن أناقش معك أولاً أمرًا مهمًا، حسنًا أم لا ؟

**شياوتانغ تيه نوى:** يا معلّم وانغ، لا داعى أن تفكر كثيرًا، اليوم يشرب الزعيم الشاى مجانًا، وفى المستقبل يقدم لك وظيفة عند حاكم المحافظة، أليس كذلك ؟ لا بأس، تكلم ياشياو ليو!

**شياو ليو ماذى :** عندى خطة عظيمة وتحدثت عنها مع شياو دينغ باو هنا حالاً !

شياوتانغ تيه نوى: حسنًا، أنصت إلىّ باهتمام بالغ !

شياوليو ماذى : أريد أن أسس " توه لاسى "(*)، وهذه كلمة أمريكية، ربما لا تفهمها، وترجمتها فى لهجة بكين، " شركة محتكرة ".

شياوتانغ تيه نوى: فهمت ! تريد أن تقول إنك تسيطر على كل الفتيات فى بكين.

شياوليو ماذى : نعم ! أنت شديد الذكاء ! يا شياو دينغ باو، اسمعى، هذا الأمر يهمك، ويهم المعلّم وانغ أيضًا !

وانغ لى فـــا : سمعت !

شياوليو ماذى : أريد أن أجمع معًا كل الراقصات والعاهرات المرخصات وغير المرخصات وفتيات الجيب (*) ومضيفات الإغراء فى تنظيم واحد، وأسس " توه لاسى" ضخمة.

شياوتانغ تيه نوى: ( يغمض عينيه ) وهل حصلت على موافقة السلطات أم لا ؟

شياوليو ماذى : طبعًا ! والمدير شين سيكون رئيس مجلس إدارة الشركة، وأنا المدير العام !

(*) شركة متحدة. (المترجم)

(*) اسم كان يطلق على الفتيات اللاتى كن خليلات وعشيقات للقوات الأمريكية التى كانت تصطحبهن فى سيارات الجيب للنزهة. (المترجم)

شياوتانغ تيه نوى: وأنا ؟

شياو ليو ماذى : إذا تستطيع أن تختار اسمًا جميلاً للشركة ستكون المستشار!

شياوتانغ تيه نوى: ولكن نفقات المواصلات لا نحصل عليها بالعملات الورقية المتداولة !

شياو ليو ماذى : نعطى كل شهر دولارات أمريكية !

شياوتانغ تيه نوى: استمر فى الحديث !

شياو ليو ماذى : والشركة تضم أربعة أقسام: قسم البيع والشراء، قسم النقل، قسم التدريب، وقسم الخدمات. إذا كان أحد يريد أن يشترى فتاة أو يبيع فتاة، نقوم بإرسالهن من شنغهاى إلى تيانجين أو من هانكو إلى تشونج تيشن، كما نقوم بتدريب فتيات الجيب أو تدريب مضيفات الإغراء ، ونقوم أيضًا على خدمة القوات الأمريكية أو المسئولين فى الحكومة من كافة المستويات، فشركتنا تتولى تنفيذ كل ذلك، ونحقق رغبات الجميع. ما رأيك ؟

شياوتانغ تيه نوى: رائع ! رائع ! ومن حيث المنطق يتفق ذلك مع كل القواعد المعمول بها. وفى الحقيقة تستطيع الشركة فى المقام الأول أن تلبى كل احتياجات الجنود الأمريكيين وتحقق فائدة للبلاد أيضاً !

شياو ليو ماذى : حسنًا، والآن جاء دورك، فكر فى اسم جميل ! اسم رقيق كما جاء فى الشعر "حاجب العينين يشبه أوراق الصفصاف، لوزى العينين، احمر شفاه "، فكر فى اسم من هذا القبيل.

شياوتانغ تيه نوى: أم " توه لاسى "، توه لاسى "...... اسم غير جذاب ! ويعنى فى اللغة الصينية "يدفع - يسحب - يمزق"، كأننا قطاع طرق نخطف الفتيات ونمزقهن، اسم ثقيل السمع !

شياوتانغ ليو ماذى : حقًا، اسم غير مهذب جداً ! ولكنه كلمة أمريكية وشائعة الاستعمال جداً !

شياوتانغ تيه نوى: مازال اسم الشركة المتحدة جذابًا وأكثر احترامًا !

شياو ليو ماذى : إذا قبلنا الاسم الذى ذكرته ! فأى شركة متحدة ؟

دينغ باو : شركة الظلم، اسم رائع حقًا !

شياو ليو ماذى : يا شياو دينغ باو، نناقش موضوعًا رسميًا، غير مسموح بالهراء ! واعملى بجد واجتهاد، فى المستقبل يحدوك الأمل أن تكونى مدربة عامة لمضيفات الإغراء !

شياوتانغ تيه نوى: ما رأيك أن نسميها - شركة الزهور المتحدة ؟ ومن هى الفتاة ؟ زهرة يانعة ! ومن يريد فتاة، ينفق أموالاً كثيرة، ولذا نسميها شركة الزهور ! وكما جاء فى أوبرا بكين الكلاسيكية " تلال عائلة وو" بين التلال الخضراء، والبحار الزرقاء، يعج العالم بالأزهار بعضها فوق بعض".

شياو ليو ماذى : شكرًا جزيلاً يا شياو تانغ، ألف شكر لك ! ( يصافحه بحرارة ) سأبحث فوراً عن المدير شين وأناقش معه ذلك، وإذا راق له الاسم، ستتولى منصب المستشار ! (يجمع أوراقه فى الحقيبة، ويوشك أن يخرج).

وانغ لى فـــــا : اسأل، ماذا عن موقف دينغ باو ؟

شياو ليو ماذى : ما دمت لم أخبرك، فلا تهتم ؟ " توه لاسى " تسيطر على كل شيء ، سأقوم بالتجربة هنا أولاً.

دينغ باو : ألم تقل لنا نذهب لنحتسى فنجانًا من القهوة ؟

شياو ليو ماذى : اسألى شياو تانغ أيذهب أم لا ؟

شياوتانغ تيه نوى: اذهبا أنتما، أما أنا فأنتظر هنا ضيفًا.

شياو ليو ماذى : هيا بنا، يا شياو دينغ باو !

دينغ باو: نراك غدًا يا معلم وانغ ! إلى اللقاء يا زعيم دين الطاوية! ( تنصرف مع شياو ليو ماذى ).

شياوتانغ تيه نوى: يا معلّم وانغ، هات الصحيفة !

وانغ لى فـــــا : حسنًا، سأبذل قصارى جهدى، فربما هناك بعض الصحف منذ عامين !

شياوتانغ تيه نوى: كلام فارغ !

يدخل ثلاثة من الزبائن هم: مينغ شى فو، زو فو يوان، ووى فوشى. يجلس مينغ شى فو بمفرده، بينما يجلس زو فو يوان، ووى فوشى معًا. يعرفهم وانغ لى فا، فيومئ برأسه لهم.

وانغ لى فـــــا : يا إخواني، معذرة، ادفعوا ثمن الشاى مقدمًا !

مينغ شى فـو: لا بأس، يا أخي الكبير !

وانغ لى فـــــا : آه ، يؤلمنى أن أقول " ادفع ثمن الشاى مقدمًا " (منهمك فى إعداد الشاى).

زو فـو يوان: ماذا قررت ؟ يا معلّم وانغ، هل تزيد عدد القصاصين فى المساء ؟

وانغ لى فـــا : حـاولت ذلك، ولكن دون جـدوى، نسـتـهلك الكهـرباء ولا يحضر أحد !

زو فـــو يوان : حقاً ! تعرف أننى كنت قبل أمس فى قاعة هوى شيان؛ حيث قمت بسرد قصة كيف أقتحم ثلاثة من الفرسان، وأربعة أخوة، وخمسة من الشجعان، وعشرة نبلاء، وثلاثة عشر بطلاً، وتسعة عجائز، وخمسة عشر صبيًا جبل العنقاء، وكيف قام مائة طائر بتقديم البيعة للعنقاء، وكيف جرحت أرجل العنقاء، خمن كم شخصاً حضر ؟

وانغ لى فـــا : كم شخصًا ؟ الآن لا يوجد غيرك يستطيع أن يحكى تلك القصة !

زو فـــو يوان : كلامك صحيح ! ولكن حضر خمسة أشخاص فقط، كما سمع شخصان القصة تطفلاً !

وى فـــو شى : يا أخى العزيز، مهما قلت فأنت أفضل منى ! كما أننى لم أعمل منذ أكثر من شهر!

زو فـــو يوان : ولكن من الذى جعلك تغير مهنتك، وتتحول إلى التمثيل فى الأوبرا ؟

وى فـــو شى : لأن صوتى جميل، ومساحيق التجميل تجعلنى أنيقًا !

زو فـــو يوان : ولكن عندما تقف على خشبة المسرح، تغنى بشكل قبيح!

وى فـــو شى : إن أجر غناء أوبرا كاملة لا يكفى لشراء ثلاث فطائر، فلماذا أبذل قصارى جهدى ؟ أتعتقد أننى أحمق ؟

زوفـــــويوان : آه ! يا فـو شى، تعـرف مـاذا حدث لنا، إننا نخسـر كثيراً أمـام الأغـانى الهابطة والأوبريتات الهابطة مثل " غـزل القطــن "، وأنني أرى أنه ليس مـهمًا أن نموت أو نعيش، ولكن ما يحزُّ فى نفسى حقًا أن الفن الذى نمارسه سوف ينقرض حتماً بعد مرور عدة سنوات ! وبذلك يحط من قـدر الأسـاتذة السـابقين ! وهنـاك قـول قديم مـأثور يقول: البدع لا تمحو أبداً الحقـائق. وهذه السنوات هـى سنوات البـدع، حيث تستـأصل تقـاليـدنا الراسخة من الجذور!

وانـغ لـى فــــا : آه ! ( يتـقـدم من مـينغ شى فـو ) يا مـينـغ شى فـو، لم تـأت هنا منذ فترة طويلة !

مـينغ شى فــو : كنت لا أسـتطيع الخـروج ! كنت أطـهـو الطعــام فى السجن !

وانـغ لـى فــــا : أنت ! إذن نعتمد عليك فى إعداد مائة أو مائتين وليمة للضيوف من قوميتى مان وهان ! والآن جهز لهم خبز الذرة على البخار، حسنًا أم لا ؟

مـينغ شى فــو : كـيـف أسـتطيع ذلك، وفى هـذه الأيام تكتظ السـجـون بالناس ! هل يحضر أفراد هاتين القوميتين ؟ لقد بيعت كل أدوات الطهى !

يدخل فانغ ليو حاملاً عدة لوحات.

مـينغ شى فــو : يا سيد ليو، تعـال هنا ! يا سـيـد ليو. أتشـترى هذين الطقمين من أدوات المائدة ؟ أنا فى مسيس الحـاجة إلى النقود !

فانغ ليو: يا مينغ شي فو، اختر إحدى تلك اللوحات كثمن للطقمين !

مينغ شي فو: ماذا ؟ ما فائدة اللوحة لي ؟

فانغ ليو: تلك اللوحات جميلة حقًا ! رسمها الناسك ليودا، ودونغ روي مي !

مينغ شي فو: نعم، اللوحات جميلة، ولكن لا يمكن أن تكون طعامًا نأكله !

فانغ ليو: لقد زرف الدمع عندما أعطاني تلك اللوحات !

مينغ شي فو: وأنا أزرف الدمع أيضًا عندما أعطيك أدوات المائدة !

فانغ ليو: أعرف جيدًا من يزرف الدمع، ومن يأكل اللحم، وإذا لم أعرف كل ذلك، أشعر بالتعب ! ولكنك إذا كنت تمارس عملنا، أتعتقد أنه ليس سوى أن نقرع الطبول في الشوارع ؟

مينغ شي فو: يا سيد ليو، كل إنسان يحتفظ بقدر من الضمير، أأنت تستطيع أن تخدع صديقًا قديمًا ؟

فانغ ليو: ليس كل ما في الأمر إلا طقمان من أدوات المائدة ؟ ذلك شيء تافه لا تذكره مرة ثانية، وإذا كنت تفهم جيدًا معنى الصداقة، ما ذكرت ذلك مرة أخرى.

يدخل تشه دانغ دانغ وهو يقرقع عملتين فضيتين معًا.

تشه دانغ دانغ: من يشترى عملات فضية ؟ يشترى عملات فضية ؟ يا زعيم دين الطاوية، أتحب أن تشترى ؟ ( لا يجيب شياو تانغ تيه ذوى ).

وانغ لى فنـــا : يا دانغ داتغ، من الأفضل أن تبحث عن مكان آخر تبيع فيه، أنا شخصياً نسيت شكل العملات الفضية.

تشــه دانغ دانـغ : إذن ، يا عجوز ألقِ نظرة دقيقة عليها ! الفرجة مجاناً وبدون تذكرة ! ( يضع العملات الفضية على المنضدة ).

تدخل زوجة بانغ سى ومعها خادمتها تشون مى.

تطوق أصابع زوجة بانغ بكل أنواع الخواتم، وترتدى ملابس تبدو فيها كأنها فتاة إغراء، ثم يدخل البائع المتجول لاو يانغ.

شياوتانغ تيه نوى: يا سيدتى !

فـــانغ ليـــو : ] يا سيدتى !
تشــه دانغ دانـغ : ]

زوجــة بانغ سى : يا زعيم دين الطاوية !

شياوتانغ تيه نوى: أى خدمة يا سيدتى ! ( يدعو زوجة بانغ سى أن تجلس ويصب لها الشاى ).

زوجــة بانغ سى : ( ترى تشــه دانغ دانغ يوشك أن ينصـرف ) يا دانغ دانغ، انتظر برهة.

تشــه دانغ دانـغ : حاضر !

لاو يــــانـــــغ : ( يفتح حقيبة المبيعات ) سيدتى، انظرى هنا !

زوجــة بانغ سى : غنىّ أغنية البائعين المتجولين، لتجذب المشترين للشراء!

لاو يــــانـــــغ : بكل سرور ! الإبر الأمريكانى، الخيط الأمريكانى، معجون الأسنان الأمريكانى، الدواء الأمريكانى لمنع الالتهاب وعندنا أيضاً أحمر شفاه، وكريم أبيض مطر

للبشرة، وجوارب نايلون، والصوف الناعم ؛ الحقيبة صغيرة وبها كل شيء، ولكن لا نبيع القنبلة الذرية.

زوجة بانغ سي : آها آها آها ! ( تختار جوربين ) خذي ياتشون مي ! يا دانغ دانغ، ادفع الحساب للاو يانغ !

تشه دانغ دانغ : يا سيدتي، لا تتصرفين هكذا !

زوجة بانغ سي : الفوائد تتراكم على النقود التي أعطيتها لك، كم أنت مدين لي ؟ يا زعيم، راجع الحسابات.

شياوتانغ تيه نوي: حاضر ! ( يخرج دفتراً صغيراً ).

تشه دانغ دانغ : لا تقلق يا زعيم، سوف أدفع للاو يانغ !

تشه دانغ دانغ : لا تقلق يا زعيم، سوف أدفع للاو يانغ !

لاو يانغ : يا سيدتي أعمل عملاً صالحًا ! ولكن أيستطيع أن يدفع النقود ؟

زوجة بانغ سي : يا لاو يانغ، لا يستطيع أن يخدعك، وأنا موجودة هنا !

لاو يانغ : نعم ! ( إلى الزبائن ) هل هناك من يحب أن يشترى ؟ ( يغنى مرة ثانية ) إبر أمريكانى...

زوجة بانغ سي : كفى ! أخرج !

لاو يانغ : حاضر ! إبر أمريكانى، خيط أمريكانى، إذا لم أخرج ستنهال علىَّ اللعنات ! دعنا نخرج يا دانغ دانغ ! (ينصرف مع تشه دانغ دانغ).

فانغ ليو : (يأتى من بعيد) يا سيدتى، لقد عثرت على طقم من خمس آنيات مطلية بالمينا، وكلها أثرية وعتيقة ورخيصة أيضاً، وشكلها فوق المذبح جميل للغاية، أتلقين نظرة عليها؟

زوجة بانغ سى : نسأل الإمبراطور أن يتفرج عليها !

فانغ ليو : طبعاً ! الإمبراطور يرتقى العرش قريبًا، أليس كذلك ؟ أجمل التهانى لك ! وحينئذ سآخذها فوراً وأضعها فوق المذبح ! سيدتى أنت تتحدثين بكلمات طيبة مع الإمبراطور وأنا بالتأكيد سيكون لىّ نصيب ! (يخرج).

مينغ شى فو : يا سيد ليو، ماذا عن أدوات المائدة ؟ !

فانغ ليو : خلى بالك من تلك اللوحات ! ( يخرج )

مينغ شى فو : انتظر، أنت خدعتنى فى شراء طقمين من أدوات المائدة، ولكن عندى ساطور! ( يطارده )

زوجة بانغ سى : يا معلّم وانغ، أتقطن السيدة كانغ هنا ؟ اطلب منها أن تحضر !

شياوتانغ تيه ذوى: أخبرها أنا ! ( يهرول إلى الفناء الداخلى ) يا مدام كانغ، احضرى إلى المقهى!

وانغ ى فا : ما الموضوع ؟

شياوتانغ تيه ذوى: أمر مهم يتعلق بالإمبراطورية !

تدخل كانغ شون ذى.

كانغ شون ذى : ماذا تريدين ؟

زوجة بانغ سى : ( تندفع لتستقبلها ) أهلاً يا حماتى ! أنا زوجة ابن أخيك الرابع، جئت لاستقبالك، من فضلك أجلسى ! (تشد يد كانغ شون ذى لتجلس).

كانغ شون ذى : زوجة ابن الأخ الرابع ؟

زوجة بانغ سى : حقًا، ولم أتزوج منذ أن تركت منزل بانغ.

كانغ شون ذى : ولكن لا تربطنى بمنزل بانغ ثمة علاقة، فماذا تريدين منى ؟

زوجة بانغ سى : ابن أخيك الرابع هاى شون أصبح الحاكم العظيم فى سان هوانج دو، كما أنه عضو كبير فى حزب الكومينتانغ، وأخ عن طريق الصداقة للمدير شين أيضًا، وسيكون الإمبراطور الجديد قريبًا، أليست أخبار سارة ؟

كانغ شون ذى : سيكون إمبراطوراً قريباً ؟

زوجة بانغ سى : آه ! وقد تم تجهيز الزى الإمبراطورى له، ويعتلى عرش الإمبراطورية فى شيشان !

كانغ شئون ذى : فى شيشان ؟

شياوتانغ تيه نوى: يا سيدتى ، يتمركز الجيش الثامن فى منطقة شيشان، والسيد بانغ سى سيعتلى عرش الإمبراطورية هناك ويبيد الجيش الثامن(*)، وتوافق حكومة نانكين على ذلك ؟

زوجة بانغ سى : السيد سى رجل طيب، وفى الفترة الأخيرة يدمن الخمر، ويلاحق الحسناوات الفاتنات، وقد تزوج ثلة من الخليلات !

شياوتانغ تيه نوى: يا سيدتى ، لقد ذكرت كتب التاريخ أن من يعتلى عرش الإمبراطورية يتزوج العشرات من الخليلات !

(*) أنظر معجم الأعلام التاريخية .

زوجة بانغ سى : أنت لست إمـبـراطورة ؛ فكيف عـرفت مـا يجـعل الإمبراطورة تتحمل وتصبر! يا مدام أطرح عليك هذه الفكرة : إذا كنت تؤازريننى، سأجعلك والدة للإمبراطور ، وأنا وأنت نتولى شئون الإمبراطور ، ويسهل ذلك علىَّ العمل، أليس كذلك ؟ يا مدام ، إذا ذهبت معى، سوف تأكلين أشهى المأكولات، وتشربين أفضل المشروبات، وتتدفق إلى جيبك العملات الفضية، أليس ذلك عملاً عظيماً !

كانغ شون ذى : وإذا رفضت أن أذهب معك ؟

زوجة بانغ سى : لا يهم ؟ لا تذهبى ؟ ( يوشك أن يبدو عليها أمارات الكراهية ).

شياوتانغ تيه نوى: أعطى للمدام وقتًا لتفكر فى الأمر جيداً !

كانغ شون ذى : لا داعى للتفكير، ولا أقيم مرة أخرى علاقة مع عائلة بانغ ! يا زوجة ابن الأخ الرابع، كونى إمبراطورة كما تشاءين، أما أنا فأظل العجوز الكادحة، ولا يهتم كل منا بحياة الآخر ! وأنت تحملقين الآن فى وجهى، أتعتقدين أنك ترعبيننى ؟ لقد عشت فى العراء لسنوات طويلة شحذت عزيمتى فيها، فمن يجترئ أن يحملق فى وجهى، أعرف أن أمد يدى وأسحقه ! ( تنهض وتنصرف ).

شياوتانغ تيه نوى: يا مدام ! يا مدام !

كانغ شون ذى : ( تقف، ثم تدور جسمها وتتحدث إلى شياو تانغ تيه

ذوى ) أنت، أيها الصبى، أين احترامك لذاتك، الوقت قد حان لتحصل على قوت حياتك من عرق جبينك، حسنًا أم لا ؟ ( تنصرف )

زوجة بانغ سى : ( تنفس غضبها فى وانغ لى فا ) يا معلّم وانغ، تعال ! تكلم مع تلك المرأة وحاول أن تقنعها، وإذا نجحت، سأرسل لك جوالاً من الدقيق الفاخر، أما إذا أخفقت سأحطم المقهى ! يا زعيم دين الطاوية، دعنا نذهب ! شياوتانغ تيه ذوى:يا معلّم وانغ سأحضر فى المساء مرة أخرى لأعرف إجابتك !

وانغ لى فا : وماذا إذا عاجلتنى المنية قبل ذلك ؟

زوجة بانغ سى : أيها الملعون ، أتستحق الحياة ؟ ( تنصرف مع شياو تنانغ تيه ذوى ، وتشون مى )

وانغ لى فا : آه !

زو فو يوان : ما شاهدته الآن ينتمى إلى أى نوع من المسرحيات ؟ يا أخى فوشى
آها آها آها !

وى شى : مثلت أكثر من مائتى مسرحية، ولكن لم أفهم تلك المسرحية ! أتعرف أصل وفصل تلك المرأة ؟

زو فو يوان : كيف لا أعرف ! إنها ابنة دونغ الطاغى، وفى منزل أبويها ولدت....، كفى، لا أذكر بالتفصيل، ولكنى أرى أن هؤلاء الأوباش دخلوا مرحلة صحوة الموت، ولن يطول عمرهم طويلاً !

يدخل وانغ داشوان.

**وانغ لي فــــا :** ياداشوان، خلي بالك من المقهى، لأنني أناقش أمرًا ما في الفناء الخلفي ! (تنصرف )

**شيــاو أر داذي :** ( يصيح في الخارج ) أفسحوا الطريق ! ( يدخل ) الأخ الأكبر داشوان، صب لي قدحًا من الشاى وأدفع النقود فورًا! ( يخرج من جيبه أربع عملات فضية، ويضعها على المنضدة واحدة بعد أخرج ) احسب معي، صرفت عملة توًا، وهنا أربع عملات، وأحصل على خمسة ماوات (*) مقابل الاعتداء على الآخرين بالضرب، فكم شخصًا ضربته ؟

**وانغ داشــــوان :** عشرة أشخاص.

**شيــاو أر داذي :** ( يعد على أصابعه ) صحيح ! أمس الأول ضربت أربعة أشخاص، وأمس ستة آخرين، صحيح المجموع عشرة ! الأخ الأكبر داشوان، خذ عملتين ! عندما أكون مفلسًا، أشرب الشاى مجانًا، وإذا كان معي نقود أعطى لك ! خذ! ( ينفخ في إحدى العملات، ويضعها في أذنه ويقول ) هذه العملة جيدة، تساوى عملتين، خذها !

**وانغ داشــــوان :** ( لم يأخذ النقود ) يا شياو أر داذي، أي عمل رائع تمارسه ؟ من الصعب أن نرى العملات الفضية !

(*) مفردها ماو وهو عملة صينية ، واليوان الصيني Yuan يساوى عشرة ماوات .
[ المترجم ]

شـيـاو أر داذى : ذهبت إلى المعهد !

وانـغ داشـــــوان : أنت لا تـعـرف أن تـفـرق بين الرمـز "ـــــ"[٣] وعـصى الكتف، فماذا تدرس ؟

شـيـاو أر داذى : ( يأخذ إبريق الشاى من فوق المنضدة، ويحتسى بعضاً منه، بصوت خفيض ) أرسلتنى لجنة حزب الكومينتانغ إلى مـعـهد القـانون والسيـاسـة. ولم أتقلد أبداً منصـباً مرموقاً هكذا، جميل جداً، ممتع للغاية ! وأفضل من العمل بكثير في تيان تشياو ! أحصل على خمس ماوات فضية مقابل ضرب طالب أو طالبة، فكم طالبًا ضربته أمس ؟

وانـغ دا شـــوان : ستة طلاب.

شـيـاو أر داذى : حـسنًا ! بالإضـافـة إلى طالبـتين كـانتـا فى الداخل. ضربتهما بقبضتى، جميل جداً، ممتع للغاية ! الأخ الأكبر داشوان، المس، جس ! (يمد ذراعيه) عضلات حديدية مثل الخرسانة المسلحة ! أضرب بها الطلاب والطالبات. أترى أن ذلك عمل رائع ؟

وانـغ داشـــــوان : وهل هم خانعون إلى هذا الحد، ويتركونك تضربهم ؟

شـيـاو أر داذى : أبحث بصـفـة خـاصـة عن هؤلاء الخـانعين وأضـربهم ! أترى أننى أبله ؟

وانـغ داشـــــوان : اسـمع ياشـيـاو أر داذى ، ضـرب الآخرين يعتـبر عمـلاً مشينًا !

شـيـوا أر داذى : ولكن من الصعب أن تقول ذلك أيضاً ! إننى أرى عندما يحاضر المسئول عن الشئون التعليمية فى المعهد حول

مبادئ حزب الكومينتانغ يضع مسدساً فوق المنضدة، ولكنى أستخدم قبضة يدى فقط، ولا استخدم أبداً مسدساً !

وانغ دا شوان : أى مسئول هذا، إنه صعلوك !

شياو أر داذى : نعم ! صعلوك ! لا، إذن أنا صعلوك أيضاً ! الأخ الأكبر داشوان، كيف تدور وتلف حول الأشياء وتلعننى ؟ الأخ الأكبر داشوان، كيف لا تخشى عضلاتى المفتولة أن تحطم عظامك !

وانغ داشوان : إذا ضربتنى حتى الموت، فلا تستطيع أن تقنعنى بأفعالك، أتستطيع ؟

شياو أر داذى : ( يصيح بصوت عال ) كيف تجرأت أن تتفوه بهذه الكلمات الملتوية ؟ الأخ الأكبر داشوان، يجب أن تكون مدرساً لمبادئ الحزب، لديك القدرة على ذلك ! حسناً، على أية حال لا أضرب اليوم الطلاب مرة أخرى !

وانغ داشوان : وما الفائدة من أن تتوقف عن الضرب اليوم ؟ يجب أن تتخلى عنه إلى الأبد !

شياو أر داذى : أليس عندى اليوم عمل آخر ؟

وانغ داشوان : أى عمل ؟

سياو أر داذى : اليوم أضرب المدرسين !

وانغ دا شوان : تضرب المدرسين ؟ ضرب الطلاب عمل خاطئ، فكيف تضرب المدرسين ؟

شياو أر داذى : ذكرت لك آنفاً كيف أرسلت إلى هنا وما هى مهمتى !

قالوا لي إن المدرسين يستعدون للقيام بإضراب، والإضراب عمل رجعي، ولذا يستحقون الضرب !
وطلبوا مني أن أحضر إلى هنا وأنتظر المدرسين، وأضرب من أراه منهم !

زو فو يوان : ( يشعر بالخطر ) يا أخي، هيا بنا نذهب !

وي فو شي : نمشي ! ( ينصرف مع زو فو يوان ).

شياو أر داذي : الأخ الأكبر داشوان، خذ هذه العملة !

وانغ دا شوان : حصلت عليها مقابل ضربك للطالبات، ولذا لا آخذها !

شياو أر داذي : ( يأخذ عملة أخرى ) غيرتها، هذه أخذتها مقابل ضرب الطلبة، حسنًا أم لا ؟ ( يرى وانغ داشوان مازال يومئ برأسه رافضًا ) إذن، راقب أنت المدرسين، وأنا أذهب لشراء بعض المأكولات الشهية، وأدعوك أن تأكل معي، أليست الحياة سوى أن نأكل ونشرب ونمتع أنفسنا ؟ ( يجمع النقود وينصرف ).

تدخل كانغ شون ذي حاملة حقيبة صغيرة، ثم يتبعها وانغ لي فا، وتشو شيو هوا.

كانغ شون ذي : يا معلّم وانغ، إذا غيرت تفكيرك وجعلتني لا أغادر هذا المكان، أستطيع أن أمكث هنا !

وانغ لي فا : أنا........

تشو شيو هوا : لا تجترئ زوجة يانغ سي أن تحطم المقهى بلا ورع !

وانغ لي فا : كيف عرفت ؟ أليس من السهل استفزاز جماعة سان هوانج دو ؟

كانغ شون ذى : إنى أكثر قلقًا من جراء زيارة دالى ! وإذا تسربت أخبار بشأن ذلك، سيتحطم منزلى كله ! وذلك أكثر ضرراً من تحطيم المقهى !

وانغ داشوان : يا عمة، اذهبى ! سأودعك ! بابا، هل أستطيع أن أودع العمة العجوز ؟

وانغ لى فا : أم ..........

تشو شيو هوا : ذاقت العمة هنا المر لعدة سنوات، وساعدتنا فى إنجاز العديد من الأعمال، وفى النهاية ألا يجب أن نودعها ؟

وانغ لى فا : لم أقل له إطلاقًا ألا يودعها ! ودعها ! ودعها !

وانغ داشوان : انتظرى هنيهة يا عمة، سأحضر الجاكت ( ينصرف ).

تشو شيو هوا : يا بابا، ماذا دهاك ؟

وانغ لى فا : لا تسألينى عن شئ مرة أخرى، أشعر بالإضطراب ! ولم أشعر بالإضطراب هكذا طوال حياتى ! يا زوجة الابن، اذهبى مع العمة، ثم يلحق بكما داشوان! ياعمة، إذا لم تتحملى مشقة الحياة هناك، فإننا نرحب بك !

تشو شيو هوا : هذا المكان يعتبر بمثابة منزلك إلى الأبد يا عمة !

وانغ لى فا : ولكن من يعرف ربما.......

كانغ شون ذى : وأنا أيضًا لا أستطيع أن أنساكم ! أنت تتمتع بالصحة والعافية ! ( تنصرف مع تشو شيو هوا ).

وانغ لى فا : ( يودعها لمسافة خطوتين ، ثم يقف متسمراً ) أتمتع بالصحة والعافية، ما فائدة ذلك ؟

تدخل شيه يونغ رين، وبوى خوجى.

شيه يونغ رين : (ينظر إلى الحائط، ثم يضع ثمن الشاى على المنضدة ) هات إبريقًا من الشاى، يا معلّم. ( يجلس ).

وانغ لى فـا : ( يأخذ النقود ) حسنًا.

يوى خـو جى : يا يونغ رين، أخشى أن تكون هذه آخر مرة نجلس معًا فى المقهى ؟

شيه يونغ رين : ولكننى سأحضر هنا كثيرًا فى المستقبل. لقد قررت تغيير عملى، سأعمل سائقًا للدراجة الثلاثية !

يوى خـو جى : سائق للدراجة الثلاثية بالتأكيد أفضل من مدرس فى مدرسة ابتدائية !

شيه يونغ رين : أنا مدرس للتربية البدنية، ولكنى أتضور جوعًا، والطلاب أيضًا، وكيف أدربهم على الألعاب الرياضية، أليس ذلك يثير الضحك ؟

تهرول وانغ شياو هوا إلى الداخل.

وانغ لى فـا : يا شياو هوا، كيف خرجت من المدرسة مبكرًا ؟

وانغ شياو هوا : قام المدرسون بإضراب ! ( ترى يوى خو جى، وشيه يونغ رين ) الأستاذ يوى، الأستاذ شيه ! أنتما لم تذهبا إلى المدرسة، ولم تشرحا لنا الدروس ؟ يجب عليكما أن تعلمانا ! وعندما غاب المدرسون، انخرط زملائى فى البكاء! وعقدنا اجتماعًا لنبحث الأمر، وقررنا من الآن فصاعدًا أن نلتزم جميعًا بالقواعد المدرسية ولا نثير حفيظة المدرسين !

يوى جـو جى : اسمعى يا شياو هوا ! والمدرسون لا يريدون أن

يعطلوا دراستكم، ولكن لا نجد ما يسد الرمق، وكيف نعمل مدرسين ؟ وعندنا أطفال. وليس من العدل أن نعلم أطفال الآخرين، ونترك أطفالنا أفلاذ أكبادنا يقهرهم الجوع، أليس كذلك ؟ يا عزيزتى، لا تقلقى، سنعقد اجتماعًا بمجرد الإنتهاء من احتساء الشاى، ربما نستطيع أن نصل إلى حل لتلك المشكلة !

شيه يونغ رين : راجعى دروسك فى البيت جيداً، ولا تضيعى وقتك هباء، يا شياو هوا !

يدخل وانغ داشوان قادمًا من الفناء الخلفى، متأبطًا حقيبة صغيرة.

وانغ شياو هوا : بابا، أقدم لك أستاذى !

وانغ داشوان : مدرسون، اخرجوا بسرعة ! أعدوا لكم شخصًا يهاجمكم من كمين !

وانغ لى فا : من ؟

وانغ داشوان : شياو أر داذى ! خرج الآن وسيعود حالاً !

وانغ لى فا : أيها السيدان، ارجع لكما نقود الشاى، (يعطيهما النقود) من فضلكما ! بسرعة!

وانغ داشوان : أنتما تتبعننى.

يدخل شياو أر داذى.

شياو أر داذى : المظاهرات تجتاح الشوارع ، لعنة الله عليهم ، لا نستطيع أن نشترى شيئًا ! الأخ الأكبر داشوان ، أين تذهب ؟ ومن هما هذان الشخصان ؟

وانغ داشـــوان : زبائن ! (ينصرف مع يوى خو جى، وشيه يونغ رين ).

شـيـاو أر داذى : قفوا ! ( لكن الأشخاص الثلاثة ينصرفون ) كيف ؟ لا تسمعون الكلام ؟ سألقنكم درسًا قاسيًا !

وانغ لى فـــا : يا شياو أر داذى !

شـيـاو أر داذى : ( يوجه ضربة بقبضة يده ) تذوق طعم هذه الضربة !

شيـه يونغ رين : ( يوجه ضربة لوجهه، ويركله بقدمه ) وأنت تذوق طعم هذه الضربة !

شـيـاو أر داذى : أيوه ! ( يسقط على الأرض ).

وانغ شـيـاو هوا : تستحق العقاب ! تستحق العقاب !

شيـه يونغ رين : أنهص، أضربك مرة ثانية !

شـيـاو أر داذى : ( ينهض، ويغطى وجهه بيده ) آها ! آها ! ( يتقهقر إلى الخلف ) آها !

وانغ داشـــوان : انصرفا بسرعة ! ( يحث المدرسين على الهرب ).

شـيـاو أر داذى : ( ينفس عن غضبه ) يا معلّم، أنت المسئول عما حدث، وأطلقت سراحهما، سأعاقبك فيما بعد ! وإذا كنت لا أستطيع أن أضربهما، لا يعنى ذلك إطلاقًا أننى لا أستطيع أن أضربك وأنت رجل عجوز ضعيف. ( ينصرف )

وانغ شـيـاو هوا : جدى، جدى ! شـيـاو أر داذى يطارد المدرسين ؟ أمر بغيض حقًا !

وانغ لى فـــا : لا يجرؤ ! أعرف جيداً أمثال ذلك الشرير، كلهم يتمادون فى تعسفهم إذا كان المرء خانعًا، أما إذا كان قويًا، فيخشون بطشه !

وانغ شيـاو هوا : وإذا جاء يضربك ؟

وانغ لـي فـــا : أنا ؟ أعرف كيفية معاملة هؤلاء الأشرار.

وانغ شيـاو هوا : أين ذهب والدى ؟

وانغ لـي فـــا : سيـعـود حـالاً، لا تهـتـمين ! اذهبى إلى الفناء الخلفى وراجعى دروسك، يا عزيزتى !

وانغ شيـاو هوا : ولكنـى آمل ألا يـؤذى المدرســين ، أنا قلقـة حقًا ! ( تنصرف ).

تهرول دينغ باو إلى الداخل.

ديـنـــغ بـــاو : يا معلّم، يا معلّم ! أخبرك بأمر مهم !

وانغ لـي فـــا : تكلمى، يا فتاة !

ديـنـــغ بـــاو : شياو ليو مـاذى لا ينوى خيراً ، ويعتزم أن يستولى على هذا المقهى !

وانغ لـي فـــا : يستولى على المقهى ؟ أيستحق هذا المقهى أن يستولوا عليه ؟

ديـنـــغ بـــاو : سيـأتون هنا بعـد لحظة، ليس عندى وقت لأشـرح لك، فكر فى طريقة للخلاص منهم !

وانغ لـي فـــا : أشكرك كثيراً يا فتاة !

ديـنـــغ بـــاو : جئت لأخبرك عن طيب خاطر، وأنت لا تكن غداراً !

وانغ لـي فـــا : يا فتاة، لا تقلقى، مازلت أحتفظ بقواى العضلية !

ديـنـــغ بـــاو : حسنًا ! أراك فيما بعد ! ( تنصرف )

تدخل تشو شيو هوا .

تشو شيو هوا : هم ذهبوا يا بابا !

وانغ لى فـا : حسنًا !

تشو شيو هوا : يخبرك والد شياو هوا لاداعى أن تقلق، وأنه سيعود بعد أن يوصلها إلى مكان دالى.

وانغ لى فـا : يعود أم لا، كما يحب !

تشو شيو هوا : بابا، ماذا دهاك ؟ لماذا أنت كئيب هكذا ؟ !

وانغ لى فـا : لا شئ ! لا شئ ! خلى بالك من شياو هوا. ألا تريد أن تأكل مكرونة بالحساء ؟ إذا كان هناك دقيق تبقى، أعملى لها سلطانية، طفلة مسكينة، لا يوجد شئ تأكله !

تشو شيو هوا : لا يوجد ثمة دقيق ! ولكن أحاول أن أعمل لها قليلاً من حساء قطع عجين الذرة وفول الصويا ! ( تنصرف )

يدخل شياو تانغ تيه ذوى.

شياو تانغ تيه ذوى: يا معلّم وانغ، هل وافقت ؟

وانغ لى فـا : فى المساء، فى المساء سأخبرك !

شياو تانغ تيه ذوى: يا معلّم وانغ، تشكو لىّ دائمًا من أن والدى شرب الشاى مجانًا طوال عمره، وأقول لك الآن عدة كلمات تنقذ حياتك، وبذلك أسدد دين والدى. أحذرك من أن جماعة سان هوانج دو أصبحت الآن أكثر شراسة من اليابانيين عندما كانوا هنا، ومن ثم تحطيم المقهى أسهل من تحطيم إناء فخارى ! ولا تكن غافلاً !

وانغ لى فـا : أعرف ! وهذا يدل على أنك إنسان طيب، وكل ما تريده أنت أن أمدحك أمام السيدة التى تدعى إمبراطورة ! أليس كذلك ؟

يدخل شياو سونغ إين ذى، وشياو وو شيانغ ذى، مرتديان ملابس أوروبية جديدة.

**شياو تانغ تيه نوى:** أيها السيدان، اليوم أنتما مشغولان كثيراً ؟

**شياو سونغ أين ذى:** مشغولان للغاية ! وتمرد لفيف كبير من المدرسين !

**وانغ لى فـــا :** أيها السيدان، " إضراب عن الدراسة " كيف أصبح يسمى " تمردًا " ؟

**شياو تانغ تيه نوى:** وما شأنك بهذا الأمر ؟

**شياو وو شيانغ ذى :** أيستطيعون أن يتمردوا فى السماء ؟ حتى الآن قد اعتقل أكثر من مائة شخص، وضرب أكثر من سبعين آخرين، وتلقنوا درسًا قاسيًا !

**شياو سونغ أين ذى:** لا يعرفون ما هو خير لهم ! وإذا كانوا مواطنون خلصاء، سترسل أمريكا شحنات الأرز ودقيق القمح !

**شياو تانغ تيه نوى:** نعم ! أيها السيدان، إذا كان هناك أرز ودقيق، لا تنسانى، وأنا سأبذل قصارى جهدى لاختيار موقع رائع لمقابر عائلاتكما ! حسنًا ! أنتما مشغولان ! (ينصرف )

**شياو وو شيانغ ذى:** أنت سألت توًا " إضراب عن الدراسة " كيف أصبح يسمى " تمردًا " ؟ يامعلم وانغ !

**وانغ لى فـــا :** أصبحت طاعنًا فى السن، وأضطر أن أسأل عن التغييرات الجديدة !

**شياو سونغ أين ذى :** آه ! أنت تنتمى إلى نفس عصابة المتمردين !

**وانغ لى فـــا :** أنا ؟ أنت مبالغ كثيراً فى تقييمك لىّ !

شياو ووشيانغ ذى: نحن مشغولون وليس عندنا وقت نثرثر معك، تكلم بصراحة !

وانغ لى فـا : أتكلم بصراحة ؟

شياوسونغ إين ذى: عندما يتمرد المدرسون، لابد أن يكون هناك محرض لهم !

وانغ لى فـا : من ؟

شياو ووشيانغ ذى: من حضر هنا مساء أمس ؟

وانغ لى فـا : كانغ دالى !

شياوسونغ إين ذى : هو الذى نبحث عنه ! سلمه لنا !

وانغ لى فـا : إذا كنت أعرف أنه من الأشرار، أأستطيع أن أذكر اسمه ارتجاليًا ؟ وهناك علاقة تربطنى بوالديكما منذ زمان بعيد، وهل لا أفهم هذه الحقيقة ؟

شياو ووشيانغ ذى: لا تحاورنا، قل الحقيقة !

وانغ لى فـا : ما هو هدفكما النقود أم اعتقال دالى ؟

شياوسونغ إين ذى : لقد أحسن والدى تعليمك ! حسنًا، إذا لم تلسمنا دالى، سنأخذ قضيب الذهب ! الحوانيت الأخرى تفتح وتغلق أبوابها، أما أنت مستمر طوال هذه السنوات، بالتأكيد لديك ثروة طائلة !

يهرول شياو أر داذى إلى الداخل.

شـياو أر داذى : انصرف بسرعة ! الناس فى الشارع قليلون ! انصرف بسرعة !

شياو ووشيانغ ذى: وماذا يعنيك يا نذل ؟

شـيـاو أر داذى : لم أفلت من عقابهم، أنظر، وجهى تورم تماماً !

شياو سونغ إين ذى : يا معلّم، سنعود فوراً، آملاً أن تقرر شيئًا !

وانـغ لـى فـــا : ألا تخشى أن أهرب ؟

شياو ووشيانغ ذى: أيها العجوز الأحمق، أنت تسخر منى، حتى إذا هربت إلى الجحيم، سنعتقلك أيضًا ! ( يضرب وانغ لى فا بقبضة يده، ثم ينصرف مع شياو سونغ إين ذى، وشياو أر داذى ).

وانـغ لـى فـــا : ( ينادى ناحية الفناء الخلفى ) يا شياو هوا ! يا أم شياو هوا !

تشـو شـيـو هوا : ( تهرول مع وانغ شياو هوا إلى الخارج ) سمعت كل شىء ! ماذا نفعل ؟

وانـغ لـى فـــا : انصرفى بسرعة ! والحقى بالعمة كانغ ! بسرعة !

وانغ شـيـاو هـوا : آخذ معى حقيبة المدرسة ! ( تنصرف ).

تشـو شـيـو هوا : خذى معك الملابس، يا شياو هوا ! بابا، وأنت تبقى بمفردك، ماذا تفعل ؟

وانـغ لـى فـــا : هذا المقهى ملكى، أعيش هنا، وأموت هنا !

تخرج وانغ شياو هوا حاملة حقيبة المدرسة على كتفها، ومتأبطة أشياء صغيرة.

تشـو شـيـو هوا : بابا !

وانغ شـيـاو هـوا : جدى !

وانـغ لـى فـــا : لا تبتئسا، انصرفا ! ( يخرج من جيبه كل النقود وصورة فوتوغرافية قديمة) يازوجة الابن، خذى هذه

النقود القليلة، يا شياو هوا، خذى هذه الصورة، إنها صورة مقهى يوتاى العتيق منذ ثلاثين عامًا مضت، أعطيها لوالدك ! انصرفا!

يدخل شياو ليو ماذى ومعه دينغ باو.

شياو ليو ماذى : يا شياو هوا، تذهبين إلى بيت جدتك، بينما المدرسون مضربون عن الدراسة؟

وانغ شياو هوا : نعم !

وانغ لى فا : ( فى رياء ) يا زوجة الابن، ارجعى مبكرًا بقدر استطاعتك !

تشو شيو هوا : بابا، سنمكث هناك يومين ثم نعود ! ( تنصرف مع وانغ شياو هوا ).

شياو ليو ماذى : يا معلّم وانغ، عندى أخبار سارة ! وافق المدير شين على خطتى !

وانغ لى فا : رائع جدًا، أنا مسرور لك !

شياو ليو ماذى : أنا مسرور لك أيضًا ! كما وافق المدير على ترميم هذا المقهى ! بمجرد أن أخبرته ! وقال "موافق" بلهجة أجنبية !

وانغ لى فا : ما حقيقة الأمر ؟

شياو ليو ماذى : من الآن فصاعدًا تستطيع أن تستريح ! وكل شىء هنا يصبح ملكًا لىّ، وأنت تنتقل إلى مكان آخر ! وأقول لك إن ذلك يجعلنا نتجنب مضايقتك لىّ فى المستقبل !

وانغ لى فا : لا تقلق إطلاقًا ! يا لها من صدفة، يدور بخلدى حاليًا

أن أنتقل إلى مكان آخر.

دينـــغ بـــاو: يا شياو ليو، مكث المعلم وانغ هنا سنوات طويلة ؟ وأنت لا تهتم به ألبتة ؟

شياو ليو مادى: ســنرى ، أنا أتعــامل دائمًــا بإخــلاص وصــدق مع الآخرين ! يا معلّم وانغ، سأذهب لإحضار المدير ليلقى نظرة على هذا المكان؛ لذا نظفّ ونظمّ المكان ! ياشياو دينــغ بــاو، اذهبى وأحضرى شياو شين يان لتكونا فى استقبال المدير ! وأحضرى زجاجة عطر ورشى المكان جيداً ؛ لأن رائحته كريهة ! اذهبى ! (ينصرف مع دينغ باو ).

وانغ لى فـــا : حسنًا ! رائع حقًا ! جميل جداً ! آها آها آها !

يدخل السيد تشانغ سى حاملاً سلة صغيرة، بداخلها بعض النقود الورقية عديمة القيمة (*) وفول سودانى. وعلى الرغم من أنه تجاوز السبعين، إلا أن خصره به انحناء طفيف.

السيد تشانغ سى: رائع حقًا ! جميل جداً ! ، أى أمر يا صديقى القديم !

وانغ لى فـــا : أيوه ! الأخ الأكبر تشانغ سى ! دار بخلدى أن أبحث عنك لنتجاذب أطراف الحديث ! أعد إبريقًا من أفضل أنواع الشاى لنشربه معًا الشاى الجيد ! (يذهب ليصب الشاى ).

(*) تشبه النقود الورقية الحقيقية ، وتستخدم لتنشر فى الجنائز . { المترجم }

يدخل تشين جون إى، وقد تغيرت ملامحه تماماً بعد أن أصبح طاعناً فى السن، وملابسه رثة للغاية.

تشين جــون إى : المعلم وانغ موجود ؟

السيد تشانغ سى : موجود ! أنت......

تشين جــون إى : اسمى تشين.

السيد تشانغ سى : السيد تشين أر.

وانـغ لى فـــا : ( يتقدم حاملاً الشاى ) من ؟ السيد تشين أر ؟ دار بخلدى أن أخبرك أن هنا حدث إصلاح كبير ! اجلس ! اجلس !

السيد تشانغ سى : معى هنا فول سودانى، ( يأخذ حفنة ) إنها متعة حقًّا أن نشرب شاى ونأكل فول سودانى !

تشين جــون إى : ولكن من يستطيع أن يمضغ ؟

وانـغ لى فـــا : غريب حقًّا، بعد أن فقدنا أسناننا، أصبح لدينا فول سودانى ! أمر مضحك فعلاً ! كيف حالك ؟ يا سيد تشين أر! ( يجلسون )

تشين جــون إى : لا يعيرننى الآخرون ثمة اهتمام، ولذا جئت لأخبرك : إنى سأذهب إلى تيانجين(*) لأتفقد أحوال مصنعى !

وانـغ لى فـــا : ألم يُصادر ؟ هل حصلت عليه مرة ثانية ؟ يا لها من أخبار سارة !

تشين جــون إى : لقد تحطم تماماً !

(*) تيانجين : من الموانى الصينية الرئيسية ، وتقع على بعد ١٢٠ كيلو متراً من العاصمة الصينية بكين { المترجم } .

السيد تشانغ سي : ⎤
                                  تحطم ؟
وانغ لي فــــا : ⎦

تشين جـــون إي : تحطم ! تحطم أربعين عـامًا من عـملي الشـاق ! وإذا كان لا يعرف الآخرون هذا، فـأنت تعرف يا مـعلّم وانغ: أنني منذ العقد الثالث من عمري كرست حياتي لإنقاذ البـلاد عن طريق التـصنيع. والآن..... اسـتـولوا على مصنعي، حسنًا، ولا أستطيع أن أفعل شيئًا لأن قوتي ضـئيلة ! كـان المصنع حـيويًا وحـقق الثـراء للبـلاد ! والنتيـجة كانت تحطيمه كما بيعت آلاته كخردة ! في العالم كله. في العـالم كـله، أتستطيع أن تجد مثل هذه الحكومة ؟ أنا أسألك !

وانغ لي فــــا : في البـداية، قــمت بإدارة نُزل، وأنت قــررت أن تبني مستودعًا للبضائع. ماذا حدث بعد ذلك ؟ أغلقت أبوابه وصـودرت كل البـضـائع ! في البداية، حذرتك ألا تبيع كل ممتلكاتك، ولكنك صـممت أن تبيـع كل شيء وتشيد مصنعًا !

السيد تشانغ سي : أتتـذكـر ؟ عندمـا سـخـرت مني عندمـا اعطيت المرأة العجوز التي كانت تبيع ابنتها سلطانية مكرونة.

تشين جـــون إي : الآن أدركت كل شيء ! يا مـعلّم وانغ، أرجـوك أن تؤدي ليّ عملاً: ( يخرج من جيبه قطعتين غيار آله وقلم حبر ) لقد تحطم المصنع، وجمعت تلك الأشياء من هناك. هذا القلم منقوش عليه اسمي، وهو يعرف، وقعت به كثيراً

من الشيكات، وكتبت به خطط كثيرة، والآن أعطى لك تلك الأشياء، وعندما يكون لديك وقت فراغ، تستطيع أن تقدمها لزبائن المقهى وتضحكهم، وتقول: كان هناك شخص يدعى تشين لا يعرف ما هو في صالحه، وكان يحلم بإدارة مصنع. وقد أدار مصنعًا لعدة سنوات، وفى النهاية جمع تلك الأشياء القليلة من بين حطام المصنع ! ويجب أن تنصحهم، إذا كان معهم نقود، يجب أن ينفقوها فى شرب الخمر وملاحقة الفتيات ولعب القمار وممارسة الأعمال الدنيئة، لأن العمل الجاد مضيعة للوقت، وألا يؤدوا أعمالاً نافعة مهما كانت الظروف ! وقل لهم إن ذلك الشخص تشين قد أدرك تلك الحقيقة التافهة بعد أن تجاوز سن السبعين ! إنه إنسان أحمق بالفطرة !

وانغ لى فـــا : خذ قلمك هذا، لأننى سوف أرحل من هنا توًا !

السيد تشانغ سى : إلى أين ترحل ؟

وانغ لى فـــا : أى مكان ! يا سيد تشين أر، يا سيد تشانغ سى، أنا لست مثلكما، السيد أر ثرى ومغامر وطموح، والأشجار الضخمة تتحمل وطأة هبوب الرياح ! وأنت يا سيد سى، لم تشعر بالراحة طوال حياتك، ولم تتدخر وسعًا فى سبيل مناهضة الظلم. أما أنا أحاول أن أرضى الآخرين طوال حياتى، وأحترم وأحنى ظهرى، وأنحنى ويدى متعانقتان أمامى لكل من أراه. ولا أريد سوى

تحقيق مستقبل سعيد لأولادى ويتوفر لديهم الطعام الكافي والملبس، ولا تقهرهم الكوارث، ولا تدهمهم الأمراض، ولكن عندما كان الغزاة اليابانيون هنا، اضطر ولدى الثانى أن يهرب، وماتت زوجتى مرضاً من شدة اشتياقها لرؤية ولدها ! جميل جداً، لقد تخلصنا من اليابانيين، ألا يجب أن تتحسن الأحوال كثيراً ؟ من يعرف؟ ( يضحك بمرارة ) آها آها ، آها آها ، آها آها !

السيد تشانغ سى : وأنا أكثر سوءاً منك أيضًا ! حصلت على قوت حياتى بفضل عضلاتى، وكان ضميرى معيار سلوكى طوال حياتى، ولذا أخفقت فى كل شىء ! والآن قد تجاوزت السبعين عامًا وانحط قدرى، وأبيع الفول السودانى ! ولكن ليس مهمًا حياة الأشخاص، أنا آمل أن تكون بلادنا قوية وأن تتخلص من اضطهاد الأجانب، لكن...... آها آها !

تشين جون إى : عندما كان اليابانيون هنا تحدثوا عن التعاون، وضموا مصنعى إليهم عنوة، وعندما جاءت حكومتنا، لم تتحسن أحوال المصنع، بل أصبح يدرج تحت اسم ملك لخائن، والبضائع كثيرة فى المستودع ( يشير إلى الخلف ) سرقت كلها ! آها آها !

وانغ لى فا : الإصلاح، لم أنسَ الإصلاح أبداً، ولا أريد أبدًا أن أبقى فى الصفوف الخلفية، وفتحت نُزُلاً بعد أن تعذر بيع

الشـاى ، ولكن أغلقت أبوابه ، فـفكرت فى إحـضـار عراف ! ولكن العراف لم يجذب المتفرجين ، حسنًا، لم أفقد مـاء وجـهى، لذا فكرت أن أؤجـر مضيفة إغراء ! يضـطر الإنسـان أن يعـيش فى هذه الحـيـاة، أليس كـذلك ؟ حـاولت أن أعـمل أى شـىء وكل شـىء من أجل أن تسـتمـر عـجلة الحـيـاة ! نعم، اضطررت أن أدفع رشوة ، أعطيتهم لفة بها بعض النقود، ولكن لم أرتكب إثمًا أو عملاً فاسقًا، فلماذا لا يتركوننى أعيش حياتى ؟ أذنبت فى حق من ؟ من ؟ يعـيش الكلاب من الرجـال والنسـاء فى العائلة الإمبراطورية حياة البذخ والترف، بينمـا أنا غـيـر مـسـمـوح لىَّ أن آكل خـبـز الذرة، من صاحب هذه الفكرة ؟

السيد تشانغ سى : أريد فـقط، أريد فـقط، لا أريد سوى أن نكون حكمـاء وعقلاء فيما بيننا، ولكن شهدت بعينى أصدقائى القدماء ماتوا جوعًا واحدًا تلو الآخر وبعضـهم قتلوا، وتجمدت الدموع فى مقلة عينى ! صديقى القديم، السيد سونغ أر مـات جوعًا، وخرجت أشـحذ لشـراء تابوت له ! وأنا صديقه أعددت له تابوتًا من أربعة ألواح خشبية، فماذا أعـددت لنفـسى ؟ أنا أحب بلادنا، ولكن من يحـبنى ؟ أنظر، ( يخـرج من السلة أوراق نقدية عديمة القيمة ) جـمـعت عـدة ورقـات نقدية زائفة بعد تشـيـيع الجنازة، ليس عندى كـفن ولا تابوت ؛ لذا اضطررت أن أجـهـز

لنفسى قليلاً من الأوراق النقدية الجنائزية، آها آها ،
آها آها !

تشين جـون أى : يا سيد سى، دعنا نعمل مراسيم الموت لأنفسنا ونشيع جنازتنا وننشر الأوراق النقدية الجنائزية، وكأننا أصبحنا نحن الثلاثة العجائز الحمقى فى عداد الأموات !

وانغ لى فـا : فكرة صائبة ! يا سيد سى، أصرخ عدة صرخات كما هو متبع فى تشييع الجنازة منذ القدم !

السيد تشانغ سى : ( ينهض واقفًا، يصرخ ) أسرة تطلب أربعة من حاملى الأعلام وتعطى لهم مائة وعشرين حبلاً من العملات النقدية ! ( ينثر على الأرض عدة ورقات نقدية جنائزية ) (*) .

تشين جـون أى :
وانغ لى فـا : ] مائة وعشرون حبلاً من العملات النقدية !

(*) منذ ثلاثين أو أربعين عامًا، وعند تشييع جنازة الأثرياء فى بكين، كان يحمل تابوت الموتى اثنان وثلاثون أو ثمانية وأربعون أو أربعة وستون شخصًا، ويطلق عليهم حاملو التابوت فى الأركان الأربعة. يضاف إليهم أربعة أشخاص آخرين يحملون الأعلام ويسيرون وراء حاملى التابوت فى الأركان الأربعة. ويتناوب الحاملون حمل التابوت عن طريق إشارات يعطيها لهم حاملو الأعلام، ثم يرجعون إلى الخلف فى نظام جم. وأثناء حمل التابوت فى الطريق، يجب أن يصيح قائد فريق الحاملين " زدْ النقود " ـــ فتقوم أسرة الميت أو العمة الكبرى بتوزيع النقود كمكافأة لحاملى التابوت، وعند طلب زيادة النقود، يجب الصياح بطريقة مُبالغ فيها. وآنذاك، يقوم أحد الأشخاص بنشر الأوراق النقدية الجنائزية على الأرض. [ *المترجم* ]

تشين جـون إى : ( يقبض على يد صديقه ) لم أقل شيئًا، إلى اللقاء !
( يخرج )

وانغ لى فـا : مع السلامة !

السيد تشانغ سى : أشرب سلطانية شاى مرة أخرى ! ( يحتسى الشاى حتى النهاية ) إلى اللقاء ! ( يخرج )

وانغ لى فـا : مع السلامة !

تدخل دينغ باو وشياو شين يان.

ديـنـغ بـاو : سيحضرون يا معلّم ! ( ترش العطر فى منتصف الحجرة ).

وانغ لى فـا : حسنًا يحضرون، وأنا أذهب ! ( يجمع الأوراق النقدية الجنائزية، ثم يتجه صوب الفناء الخلفى ).

شياو شين يان : يا معلّم، فيما يبدو كانت هنا جنازة ؟

وانغ لى فـا : من يعرف ! ( ينصرف ).

يدخل شياو ليو ماذى.

شياو ليو ماذى : حضرتما هنا ! قفا على جانبى الباب !

تقف دينغ بوا، وشياو شين يان على جانبى الباب يمنة ويسرة.

نسمع خارج الباب صوت توقف سيارة، ويدخل أولاً جنديان شرطة عسكرية. ثم يدخل المدير شين مرتديًا الزى العسكرى غير الرسمى، وحذاء عالى الساق، فى كعبه مهماز، وفى يده سوط الفارس. ويسير خلفه جنديان شرطة عسكرية.

المدير شين : ( ينظر إلى دينغ باو، وشياو شين يان كأنه يستعرض الجنود. وعندما ينهى النظر إليهما يقول ) حسنًا !

تحضر دينغ باو كرسيًا، وتطلب من المدير شين أن يتفضل بالجلوس.

شياو ليو ماذى : أخبر سيادة المدير، أن مقهى يوتاى يعمل منذ أكثر من ستين عامًا، وله شهرة كبيرة فى أماكن كثيرة، والموقع رائع أيضًا، ولذا سوف نستغل المقهى العتيق، ونجعله إحدى قواعدنا، وبالتأكيد سنحقق نجاحًا ! وإنى أقترح أن نستمر فى بيع الشاى، وتعمل ( يشير إلى ) شياو دينغ باو وشياو شين يان كمضيفتى إغراء. وأنا هنا أرقب الناس من كل الطبقات، وبالتأكيد نستطيع أن نحصل على معلومات كثيرة للقبض على أعضاء الحزب الشيوعى !

المدير شين : حسنًا !

تأخذ دينغ باو علبة سجائر ماركة الجمل من يد جندى الشرطة العسكرية، وتعطيها للمدير شين، ثم تأخذ شياو شين يان القداحة، وتشعل له سيجارة.

شياو ليو ماذى : فى الخلف كان يوجد مستودع بضائع، وأنت كنت المسئول عن البضائع، والآن أصبح فارغًا. أقترح أن تقوم بترميمه ونشيد فى الوسط صالة رقص صغيرة، وعلى الجانبين عدة حجرات نوم مزودة بالأدوات الصحية. وفى أوقات فراغ سيادتك، تستطيع أن

ترقص، وتلعب الورق، وتحتسى القهوة. وإذا كان الوقت متأخراً، وتشعر بالمتعة، تستطيع أن تقضى الليل هنا. وتعتبر هذا المكان نادى صغيراً خاصًا لسيادتك، وأنا المسئول عنه، ولذا بالتأكيد سيكون أكثر حركة، وملاءمة، وحيوية عن مقر إقامتك !

المدير شين : حسنًا !

بينغ باو : يا سيادة المدير، هل يمكن أن أقدم طلبًا صغيرًا ؟

المدير شين : حسنًا !

بينغ باو : حال المعلّم وانغ صاحب المقهى يثير الشفقة. أتستطيع أن تفصل له زيًا خاصًا، وتجعله يقف أمام الباب كالحارس، يقوم بتحية الضيوف أثناء ركوبهم ونزولهم من السيارات ؟ لقد مكث هنا عشرات السنين، ويعرفه الجميع، بل يمكن أن نعتبره ماركة تجارية قديمة !

المدير شين : حسنًا ! أحضره.

شياو ليو ماذى : حاضر ! ( يهرول إلى الفناء الخلفى ) يا معلّم وانغ ! يا معلّم وانغ ! يا صديق والدى الحميم، يا معلم ! ( يدخل الفناء الخلفي. وبعد لحظة يعود مسرعًا ) يا سيادة المدير لا أعرف لماذا شنق نفسه !

المدير شين : حسنًا ! حسنًا !

**يسدل الستار, انتهت المسرحية**

# الهوامش

(١) عبارة عن صلصلة غليظة القوام مصنوعة من فول الصويا والدقيق وغيرهما. [المترجم]

(٢٢) تعنى فى اللغة الصينية: الصغيرة [ المترجم ].

(١) رمز "ـ" فى اللغة الصينية يعنى "واحد" [ المترجم ]

## ملحق المسرحية

يتطلب الأمر أن يكون الوقت بين فصول هذه المسرحية طويلاً نسبيًا حتى تستطيع شخصيات المسرحية من تغيير ملابسهم ومناظرهم ، ومن ثم يقوم أحد الأشخاص ( يعتبر من شخصيات المسرحية أيضًا ) بغناء بعض الأغاني الشعبية سريعة الإيقاع حتى لا تبدو فترة الاستراحة طويلة وفي الوقت نفسه يستطيع أيضًا أن يقدم مضمون المسرحية بصورة موجزة .

## مقدمة الفصل الأول

(أنا) يانغ الأحمق، تصطحبني نغمات المُصفقة(*) وجئت إلى المقهى الكبير يوتاى العتيق الكبير، العمل داخلك نشط ومزدهر حقًا . والزبائن كثيرون، وتعج بالضجيج، ويدلف إليك الكبار والصغار، البعض يتجاذب أطراف الحديث، والآخرون يغنون، ويرتدى الزبائن ملابس مختلفة، البعض يحمل أقفاص الطيور في يده، والآخرون على راحة أيديهم، وهناك أيضًا صرار الليل والجراد ترعاهم العناية الفائقة. بعض الزبائن يأكلون، والآخرون يشربون، والمفلس يضطر أن يختلس النظر. تحب أن تلعب الشطرنج، (أنتم) تعالوا نلعب معًا، والخاسر يدفع ثمن (طبق صغير) من اللحم المكور المقلى المُتبل بالملح والفلفل. تسعى للتفاخر

(*) عبارة عن عظمتين مسطحتين يمسك بهما المرء بين أصابعه لإحداث بعض النغمات . [ المترجم ] .

والتباهى وتتحدث بأدب جم«وصوت السعال يشبه غناء أوبرا طويلة. وبالمثل، أنصت إلى كلامى: تذكر جيداً ألا تناقش شئون البلاد. أف ! شئون البلاد مخزية للغاية، ومكانة الإمبراطور تتضاءل بمرور الأيام. والوزراء المدنيون والعسكريون، يلوذون بالفرار عندما يرون الأجانب. بينما تتكدس البضائع الأجنبية كالجبال فى الأسواق، بالإضافة إلى الأفيون، والفلاحون أتعس المخلوقات، لا يجدون الطعام ولا الثياب، ويضطرون إلى بيع البنات والأولاد. الحكام يزدادون ثراءً، وعامة الشعب تزداد فقراً، وانبثق تان سى تونغ من حكومة تشينغ، ويقومون بالإصلاح، أفكار نبيلة، وهناك أيضاً كانغ يو وى وليانغ تشى تشاو. وحركة الإصلاح هزت الأرجاء، واستشاطت أم الإمبراطور(*) غضباً وكشرت عن أنيابها. تريد أن تقتل، تريد أن تسفك الدماء، وقالت إن الإصلاح يعتبر تمرداً. لا تتحدث عن الإصلاح والحديث كثيراً عنه ربما يفسد العقول.

يفتح الستار تدريجياً، ويدخل الأحمق يانغ المقهى.

أخطو خطوات واسعة للأمام، وتصطحبنى نغمات المُصفقة، وأدخل المقهى لأبحث عن الزبائن.

من يحب أن يستمع إلىّ.

مشهد من أوبرا موكو بينغ تقتل إبنها.

يدخل وانغ لى فا.

(*) أنظر قاموس الأعلام التاريخية.

المعلّم وانغ، حقق ثراءً فاحشاً.

وتدفق إلى جيبه الذهب والفضة.

أنت لديك المال، وأنا قصاص شعبي،

دهمه الفقر، لا أملك سوى لساني . ( ينصرف )

## مقدمة الفصل الثاني

أنا القصاص الشعبي أحضر مرة ثانية، وتصطحبني نغمات المُصفِّقة، ومازلت فقيراً معدوماً .

وفي الوقت الحاضر، في عهد جمهورية الصين (*)، قص الناس ضفائر شعورهم، ولا يملكون حيلة.

المعلّم وانغ، يجهد ذهنه.

يغير كل الأشياء، ويتطلع إلى الإصلاح.

( في صوت منخفض ) أرهق ذهنه، وضاعت جهوده سدى، ولا يزال لا يجد مفراً من مأزقه.

ويضرم الزعماء العسكريون نيران الحرب، بصورة فوضوية، ويبيدون بعضهم بعضاً بصورة همجية.

جاو يحارب تشيان، وسون يحارب لي، ويطلقون النيران عشوائياً، بينما يفتقر الجميع إلى الحجة.

(*) من عام ١٩١١ إلى عام ١٩٤٩ . [ المترجم ]

والحرب تحتاج إلى بنادق، ولذا أنفقوا ثروتنا فى شراء الأسلحة من الأجانب .

ويبيع الأجانب المدافع، والبنادق لمساعدة القادة العسكريين أن يحتلوا النهر الأصفر ونهر اليانغتسى .

وأصابت الكوارث عامة الشعب، وتدفق الجنود ينهبون المحاصيل والماشية.

المعلّم وانغ، قام بالإصلاح، وأصبح المقهى يشبه الجامعة، ويقطن طلاب الجامعات، فى الخلف، يتحدثون بأدب جم، وبلغة تستريح لها الأذن حقًا.

ولكنه يخشى الأعمال البربرية للجنود، يدخلون المقهى ويجهزون على كل شىء .

وليس هنا مجال للحديث المشئوم، ونقدم له التهنئة على إصلاحه الجيد.

يستعد للعمل، وأنا أهنئه، وأضيف كلمات جديدة، وأنا حاذق فى هذا الشأن .   (ينصرف)

(يدخل مرة ثانية)  مقهى يوتاى العتيق، حققت تغيرًا ضخمًا، وكل شىء  يسير نحو الأفضل والأحسن.

وانغ لى فا : نعطى صدقة اليوم ، ونبدأ العمل غدًا .

غدًا يحمل بشير الخير، غدًا يوم عظيم، ويمتلئ جيبك بالذهب والفضة.

نسمع أصوات طلقات المدفعية.

أنت تستعد للعمل، وهو يطلق النيران، والاضطرابات تحلّ بنا غداً.

وانغ لى فا : انصرف إلى شأنك !

يدخل الأحمق يانغ.

## مقدمة الفصل الثالث

الأشجار عتيقة، والأوراق على الأغصان قليلة، وظهرُ العجوز متقوس، ورأسه مطأطأ .

لا تقل حياتي صعبة، بل المعلّم وانغ حياته عسيرة أيضاً.

(هو) أصبح طاعناً في السن، وفقيراً أيضاً.

ولا يرتدي سوى جاكت قطني مهلهل.

ومنذ أن احتلت القوات اليابانية، لمدة ثمان سنوات، مدينة بكين العتيقة المهيبة.

وحياة الشعب مريرة، ولا نستطيع أن نصف محنته، ولم يعد أمامه سوى الموت أو تحمل المعاناة.

ولكن الجيش الثامن الباسل، استحوذ على قلوب الجميع، لأنه طرد وسحق الجيش اليابانى فى معركة تلو الأخرى.

وينظرون إلى النجوم، وينظرون إلى القمر، ويتطلعون إلى الانتصار الذى يملأ النفوس بالأمل.

( أم ) حــزب الكومــينتــانغ (*) الرجــعى دخل بكين، وهو مــثل اليابانيون، يعث الفساد فى البلاد.

المعلّم وانغ، تحاصره المصاعب، وأصبح كمثلى، يتأرجح بين الحياة والموت.

المقهى العتيق، أصبحت فى حالة يرثى لها، وحاول المعلّم وانغ أن ينقذك بشتى الطرق، ولكن دون فائدة.

الرحمة من السماء، الرحمة من الأرض، لأن الحكام الكبار يتقلبون فى الثراء الأجنبى. (ينصرف)

بعد أن قضى نحب المعلّم وانغ، يدخل الأحمق يانغ مرة أخرى.

ويرى شياو دينغ باو منخرطة فى البكاء، فيقول:

أيتها الفتاة العزيزة، لا تبكى هكذا،

الليل الدامس يقهره ضوء النهار.

أيتها الفتاة العزيزة، لا داعى للقلق،

مياه ينابيع التلال الغربية تنحدر نحو الشرق.

وداعًا للآلام، وأهلاً بالآمال،

ولا يكون أحد منا عبيدًا أبدًا.

(*) أنظر المقدمة التاريخية.

# المحتويـــات

# المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

# المشروع القومى للترجمة

١ – اللغة العليا (طبعة ثانية) — جون كوين — ت : أحمد درويش
٢ – الوثنية والإسلام — ك. مادهو بانيكار — ت : أحمد فؤاد بلبع
٣ – التراث المسروق — جورج جيمس — ت : شوقى جلال
٤ – كيف تتم كتابة السيناريو — انجا كاريتنكوفا — ت : أحمد الحضرى
٥ – ثريا فى غيبوبة — إسماعيل فصيح — ت : محمد علاء الدين منصور
٦ – اتجاهات البحث اللسانى — ميلكا إفيتش — ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ – العلوم الإنسانية والفلسفة — لوسيان غولدمان — ت : يوسف الأنطكى
٨ – مشعلو الحرائق — ماكس فريش — ت : مصطفى ماهر
٩ – التغيرات البيئية — أندرو س. جودى — ت : محمود محمد عاشور
١٠ – خطاب الحكاية — جيرار جينيت — ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١ – مختارات — فيسوافا شيمبوريسكا — ت : هناء عبد الفتاح
١٢ – طريق الحرير — ديفيد براونيستون وايرين فرانك — ت : أحمد محمود
١٣ – ديانة الساميين — روبرتسن سميث — ت : عبد الوهاب علوب
١٤ – التحليل النفسى والأدب — جان بيلمان نويل — ت : حسن المودن
١٥ – الحركات الفنية — إدوارد لويس سميث — ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦ – أثينة السوداء — مارتن برنال — ت : بإشراف / أحمد عتمان
١٧ – مختارات — فيليب لاركين — ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ – الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية — مختارات — ت : طلعت شاهين
١٩ – الأعمال الشعرية الكاملة — جورج سفيريس — ت : نعيم عطية
٢٠ – قصة العلم — ج. ج. كراوثر — ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ – خوخة وألف خوخة — صمد بهرنجى — ت : ماجدة العنانى
٢٢ – مذكرات رحالة عن المصريين — جون أنتيس — ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ – تجلى الجميل — هانز جيورج جادامر — ت : سعيد توفيق
٢٤ – ظلال المستقبل — باتريك بارندر — ت : بكر عباس
٢٥ – مثنوى — مولانا جلال الدين الرومى — ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦ – دين مصر العام — محمد حسين هيكل — ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ – التنوع البشرى الخلاق — مقالات — ت : نخبة
٢٨ – رسالة فى التسامح — جون لوك — ت : منى أبو سنه
٢٩ – الموت والوجود — جيمس ب. كارس — ت : بدر الديب
٣٠ – الوثنية والإسلام (ط٢) — ك. مادهو بانيكار — ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١ – مصادر دراسة التاريخ الإسلامى — جان سوفاجيه - كلود كاين — ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ – الانقراض — ديفيد روس — ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ – التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية — أ. ج. هوبكنز — ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤ – الرواية العربية — روجر آلن — ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ – الأسطورة والحداثة — پول . ب . ديكسون — ت : خليل كلفت

| العنوان | المؤلف | المترجم |
|---|---|---|
| ٣٦ – نظريات السرد الحديثة | والاس مارتن | ت : حياة جاسم محمد |
| ٣٧ – واحة سيوة وموسيقاها | بريجيت شيفر | ت : جمال عبد الرحيم |
| ٣٨ – نقد الحداثة | آلن تورين | ت : أنور مغيث |
| ٣٩ – الإغريق والحسد | بيتر والكوت | ت : منيرة كروان |
| ٤٠ – قصائد حب | آن سكستون | ت : محمد عيد إبراهيم |
| ٤١ – ما بعد المركزية الأوربية | بيتر جران | ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد |
| ٤٢ – عالم ماك | بنجامين باربر | ت : أحمد محمود |
| ٤٣ – اللهب المزدوج | أوكتافيو پاث | ت : المهدى أخريف |
| ٤٤ – بعد عدة أصياف | ألدوس هكسلى | ت : مارلين تادرس |
| ٤٥ – التراث المغدور | روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين | ت : أحمد محمود |
| ٤٦ – عشرون قصيدة حب | بابلو نيرودا | ت : محمود السيد على |
| ٤٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث (١) | رينيه ويليك | ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد |
| ٤٨ – حضارة مصر الفرعونية | فرانسوا دوما | ت : ماهر جويجاتى |
| ٤٩ – الإسلام فى البلقان | هـ . ت . نوريس | ت : عبد الوهاب علوب |
| ٥٠ – ألف ليلة وليلة أو القول الأسير | جمال الدين بن الشيخ | ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى |
| ٥١ – مسار الرواية الإسبانو أمريكية | داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى | ت : محمد أبو العطا |
| ٥٢ – العلاج النفسى التدعيمى | بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل | ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش |
| ٥٣ – الدراما والتعليم | أ . ف . ألنجتون | ت : مرسى سعد الدين |
| ٥٤ – المفهوم الإغريقى للمسرح | ج . مايكل والتون | ت : محسن مصيلحى |
| ٥٥ – ما وراء العلم | جون بولكنجهوم | ت : على يوسف على |
| ٥٦ – الأعمال الشعرية الكاملة (١) | فديريكو غرسية لوركا | ت : محمود على مكى |
| ٥٧ – الأعمال الشعرية الكاملة (٢) | فديريكو غرسية لوركا | ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى |
| ٥٨ – مسرحيتان | فديريكو غرسية لوركا | ت : محمد أبو العطا |
| ٥٩ – المحبرة | كارلوس مونييث | ت : السيد السيد سهيم |
| ٦٠ – التصميم والشكل | جوهانز ايتين | ت : صبرى محمد عبد الغنى |
| ٦١ – موسوعة علم الإنسان | شارلوت سيمور – سميث | مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى |
| ٦٢ – لذّة النّص | رولان بارت | ت : محمد خير البقاعى . |
| ٦٣ – تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢) | رينيه ويليك | ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد |
| ٦٤ – برتراند راسل (سيرة حياة) | الان وود | ت : رمسيس عوض . |
| ٦٥ – فى مدح الكسل ومقالات أخرى | برتراند راسل | ت : رمسيس عوض . |
| ٦٦ – خمس مسرحيات أندلسية | أنطونيو جالا | ت : عبد اللطيف عبد الحليم |
| ٦٧ – مختارات | فرناندو بيسوا | ت : المهدى أخريف |
| ٦٨ – نتاشا العجوز وقصص أخرى | فالنتين راسبوتين | ت : أشرف الصباغ |
| ٦٩ – العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين | عبد الرشيد إبراهيم | ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى |
| ٧٠ – ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية | أوخينيو تشانج رودريجث | ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد |
| ٧١ – السيدة لا تصلح إلا للرمى | داريو فو | ت : حسين محمود |

| | | |
|---|---|---|
| ٧٢ – السياسي العجوز | ت . س . إليوت | ت : فؤاد مجلي |
| ٧٣ – نقد استجابة القارئ | چين . ب . تومبكنز | ت : حسن ناظم وعلي حاكم |
| ٧٤ – صلاح الدين والمماليك في مصر | ل . ا . سيمينوڤا | ت : حسن بيومي |
| ٧٥ – فن التراجم والسير الذاتية | أندريه موروا | ت : أحمد درويش |
| ٧٦ – جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي | مجموعة من الكتاب | ت : عبد المقصود عبد الكريم |
| ٧٧ – تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٣ | رينيه ويليك | ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد |
| ٧٨ – العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية | رونالد روبرتسون | ت : أحمد محمود ونورا أمين |
| ٧٩ – شعرية التأليف | بوريس أوسبنسكي | ت : سعيد الغانمي وناصر حلاوي |
| ٨٠ – بوشكين عند «نافورة الدموع» | ألكسندر بوشكين | ت : مكارم الغمري |
| ٨١ – الجماعات المتخيلة | بندكت أندرسن | ت : محمد طارق الشرقاوي |
| ٨٢ – مسرح ميجيل | ميجيل دي أونامونو | ت : محمود السيد علي |
| ٨٣ – مختارات | غوتفريد بن | ت : خالد المعالي |
| ٨٤ – موسوعة الأدب والنقد | مجموعة من الكتاب | ت : عبد الحميد شيحة |
| ٨٥ – منصور الحلاج (مسرحية) | صلاح زكي أقطاي | ت : عبد الرازق بركات |
| ٨٦ – طول الليل | جمال مير صادقي | ت : أحمد فتحي يوسف شتا |
| ٨٧ – نون والقلم | جلال آل أحمد | ت : ماجدة العناني |
| ٨٨ – الابتلاء بالتغرب | جلال آل أحمد | ت : إبراهيم الدسوقي شتا |
| ٨٩ – الطريق الثالث | أنتوني جيدنز | ت : أحمد زايد ومحمد محيي الدين |
| ٩٠ – وسم السيف (قصص) | نخبة من كُتّاب أمريكا اللاتينية | ت : محمد إبراهيم مبروك |
| ٩١ – المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق | باربرا الاسويستكا | ت : محمد هناء عبد الفتاح |
| ٩٢ – أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكي المعاصر | كارلوس ميجل | ت : نادية جمال الدين |
| ٩٣ – محدثات العولمة | مايك فيذرستون وسكوت لاش | ت : عبد الوهاب علوب |
| ٩٤ – الحب الأول والصحبة | صمويل بيكيت | ت : فوزية العشماوي |
| ٩٥ – مختارات من المسرح الإسباني | أنطونيو بويرو باييخو | ت : سري محمد محمد عبد اللطيف |
| ٩٦ – ثلاث زنبقات ووردة | قصص مختارة | ت : إدوار الخراط |
| ٩٧ – هوية فرنسا (مج ١) | فرنان برودل | ت : بشير السباعي |
| ٩٨ – الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني | نماذج ومقالات | ت : أشرف الصباغ |
| ٩٩ – تاريخ السينما العالمية | ديفيد روبنسون | ت : إبراهيم قنديل |
| ١٠٠ – مساءلة العولمة | بول هيرست وجراهام تومبسون | ت : إبراهيم فتحي |
| ١٠١ – النص الروائي (تقنيات ومناهج) | بيرنار فاليط | ت : رشيد بنحدو |
| ١٠٢ – السياسة والتسامح | عبد الكريم الخطيبي | ت : عز الدين الكتاني الإدريسي |
| ١٠٣ – قبر ابن عربي يليه آياء | عبد الوهاب المؤدب | ت : محمد بنيس |
| ١٠٤ – أوبرا ماهوجني | برتولت بريشت | ت : عبد الغفار مكاوي |
| ١٠٥ – مدخل إلى النص الجامع | جيرار جينيت | ت : عبد العزيز شبيل |
| ١٠٦ – الأدب الأندلسي | د. ماريا خيسوس روبييرا متي | ت : أشرف علي دعدور |
| ١٠٧ – صورة الفدائي في الشعر الأمريكي المعاصر | نخبة | ت : محمد عبد الله الجعيدي |

١٠٨ – ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي — مجموعة من النقاد — ت : محمود علي مكي
١٠٩ – حروب المياه — چون بولوك وعادل درويش — ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ – النساء في العالم النامي — حسنة بيجوم — ت : منى قطان
١١١ – المرأة والجريمة — فرانسيس هيندسون — ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ – الاحتجاج الهادئ — أرلين علوي ماكليود — ت : إكرام يوسف
١١٣ – راية التمرد — سادي پلانت — ت : أحمد حسان
١١٤ – مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع — وول شوينكا — ت : نسيم مجلي
١١٥ – غرفة تخص المرء وحده — فرچينيا وولف — ت : سمية رمضان
١١٦ – امرأة مختلفة (درية شفيق) — سينثيا نلسون — ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ – المرأة والجنوسة في الإسلام — ليلى أحمد — ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ – النهضة النسائية في مصر — بث بارون — ت : لميس النقاش
١١٩ – النساء والأسرة وقوانين الطلاق — أميرة الأزهري سنبل — ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ – الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط — ليلى أبو لغد — ت : نخبة من المترجمين
١٢١ – الدليل الصغير في كتابة المرأة العربية — فاطمة موسى — ت : محمد الجندي ، وإيزابيل كمال
١٢٢ – نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان — جوزيف فوجت — ت : منيرة كروان
١٢٣ – الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية — نيقولاي إيفانوف — ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤ – الفجر الكاذب — چون جراي — ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ – التحليل الموسيقي — سيدريك ثورپ ديفي — ت : سمحه الخولي
١٢٦ – فعل القراءة — فولفانج إيسر — ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ – إرهاب — صفاء فتحي — ت : بشير السباعي
١٢٨ – الأدب المقارن — سوزان باسنيت — ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ – الرواية الاسبانية المعاصرة — ماريا دولورس أسيس جاروته — ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ – الشرق يصعد ثانية — أندريه جوندر فرانك — ت : شوقي جلال
١٣١ – مصر القديمة (التاريخ الاجتماعي) — مجموعة من المؤلفين — ت : لويس بقطر
١٣٢ – ثقافة العولمة — مايك فيذرستون — ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ – الخوف من المرايا — طارق علي — ت : طلعت الشايب
١٣٤ – تشريح حضارة — باري ج. كيمب — ت : أحمد محمود
١٣٥ – المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء) — ت. س. إليوت — ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ – فلاحو الباشا — كينيث كونو — ت : سحر توفيق
١٣٧ – مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية — جوزيف ماري مواريه — ت : كاميليا صبحي
١٣٨ – عالم التليفزيون بين الجمال والعنف — إيفلينا تاروني — ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ – پارسيفال — ريشارد فاجنر — ت : مصطفى ماهر
١٤٠ – حيث تلتقي الأنهار — هربرت ميسن — ت : أمل الجبوري
١٤١ – اثنتا عشرة مسرحية يونانية — مجموعة من المؤلفين — ت : نعيم عطية
١٤٢ – الإسكندرية : تاريخ ودليل — أ. م. فورستر — ت : حسن بيومي
١٤٣ – قضايا التنظير في البحث الاجتماعي — ديريك لايدار — ت : عدلي السمري
١٤٤ – صاحبة اللوكاندة — كارلو جولدوني — ت : سلامة محمد سليمان

| العنوان | المؤلف | المترجم |
|---|---|---|
| ١٨٢ - العنف والنبوءة | و . ب . ييتس | ت : ياسين طه حافظ |
| ١٨٣ - جان كوكتو على شاشة السينما | رينيه جيلسون | ت : فتحى العشرى |
| ١٨٤ - القاهرة .. حالمة لا تنام | هانز إبندورفر | ت : دسوقى سعيد |
| ١٨٥ - أسفار العهد القديم | توماس تومسن | ت : عبد الوهاب علوب |
| ١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل | ميخائيل أنوود | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ١٨٧ - الأرضة | بُزُرْج علوى | ت : علاء منصور |
| ١٨٨ - موت الأدب | ألفين كرنان | ت : بدر الديب |
| ١٨٩ - العمى والبصيرة | بول دى مان | ت : سعيد الغانمى |
| ١٩٠ - محاورات كونفوشيوس | كونفوشيوس | ت : محسن سيد فرجانى |
| ١٩١ - الكلام رأسمال | الحاج أبو بكر إمام | ت : مصطفى حجازى السيد |
| ١٩٢ - سياحتنامه إبراهيم بيك | زين العابدين المراغى | ت : محمود سلامة علاوى |
| ١٩٣ - عامل المنجم | بيتر أبراهامز | ت : محمد عبد الواحد محمد |
| ١٩٤ - مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى | مجموعة من النقاد | ت : ماهر شفيق فريد |
| ١٩٥ - شتاء ٨٤ | إسماعيل فصيح | ت : محمد علاء الدين منصور |
| ١٩٦ - المهلة الأخيرة | فالنتين راسبوتين | ت : أشرف الصباغ |
| ١٩٧ - الفاروق | شمس العلماء شبلى النعمانى | ت : جلال السعيد الحفناوى |
| ١٩٨ - الاتصال الجماهيرى | إدوين إمرى وآخرون | ت : إبراهيم سلامة إبراهيم |
| ١٩٩ - تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية | يعقوب لانداوى | ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد |
| ٢٠٠ - ضحايا التنمية | جيرمى سيبروك | ت : فخرى لبيب |
| ٢٠١ - الجانب الدينى للفلسفة | جوزايا رويس | ت : أحمد الأنصارى |
| ٢٠٢ - تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٤ | رينيه ويليك | ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد |
| ٢٠٣ - الشعر والشاعرية | الطاف حسين حالى | ت : جلال السعيد الحفناوى |
| ٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم | زالمان شازار | ت : أحمد محمود هويدى |
| ٢٠٥ - الجينات والشعوب واللغات | لويجى لوقا كافاللى - سفورزا | ت : أحمد مستجير |
| ٢٠٦ - الهيولية تصنع علماً جديداً | جيمس جلايك | ت : على يوسف على |
| ٢٠٧ - ليل إفريقى | رامون خوتاسندير | ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف |
| ٢٠٨ - شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى | دان أوريان | ت : محمد أحمد صالح |
| ٢٠٩ - السرد والمسرح | مجموعة من المؤلفين | ت : أشرف الصباغ |
| ٢١٠ - مثنويات حكيم سنائى | سنائى الغزنوى | ت : يوسف عبد الفتاح فرج |
| ٢١١ - فرديناند دوسوسير | جوناثان كلر | ت : محمود حمدى عبد الغنى |
| ٢١٢ - قصص الأمير مرزبان | مرزبان بن رستم بن شروين | ت : يوسف عبد الفتاح فرج |
| ٢١٣ - مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر | ريمون فلاور | ت : سيد أحمد على الناصرى |
| ٢١٤ - قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع | أنتونى جيدنز | ت : محمد محمود محى الدين |
| ٢١٥ - سياحت نامه إبراهيم بيك جـ٢ | زين العابدين المراغى | ت : محمود سلامة علاوى |
| ٢١٦ - جوانب أخرى من حياتهم | مجموعة من المؤلفين | ت : أشرف الصباغ |
| ٢١٧ - مسرحيتان طليعيتان | صمويل بيكيت | ت : نادية البنهاوى |
| ٢١٨ - رايولا | خوليو كورتازان | ت : على إبراهيم على منوفى |

| | | |
|---|---|---|
| ٢١٩ – بقايا اليوم | كازو ايشجورو | ت : طلعت الشايب |
| ٢٢٠ – الهيولية فى الكون | بارى باركر | ت : على يوسف على |
| ٢٢١ – شعرية كفافى | جريجورى جوزدانيس | ت : رفعت سلام |
| ٢٢٢ – فرانز كافكا | رونالد جراى | ت : نسيم مجلى |
| ٢٢٣ – العلم فى مجتمع حر | بول فيرابنر | ت : السيد محمد نفادى |
| ٢٢٤ – دمار يوغسلافيا | برانكا ماجاس | ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد |
| ٢٢٥ – حكاية غريق | جابرييل جارثيا ماركث | ت : السيد عبد الظاهر عبد الله |
| ٢٢٦ – أرض المساء وقصائد أخرى | ديفيد هربت لورانس | ت : طاهر محمد على البربرى |
| ٢٢٧ – المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر | موسى ماريديا ديف بوركى | ت : السيد عبد الظاهر عبد الله |
| ٢٢٨ – علم الجمالية وعلم اجتماع الفن | جانيت وولف | ت : مارى تيريز عبد المسيح وخالد حسن |
| ٢٢٩ – مأزق البطل الوحيد | نورمان كيمان | ت : أمير إبراهيم العمرى |
| ٢٣٠ – عن الذباب والفئران والبشر | فرانسواز جاكوب | ت : مصطفى إبراهيم فهمى |
| ٢٣١ – الدرافيل | خايمى سالوم بيدال | ت : جمال أحمد عبد الرحمن |
| ٢٣٢ – مابعد المعلومات | توم ستينر | ت : مصطفى إبراهيم فهمى |
| ٢٣٣ – فكرة الاضمحلال | أرثر هيرمان | ت : طلعت الشايب |
| ٢٣٤ – الإسلام فى السودان | ج. سبنسر تريمنجهام | ت : فؤاد محمد عكود |
| ٢٣٥ – ديوان شمس تبريزى ج١ | جلال الدين الرومى | ت : إبراهيم الدسوقى شتا |
| ٢٣٦ – الولاية | ميشيل تود | ت : أحمد الطيب |
| ٢٣٧ – مصر أرض الوادى | روبين فيدين | ت : عنايات حسين طلعت |
| ٢٣٨ – العولمة والتحرير | الانكتاد | ت : ياسر محمد جاد الله وعربى مدبولى أحمد |
| ٢٣٩ – العربى فى الأدب الإسرائيلى | جيلارافر – رابوخ | ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق |
| ٢٤٠ – الإسلام والغرب وإمكانية الحوار | كامى حافظ | ت : صلاح عبد العزيز محمود |
| ٢٤١ – فى انتظار البرابرة | ك. م كويتز | ت : ابتسام عبد الله سعيد |
| ٢٤٢ – سبعة أنماط من الغموض | وليام إمبسون | ت : صبرى محمد حسن عبد النبى |
| ٢٤٣ – تاريخ إسبانيا الإسلامية جـ١ | ليفى بروفنسال | ت : مجموعة من المترجمين |
| ٢٤٤ – الغليان | لاورا إسكيبيل | ت : نادية جمال الدين محمد |
| ٢٤٥ – نساء مقاتلات | إليزابيتا أديس | ت : توفيق على منصور |
| ٢٤٦ – قصص مختارة | جابرييل جرثيا ماركث | ت : على إبراهيم على منوفى |
| ٢٤٧ – الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر | وولتر أرمبرست | ت : محمد الشرقاوى |
| ٢٤٨ – حقول عدن الخضراء | أنطونيو جالا | ت : عبد اللطيف عبد الحليم |
| ٢٤٩ – لغة التمزق | دراجو شتامبوك | ت : رفعت سلام |
| ٢٥٠ – علم اجتماع العلوم | دومنيك فينك | ت : ماجدة أباظة |
| ٢٥١ – موسوعة علم الاجتماع ج ٢ | جوردون مارشال | ت بإشراف : محمد الجوهرى |
| ٢٥٢ – رائدات الحركة النسوية المصرية | مارجو بدران | ت : على بدران |
| ٢٥٣ – تاريخ مصر الفاطمية | ل. أ. سيمينوفا | ت : حسن بيومى |
| ٢٥٤ – الفلسفة | ديف روبنسون وجودى جروفز | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ٢٥٥ – أفلاطون | ديف روبنسون وجودى جروفز | ت : إمام عبد الفتاح إمام |

٢٥٦ – ديكارت — ديف روبنسون وجودى جروفز — ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ – تاريخ الفلسفة الحديثة — وليم كلى رايت — ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ – الفجر — سير أنجوس فريزر — ت : عُبادة كُحيلة
٢٥٩ – مختارات من الشعر الأرمنى — نخبة — ت : ڤاروجان كازانچيان
٢٦٠ – موسوعة علم الاجتماع ج٢ — جوردون مارشال — ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٦١ – رحلة فى فكر زكى نجيب محمود — زكى نجيب محمود — ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ – مدينة المعجزات — إدوارد متدوثا — ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ – الكشف عن حافة الزمن — چون جريبين — ت : على يوسف على
٢٦٤ – إبداعات شعرية مترجمة — هوراس / شلى — ت : لويس عوض
٢٦٥ – روايات مترجمة — أوسكار وايلد وصمويل جونسون — ت : لويس عوض
٢٦٦ – مدير المدرسة — جلال آل أحمد — ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ – فن الرواية — ميلان كونديرا — ت : بدر الدين عرودكى
٢٦٨ – ديوان شمس تبريزى ج٢ — جلال الدين الرومى — ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١ — وليم چيفور بالجريف — ت : صبرى محمد حسن
٢٧٠ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢ — وليم چيفور بالجريف — ت : صبرى محمد حسن
٢٧١ – الحضارة الغربية — توماس سى . باترسون — ت : شوقى جلال
٢٧٢ – الأديرة الأثرية فى مصر — س. س. والترز — ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ – الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط — جوان آر. لوك — ت : عنان الشهاوى
٢٧٤ – السيدة بربارا — رومولو جلاجوس — ت : محمود على مكى
٢٧٥ – ت. س. إليوت شاعرًا وناقدًا وكاتبًا مسرحيًا — أقلام مختلفة — ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ – فنون السينما — فرانك جوتيران — ت : عبد القادر التلمسانى
٢٧٧ – الجينات : الصراع من أجل الحياة — بريان فورد — ت : أحمد فوزى
٢٧٨ – البدايات — إسحق عظيموف — ت : ظريف عبد الله
٢٧٩ – الحرب الباردة الثقافية — فرانسيس ستونر سوندرز — ت : طلعت الشايب
٢٨٠ – من الأدب الهندى الحديث والمعاصر — بريم شند وآخرون — ت : سمير عبد الحميد
٢٨١ – الفردوس الأعلى — مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى — ت : جلال الحفناوى
٢٨٢ – طبيعة العلم غير الطبيعية — لويس ولبيرت — ت : سمير حنا صادق
٢٨٣ – السهل يحترق — خوان رولفو — ت : على البمبى
٢٨٤ – هرقل مجنونًا — يوريبيدس — ت : أحمد عتمان
٢٨٥ – رحلة الخواجة حسن نظامى — حسن نظامى — ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ – رحلة إبراهيم بك ج٣ — زين العابدين المراغى — ت : محمود سلامة علاوى
٢٨٧ – الثقافة والعولمة والنظام العالمى — أنتونى كينج — ت : محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ – الفن الروائى — ديفيد لودج — ت : ماهر البطوطى
٢٨٩ – ديوان منجوهرى الدامغانى — أبو نجم أحمد بن قوص — ت : محمد نور الدين
٢٩٠ – علم اللغة والترجمة — جورج مونان — ت : أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج١ — فرانشسكو رويس رامون — ت : السيد عبد الظاهر
٢٩٢ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج٢ — فرانشسكو رويس رامون — ت : السيد عبد الظاهر

| | | |
|---|---|---|
| ٢٩٣ – مقدمة للأدب العربى | روجر آلان | ت : نخبة من المترجمين |
| ٢٩٤ – فن الشعر | بوالو | ت : رجاء ياقوت صالح |
| ٢٩٥ – سلطان الأسطورة | جوزيف كامبل | ت : بدر الدين حب الله الديب |
| ٢٩٦ – مكبث | وليم شكسبير | ت : محمد مصطفى بدوى |
| ٢٩٧ – فن النحو بين اليونانية والسوريانية | ديونيسيوس ثراكس – يوسف الأهوانى | ت : ماجدة محمد أنور |
| ٢٩٨ – مأساة العبيد | أبو بكر تفاوابليوه | ت : مصطفى حجازى السيد |
| ٢٩٩ – ثورة التكنولوجيا الحيوية | جين ل. ماركس | ت : هاشم أحمد فؤاد |
| ٣٠٠ – أسطورة بروميثيوس مج١ | لويس عوض | ت : جمال الجزيرى وبهاء چاهين |
| ٣٠١ – أسطورة بروميثيوس مج٢ | لويس عوض | ت : جمال الجزيرى ومحمد الجندى |
| ٣٠٢ – فنجنشتين | جون هيتون وجودى جروفز | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ٣٠٣ – بوذا | جين هوب وبورن فان لون | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ٣٠٤ – ماركس | ريوس | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ٣٠٥ – الجلد | كروزيو مالابارته | ت : صلاح عبد الصبور |
| ٣٠٦ – المماسة – النقد الكانطى للتاريخ | چان – فرانسوا ليوتار | ت : نبيل سعد |
| ٣٠٧ – الشعور | ديفيد بابينو | ت : محمود محمد أحمد |
| ٣٠٨ – علم الوراثة | ستيف جونز | ت : ممدوح عبد المنعم أحمد |
| ٣٠٩ – الذهن والمخ | انجوس چيلاتى | ت : جمال الجزيرى |
| ٣١٠ – يونج | ناجى هيد | ت : محيى الدين محمد حسن |
| ٣١١ – مقال فى المنهج الفلسفى | كولنجوود | ت : فاطمة إسماعيل |
| ٣١٢ – روح الشعب الأسود | وليم دى بويز | ت : أسعد حليم |
| ٣١٣ – أمثال فلسطينية | خايير بيان | ت : عبد الله الجعيدى |
| ٣١٤ – الفن كعدم | جيلس مينيك | ت : هويدا السباعى |
| ٣١٥ – جرامشى فى العالم العربى | ميشيل بروندينو | ت : كاميليا صبحى |
| ٣١٦ – محاكمة سقراط | أ. ف. ستون | ت : نسيم مجلى |
| ٣١٧ – بلا غد | شير لايموفا – زنيكين | ت : أشرف الصباغ |
| ٣١٨ – الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة | نخبة | ت : أشرف الصباغ |
| ٣١٩ – صور دريدا | جايتر ياسبيفاك وكرستوفر نوريس | ت : حسام نايل |
| ٣٢٠ – لمة السراج لحضرة التاج | مؤلف مجهول | ت : محمد علاء الدين منصور |
| ٣٢١ – تاريخ إسبانيا الإسلامية ج٢ | ليفى برو فنسال | ت : نخبة من المترجمين |
| ٣٢٢ – وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى | دبليو. إيوجين كليتباور | ت : خالد مفلح حمزة |
| ٣٢٢ – فن الساتورا | تراث يونانى قديم | ت : هانم سليمان |
| ٣٢٤ – اللعب بالنار | أشرف أسدى | ت : محمود سلامة علاوى |
| ٣٢٥ – عالم الآثار | فيليب بوسان | ت : كرستين يوسف |
| ٣٢٦ – المعرفة والمصلحة | جورجين هابرماس | ت : حسن صقر |
| ٣٢٧ – مختارات شعرية مترجمة | نخبة | ت : توفيق على منصور |
| ٣٢٨ – يوسف وزليخة | نور الدين عبد الرحمن بن أحمد | ت : عبد العزيز بقوش |
| ٣٢٩ – رسائل عيد الميلاد | تد هيوز | ت : محمد عيد إبراهيم |

| | | |
|---|---|---|
| ٢٣٠ – كل شيء عن التمثيل الصامت | مارفن شبرد | ت : سامي صلاح |
| ٢٣١ – عندما جاء السردين | ستيفن جراي | ت : سامية دياب |
| ٢٣٢ – رحلة شهر العسل وقصص أخرى | نخبة | ت : علي إبراهيم علي منوفي |
| ٢٣٣ – الإسلام في بريطانيا | نبيل مطر | ت : بكر عباس |
| ٢٣٤ – لقطات من المستقبل | أرثر س. كلارك | ت : مصطفى فهمي |
| ٢٣٥ – عصر الشك | ناتالي ساروت | ت : فتحي العشري |
| ٢٣٦ – متون الأهرام | نصوص قديمة | ت : حسن صابر |
| ٢٣٧ – فلسفة الولاء | جوزايا رويس | ت : أحمد الأنصاري |
| ٢٣٨ – نظرات حائرة وقصص أخرى من الهند | نخبة | ت : جلال السعيد الحفناوي |
| ٢٣٩ – تاريخ الأدب في إيران جـ٣ | علي أصغر حكمت | ت : محمد علاء الدين منصور |
| ٢٤٠ – اضطراب في الشرق الأوسط | بيرش بيربيروجلو | ت : فخري لبيب |
| ٢٤١ – قصائد من رلكه | راينر ماريا رلكه | ت : حسن حلمي |
| ٢٤٢ – سلامان وأبسال | نور الدين عبد الرحمن بن أحمد | ت : عبد العزيز بقوش |
| ٢٤٣ – العالم البرجوازي الزائل | نادين جورديمر | ت : سمير عبد ربه |
| ٢٤٤ – الموت في الشمس | بيتر بلانجوه | ت : سمير عبد ربه |
| ٢٤٥ – الركض خلف الزمن | بونه ندائي | ت : يوسف عبد الفتاح فرج |
| ٢٤٦ – سحر مصر | رشاد رشدي | ت : جمال الجزيري |
| ٢٤٧ – الصبية الطائشون | جان كوكتو | ت : بكر الحلو |
| ٢٤٨ – المتصوفة الأولون في الأدب التركي جـ١ | محمد فؤاد كوبريلي | ت : عبد الله أحمد إبراهيم |
| ٢٤٩ – دليل القارئ إلى الثقافة الجادة | أرثر والدرون وآخرين | ت : أحمد عمر شاهين |
| ٢٥٠ – بانوراما الحياة السياحية | أقلام مختلفة | ت : عطية شحاتة |
| ٢٥١ – مبادئ المنطق | جوزايا رويس | ت : أحمد الأنصاري |
| ٢٥٢ – قصائد من كفافيس | قسطنطين كفافيس | ت : نعيم عطية |
| ٢٥٣ – الفن الإسلامي في الأندلس (هندسية) | باسيليو بابون مالدونالد | ت : علي إبراهيم علي منوفي |
| ٢٥٤ – الفن الإسلامي في الأندلس (نباتية) | باسيليو بابون مالدونالد | ت : علي إبراهيم علي منوفي |
| ٢٥٥ – التيارات السياسية في إيران | حجت مرتضى | ت : محمود سلامة علاوي |
| ٢٥٦ – الميراث المر | بول سالم | ت : بدر الرفاعي |
| ٢٥٧ – متون هيرميس | نصوص قديمة | ت : عمر الفاروق عمر |
| ٢٥٨ – أمثال الهوسا العامية | نخبة | ت : مصطفى حجازي السيد |
| ٢٥٩ – محاورات بارمنيدس | أفلاطون | ت : حبيب الشاروني |
| ٢٦٠ – أنثروبولوجيا اللغة | أندريه جاكوب ونويلا باركان | ت : ليلى الشربيني |
| ٢٦١ – التصحر : التهديد والمجابهة | الان جرينجر | ت : عاطف معتمد وآمال شاور |
| ٢٦٢ – تلميذ بابنبرج | هاينرش شبورال | ت : سيد أحمد فتح الله |
| ٢٦٣ – حركات التحرر الأفريقي | ريتشارد جيبسون | ت : صبري محمد حسن |
| ٢٦٤ – حداثة شكسبير | إسماعيل سراج الدين | ت : نجلاء أبو عجاج |
| ٢٦٥ – سأم باريس | شارل بودلير | ت : محمد أحمد حمد |
| ٢٦٦ – نساء يركضن مع الذئاب | كلاريسا بنكولا | ت : مصطفى محمود محمد |

| | | |
|---|---|---|
| ٣٦٧ – القلم الجرىء | نخبة | ت : البرّاق عبد الهادى رضا |
| ٣٦٨ – المصطلح السردى | جيرالد برنس | ت : عابد خزندار |
| ٣٦٩ – المرأة فى أدب نجيب محفوظ | فوزية العشماوى | ت : فوزية العشماوى |
| ٣٧٠ – الفن والحياة فى مصر الفرعونية | كليرلا لويت | ت : فاطمة عبد الله محمود |
| ٣٧١ – المتصوفة الأولون فى الأدب التركى جـ٢ | محمد فؤاد كوبريلى | ت : عبد الله أحمد إبراهيم |
| ٣٧٢ – عاش الشباب | وانغ مينغ | ت : وحيد السعيد عبد الحميد |
| ٣٧٣ – كيف تعد رسالة دكتوراه | أمبرتو إيكو | ت : على إبراهيم على منوفى |
| ٣٧٤ – اليوم السادس | أندريه شديد | ت : حمادة إبراهيم |
| ٣٧٥ – الخلود | ميلان كونديرا | ت : خالد أبو اليزيد |
| ٣٧٦ – الغضب وأحلام السنين | نخبة | ت : إدوار الخراط |
| ٣٧٧ – تاريخ الأدب فى إيران جـ٤ | على أصغر حكمت | ت : محمد علاء الدين منصور |
| ٣٧٨ – المسافر | محمد إقبال | ت : يوسف عبد الفتاح فرج |
| ٣٧٩ – ملك فى الحديقة | سنيل باث | ت : جمال عبد الرحمن |
| ٣٨٠ – حديث عن الخسارة | جونتر جراس | ت : شيرين عبد السلام |
| ٣٨١ – أساسيات اللغة | ر. ل. تراسك | ت : رانيا إبراهيم يوسف |
| ٣٨٢ – تاريخ طبرستان | بهاء الدين محمد إسفنديار | ت : أحمد محمد نادى |
| ٣٨٣ – هدية الحجاز | محمد إقبال | ت : سمير عبد الحميد إبراهيم |
| ٣٨٤ – القصص التى يحكيها الأطفال | سوزان إنجيل | ت : إيزابيل كمال |
| ٣٨٥ – مشترى العشق | محمد على بهزادراد | ت : يوسف عبد الفتاح فرج |
| ٣٨٦ – دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى | جانيت تود | ت : ريهام حسين إبراهيم |
| ٣٨٧ – أغنيات وسوناتات | چون دن | ت : بهاء چاهين |
| ٣٨٨ – مواعظ سعدى الشيرازى | سعدى الشيرازى | ت : محمد علاء الدين منصور |
| ٣٨٩ – من الأدب الباكستانى المعاصر | نخبة | ت : سمير عبد الحميد إبراهيم |
| ٣٩٠ – الأرشيفات والمدن الكبرى | نخبة | ت : عثمان مصطفى عثمان |
| ٣٩١ – الحافلة الليلكية | مايف بينشى | ت : منى الدروبى |
| ٣٩٢ – مقامات ورسائل أندلسية | فرناندو دى لاجرانخا | ت : عبد اللطيف عبد الحليم |
| ٣٩٣ – فى قلب الشرق | ندوة لويس ماسينيون | ت : نخبة |
| ٣٩٤ – القوى الأربع الأساسية فى الكون | بول ديفيز | ت : هاشم أحمد محمد |
| ٣٩٥ – آلام سياوش | إسماعيل فصيح | ت : سليم حمدان |
| ٣٩٦ – السافاك | تقى نجارى راد | ت :محمود سلامة علاوى |
| ٣٩٧ – نيتشه | لورانس جين | ت :إمام عبد الفتاح إمام |
| ٣٩٨ – سارتر | فيليب تودى | ت :إمام عبد الفتاح إمام |
| ٣٩٩ – كامى | ديفيد ميروفتس | ت :إمام عبد الفتاح إمام |
| ٤٠٠ – مومو | مشيائيل إنده | ت : باهر الجوهرى |
| ٤٠١ – الرياضيات | زيادون ساردر | ت : ممدوح عبد المنعم |
| ٤٠٢ – هوكنج | ج . ب . ماك ايفوى | ت : ممدوح عبد المنعم |
| ٤٠٣ – ربة المطر والملابس تصنع الناس | تودور شتورم | ت : عماد حسن بكر |

| | | |
|---|---|---|
| ٤٠٤ – تعويذة الحسى | ديفيد إبرام | ت : طلبة خميس |
| ٤٠٥ – إيزابيل | أندريه جيد | ت : حمادة إبراهيم |
| ٤٠٦ – المستعربون الإسبان فى القرن ١٩ | مانويلا مانتاناريس | ت : جمال أحمد عبد الرحمن |
| ٤٠٧ – الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه | أقلام مختلفة | ت : طلعت شاهين |
| ٤٠٨ – معجم تاريخ مصر | جوان فوتشركنج | ت : عنان الشهاوى |
| ٤٠٩ – انتصار السعادة | برتراند راسل | ت : إلهامى عمارة |
| ٤١٠ – خلاصة القرن | كارل بوبر | ت : الزواوى بغورة |
| ٤١١ – همس من الماضى | جينيفر آكرمان | ت : أحمد مستجير |
| ٤١٢ – تاريخ إسبانيا الإسلامية ج٢ | ليفى بروفنسال | ت : نخبة |
| ٤١٣ – أغنيات المنفى | ناظم حكمت | ت : محمد البخارى |
| ٤١٤ – الجمهورية العالمية للآداب | باسكال كازانوفا | ت : أمل الصبان |
| ٤١٥ – صورة كوكب | فريدريش دورنيمات | ت : أحمد كامل عبد الرحيم |
| ٤١٦ – مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر | آ. آ. رتشاردز | ت : مصطفى بدوى |
| ٤١٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث ج٥ | رينيه ويليك | ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد |
| ٤١٨ – سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية | جين هاثواى | ت : عبد الرحمن الشيخ |
| ٤١٩ – العصر الذهبى للإسكندرية | جون ماريو | ت : نسيم مجلى |
| ٤٢٠ – مكرو ميجاس | فولتير | ت : الطيب بن رجب |
| ٤٢١ – الولاء والقيادة فى المجتمع الإسلامى | روى متحدة | ت : أشرف محمد كيلانى |
| ٤٢٢ – رحلة لاستكشاف أفريقيا جـ١ | نخبة | ت : عبد الله عبد الرازق إبراهيم |
| ٤٢٣ – إسرامات الرجل الطيف | نخبة | ت : وحيد النقاش |
| ٤٢٤ – لوائح الحق ولوامع العشق | نور الدين عبد الرحمن الجامى | ت : محمد علاء الدين منصور |
| ٤٢٥ – من طاووس حتى فرح | محمود طلوعى | ت : محمود سلامة علاوى |
| ٤٢٦ – الخفافيش وقصص أخرى من أفغانستان | نخبة | ت : محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب |
| ٤٢٧ – باندراس الطاغية | باى إنكلان | ت : ثريا شلبى |
| ٤٢٨ – الخزانة الخفية | محمد هوتك | ت : محمد أمان صافى |
| ٤٢٩ – هيجل | ليود سبنسر وأندرزجى كروز | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ٤٣٠ – كانط | كرستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ٤٣١ – فوكو | كريس هوروكس وزوران جفتيك | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ٤٣٢ – ماكياڤللى | باتريك كيرى وأوسكار زاريت | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ٤٣٣ – جويس | ديفيد نوريس وكارل فلنت | ت : حمدى الجابرى |
| ٤٣٤ – الرومانسية | دونكان هيث وجودن بورهام | ت : عصام حجازى |
| ٤٣٥ – توجهات ما بعد الحداثة | نيكولاس زربرج | ت : ناجى رشوان |
| ٤٣٦ – تاريخ الفلسفة (مج١) | فردريك كوبلستون | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ٤٣٧ – رحالة هندى فى بلاد الشرق | شبلى النعمانى | ت : جلال السعيد الحفناوى |
| ٤٣٨ – بطلات وضحايا | إيمان ضياء الدين بيبرس | ت : عايدة سيف الدولة |
| ٤٣٩ – موت المرابى | صدر الدين عينى | ت : محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب |
| ٤٤٠ – قواعد اللهجات العربية | كرستن بروستاد | ت : محمد الشرقاوى |

| | | |
|---|---|---|
| ٤٤١ – رب الأشياء الصغيرة | أروندهاتي روي | ت : فخري لبيب |
| ٤٤٢ – حتشبسوت (المرأة الفرعونية) | فوزية أسعد | ت : ماهر جويجاتي |
| ٤٤٣ – اللغة العربية | كيس فرستيغ | ت : محمد الشرقاوي |
| ٤٤٤ – أمريكا اللاتينية : الثقافات القديمة | لاوريت سيجورنه | ت : صالح علماني |
| ٤٤٥ – حول وزن الشعر | پرويز ناتل خانلري | ت : محمد محمد يونس |
| ٤٤٦ – التحالف الأسود | ألكسندر كوكبرن وجيفري سانت كلير | ت : أحمد محمود |
| ٤٤٧ – نظرية الكم | ج. پ. ماك ايفوي | ت : ممدوح عبد المنعم |
| ٤٤٨ – علم نفس التطور | ديلان ايفانز – أوسكار زاريت | ت : ممدوح عبد المنعم |
| ٤٤٩ – الحركة النسائية | مجموعة | ت : جمال الجزيري |
| ٤٥٠ – ما بعد الحركة النسائية | صوفيا فوكا – ريبيكا رايت | ت : جمال الجزيري |
| ٤٥١ – الفلسفة الشرقية | ريتشارد أوزبورن / بورن فان لون | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ٤٥٢ – لينين والثورة الروسية | ريتشارد إبجنانزي / أوسكار زاريت | ت : محي الدين مزيد |
| ٤٥٣ – القاهرة : إقامة مدينة حديثة | جان لوك أرنو | ت : حليم طوسون وفؤاد الدهان |
| ٤٥٤ – خمسون عاماً من السينما الفرنسية | رينيه بريدال | ت : سوزان خليل |
| ٤٥٥ – تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥) | فردريك كوبلستون | ت : محمود سيد أحمد |
| ٤٥٦ – لا تنسني | مريم جعفري | ت : هويدا عزت محمد |
| ٤٥٧ – النساء في الفكر السياسي الغربي | سوزان مولر اوكين | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ٤٥٨ – الموريسكيون الأندلسيون . | خوليو كارو باروخا | ت : جمال عبد الرحمن |
| ٤٥٩ – نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية | توم تيتنبرج | ت : جلال البنا |
| ٤٦٠ – الفاشية والنازية | ستوارت هود – ليتزا جانستز | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ٤٦١ – لكان | داريان ليدر – جودى جروفز | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ٤٦٢ – طه حسين من الأزهر إلى السوربون | عبد الرشيد الصادق محمودي | ت : عبد الرشيد الصادق محمودي |
| ٤٦٣ – الدولة المارقة | ويليام بلوم | ت : كمال السيد |
| ٤٦٤ – ديمقراطية القلة | ميكائيل بارنتي | ت : حصة منيف |
| ٤٦٥ – قصص اليهود | لويس جنزبرج | ت : جمال الرفاعي |
| ٤٦٦ – حكايات حب وبطولات فرعونية | فيولين فانويك | ت : فاطمة محمود |
| ٤٦٧ – التفكير السياسي | ستيفين ديلو | ت : ربيع وهبة |
| ٤٦٨ – روح الفلسفة الحديثة | جوزايا رويس | ت : أحمد الأنصاري |
| ٤٦٩ – جلال الملوك | نصوص حبشية قديمة | ت : مجدي عبد الرازق |
| ٤٧٠ – الأراضي والجودة البيئية | نخبة | ت : محمد السيد النتة |
| ٤٧١ – رحلة لاستكشاف افريقيا ج٢ | نخبة | ت : عبد الله الرازق إبراهيم |
| ٤٧٢ – دون كيخوتي (القسم الأول) | ميجيل دي ثربانتس سابيدرا | ت : سليمان العطار |
| ٤٧٣ – دون كيخوتي (القسم الثاني) | ميجيل دي ثربانتس سابيدرا | ت : سليمان العطار |
| ٤٧٤ – الأدب والنسوية | بام موريس | ت : سهام عبد السلام |
| ٤٧٥ – صوت مصر : أم كلثوم | فرجينيا دانيلسون | ت : عادل هلال عناني |
| ٤٧٦ – أرض الحبايب بعيدة بيرم التونسي | ماريلين بوث | ت : سحر توفيق |
| ٤٧٧ – تاريخ الصين | هيلدا هوخام | ت : أشرف كيلاني |

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

---

رقم الإيداع ١٥٥٤٢ / ٢٠٠٢






«المقهى» مسرحية من طراز رفيع؛ فهى من المسرحيات التاريخية نادرة المثال التى قلما تجود بها أقلام الكُتّاب المسرحيين على مر العصور، وتكمن أهميتها فى أنها تلقى ضوءًا ساطعًا على الأحداث التاريخية لثلاث حقائق تاريخية متتالية ومتباينة عمرها يناهز نصف قرن (١٨٩٨-١٩٤٥) من حياة الشعب الصينى فى العصر الحديث، وتجسد أضواء وظلال وإيجابيات وسلبيات الحياة السياسية والاجتماعية والعسكرية.

تدور أحداث المسرحية فى مقهى بوتاى الكبير الذى يقع فى إحدى الأحياء الشعبية بمدينة بكين القديمة وعلى مقربة من منزل المؤلف، واختار المؤلف المقهى مسرحًا لأحداث مسرحيته من منطلق أنه مكان يدلف إليه كافة أنواع الناس على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم ومراكزهم الاجتماعية والثقافية؛ فالمقهى صورة مصغرة للمجتمع قاطبة تحتشد فيه كافة النماذج البشرية من كل لون وشكل، ورصدت عدسة المؤلف المرهفة ما يدور بين رواد المقهى، وجسد قلمه حياتهم؛ فهو يعرف ما يختمر فى أذهانهم، وما يعتمل وما يدور فى خلدهم.

تصميم الغلاف / مجاهد العزب